الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعـة وهران



كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية
قسم التاريخ وعلم الآثار

الإسهام الفكري للبربر بالأندلس من العهد العامري إلى نهاية الوجود المرابطي

(371-539 هـ/ 981-1144 م)

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي

إعداد الطالب :
حاج عبد القادر يخلف

تحت إشراف :
أ.د عبدالقادر بوباية

أعضاء لجنة المناقشة:
أ.د جيلالي سلطاني رئيسا
أ.د عبد القادر بوباية مشرفا ومقرّرا
د. عبيد بوداود مناقشا
دة. فاطمة بلهواري مناقشا

السنة الجامعية:1429- 1430هـ/2008- 2009م



بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

- إلى روح الفقيدة الطاهرة، الوالدة العزيزة رحمة الله عليها، وإلى الوالد الكريم أطال الله في عمره وأمدّه بموفور الصحّة والهناء.
- وإلى الزوجة الفاضلة التي شجّعتني على مواصلة مشواري الدّراسي وكانت عونا لي في ديني ودنياي.
- وإلى أبنائي الأعزّاء، وجميع أفراد الأسرة الصغيرة والكبيرة.
- وإلى كلّ محبّي العلم وطلبته والسّاهرين على نشره أهدي هذا العمل المتواضع.



شكر وتقدير

أتوجه بالشكر والامتنان إلى اللطيف المنّان الذي أعانني ووفقني على إنجاز هذه المذكرة.
و أقدّم جزيل الشكر إلى أ.د. عبد القادر بوباية الذي أشرف على هذه الدراسة من بدايتها إلى نهايتها.
كما أشكر الفريق العلمي الذي ساعد على تأطيري ، و كلّ الذين ساعدوني من قريب أو من بعيد.
وأسأله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وأن يتقبّله في صالح الأعمال.





المقدمة

مقدمة:

ساهم البربر في التطوّر التاريخي للأندلس، وكانوا في الغالب طرفا فاعلا في صنع أحداثه، منذ الفتح إلى تأسيس الدولة الأموية على أرجائه، وما تلا ذلك من تقلبات سياسية، غيّرت الأوضاع وحوّلت الأندلس إلى طوائف، ما كانت لتسلم من السقوط في يد النصارى لولا تدخّل المرابطين، الذين أوقفوا الزحف المسيحي وقضوا على بذور الفتنة، بتوحيد المغرب والأندلس تحت رايتهم.

وإذا كان تاريخ المغرب والأندلس بشكل عام قد نال حظا وافرا من اهتمام الباحثين، فإنّ البربر كأقلّية إثنية ظلّت مغيّبة، ما عدا القليل من الدراسات التي تناولت دور البربر السياسي والحضاري في الأندلس، وباستثناء ذلك لم يفرد إلى حدّ السّاعة – على حسب علمنا- دراسة خاصّة أكاديمية لمشاركة البربر العلمية في الأندلس.

إنّ الدراسات التي لامست طرفا من هذا الموضوع قليلة جدّا، وأوّلها: " البربر في الأندلس، دراسة لتاريخ مجموعة إثنية منذ الفتح حتى سقوط الخلافة الأموية "[1] ، التي تناولت البربر والحياة الثقافية في الأندلس في القسم الثالث منها، وثانيها: " البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن 5هـ/11م "[2]، في الفصل الثالث من الباب الأوّل، حيث ركّزت على مساهمة البربر في الحركة العلمية فتطرّقت إلى حجم المشاركة، كما تعرّضت إلى أهمّ الفروع العلمية وأبرز العلماء، وإذا كانت الدراستان السابقتان قد تناولت الجانب الفكري للبربر في الأندلس بما فيه الكفاية، فإنّها تتوقف عند مطلع القرن 5هـ/11م ولا تستمر إلى ما بعده.

والواقع أنّ موضوع هذه الدراسة الموسومة بـ: " **الإسهام الفكري للبربر بالأندلس من العهد العامري إلى نهاية الوجود المرابطي (371-539هـ/ 981-1144م)** " يعتبر أوّل دراسة مستقلّة للجانب العلمي لدى البربر في الفترة قيد الدراسة، وهو رأس العوامل التي دفعتني للكتابة في هذا الموضوع، فضلا عن عوامل

---

[1] - محمد حقي، البربر في الأندلس، دراسة لتاريخ مجموعة إثنية منذ الفتح حتى سقوط الخلافة الأموية (92هـ/711م- 422هـ/1031م)، شركة النشر والتوزيع- المدارس- الدار البيضاء، 1422هـ- 2001م، 340ص.

[2] - عبد القادر بوباية، البربر والحياة الثقافية في الأندلس في القسم الثالث منها، وثانيها: " البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن 5هـ/11م (300-422هـ/912-1031م)، أطروحة دكتوراه دولة غير مطبوعة، جامعة وهران، 1423هـ- 2002م.

أخرى جانبية ومنها البحث في التاريخ المحلّي – من طرف أبنائه - الذي يعتبر جزءا من البحث عن الذات، تؤكّد ما قدّموه بموضوعية ومصداقية.

إنّ أهمّية الموضوع تأتي من كونه يتعرّض لمساهمة البربر في النّاحية الثقافية بالأندلس، باعتباره يغوص في أعماق التاريخ الإثني للبربر في هذا المجال، مقدّما صورة واضحة المعالم عن مشاركتهم في المنتوج الحضاري والتراث الفكري الأندلسي الذي هو في النهاية جزء من تراث الأمّة الإسلامية، ليجسّد لنا إسهام مختلف أبناء الأمّة في صنع تاريخها، في إطار تجانس وتكامل الأقليات، التي كان يتجمّل بها المجتمع الأندلسي حينئذ، بعيدا عن الطّائفية العمياء، ودونما إقصاء ولا تهميش، موجّها رسالة إلى أبناء الأمّة للعلم والذكرى والاحتذاء.

وكثيرة هي الأسئلة التي يمكن طرحها للنقاش في هذا الموضوع، إلاّ أن الإشكالية المحورية التي انطلقت منها كانت: ما هي حدود مشاركة البربر في فضاء الفكر والثقافة بالأندلس خلال الفترة مدار البحث ؟ وتتفرّع عنها عدّة إشكاليات أخرى أهمّها: ما هي مميزات هذه المشاركة ؟ وما هي أهمّ شخصيات البربر التي ساهمت في هذا الزّخم الفكري بالأندلس حينئذ ؟ وما حجم هذه المساهمة في كلّ عهد من عهود دراستي (العامري- الطوائف- المرابطين) ؟ وما هي التفسيرات المنطقية التي يمكن أن نقيّم بها الحضور الفكري للبربر كأقلية وما قدّموه للثقافة العربية الإسلامي ة الأندلسية مقارنة بإسهامات الأقليات الأخرى في هذا الموروث الحضاري؟

وللإجابة على هذه التساؤلات، تضمّنت دراستي للموضوع مقدمة وتمهيدا وثلاثة فصول.

اشتملت المقدّمة على أهمّية الموضوع، والدوافع التي حفزتني للكتابة فيه، وأهمّ الأسئلة التي تمحورت حولها إشكاليته، وتلا ذلك شرح لمنهج الدراسة الذي اتّبعته، وأتْبعته بعرض عام لأهمّ المصادر التي اعتمدت عليها في إنجاز دراستي، وقمت بتحليل ونقد معلوماتها الرئيسة موضّحا أهمّية كل مصدر منها في بحثي.

وتناولت في الفصل التمهيدي الذي يحمل عنوان: **" الحركة الفكرية في الأندلس قبيل العهد العامري (350-371هـ/961-981م) "**، باعتباره يشكّل تواصلا

ونتيجة لآخر مرحلة حقيقية في تاريخ دولة الخلافة بالأندلس، واستعرضت فيه عوامل ازدهار الحركة العلمية في الأندلس قبيل العهد العامري، التي كان على رأسها: تشجيع الحكم المستنصر للحركة العلمية بما قدّمه من تحفيزات للعلماء تشجيعا لهم على البحث والتأليف، وما وفره من وسائل الثقافة والعلم في بلده (الكتب - المكتبات - صناعة الورق - إقامة مكاتب العلم المجانية لأبناء الفقراء)، وثاني هذه العوامل انتشار مراكز التعليم من مساجد ومجالس العلم الخاصّة، إلى جانب عامل الرّحلة العلمية من وإلى الأندلس نحو المشرق، وانتقلت بعدها إلى مظاهر الحركة العلمية بالأندلس خلال عهد الحكم المستنصر (350-366هـ/961-976م) بشكل عام، فألقيت نظرة خاطفة على أهمّ المؤلّفين ومؤلّفاتهم في هذه الفترة، وتعرّضت في نهاية هذا الفصل إلى الإسهام الفكري للبربر في الحركة العلمية بالأندلس من عهد الحكم المستنصر إلى بداية عهد الحجابة العامرية، ثمّ تعرّضت إلى فروع العلم التي شاركوا فيها، مع جرد لمن عرف من علماء البربر خلال هذه المرحلة.

أمّا الفصل الأوّل الموسوم بـ: " **الحركة الفكرية في الأندلس من العهد العامري إلى زوال الخلافة الأموية (371-422هـ/981- 1031م)** " فقد تركّز البحث فيه على ثلاث نقاط أساسية: تناولت في أولاها العوامل التي ساعدت على استمرار الحركة العلمية بالأندلس خلال العهد العامري، ومنها تشجيع المنصور بن أبي عامر للعلم، ومظاهر الحركة الفكرية في مختلف فروع العلم وأهمّ من برز فيها من العلماء وأشهر مؤلّفاتهم، ممّا يثبت تطوّر الحركة العلمية في عصر المنصور، وعلى النقيض من ذلك كان الانسداد الذي عرفته علوم الأوائل والفلك، لأسباب واعتبارات مصلحية أملتها الضرورة فجعلت موقف المنصور عدائيا نحو هذه العلوم. ثمّ تحدثت عن استمرار دور المكتبات والرّحلات العلمية في تكوين شخصية المثقف بالأندلس على هذا العهد، وانتقلت بعدها إلى الدور المحتشم الذي لعبه المظفر بن أبي عامر في خدمة الحركة العلمية، ثمّ الدّور السّلبي لعبد الرّحمن شنجول في هذا الإطار، وكانت ثاني النقاط: أثر فتنة القرن 5هـ/11م على الحركة العلمية، حيث ناقشت سلبياتها ومواقف العلماء منها، التي انقسمت إلى: قسم مؤيّد وآخر معارض وثالث محايد ولكلّ حججه، وبروز ظاهرة قتل العلماء وما كان لها من أثر على السّاحة العلمية بالأندلس في هذه

الفتنة الحالكة، ثمّ تحدثت عن الوجه الآخر للفتنة الذي انعكس إيجابا على اتساع نطاق الثقافة ليشمل سائر المدن الأندلسية، أمّا ثالث النقاط فقد كانت حول الإسهام الفكري للبربر في الحركة العلمية بالأندلس من العهد العامري إلى زوال الخلافة الأموية، حيث ترجمت لأشهر علماء البربر و أهمّ العلوم التي برزوا فيها ومدى حجم مساهمتهم في هذه العلوم، مع الإشارة إلى أهمّ الاستنتاجات حول ذلك.

وجاء الفصل الثاني تحت عنوان: " **الحركة الفكرية في الأندلس على عهد ملوك الطوائف (422-484هـ/ 1031-1091م)** "، وعالجت فيه النقاط التالية: عوامل ازدهار الحركة الفكرية في هذه المرحلة، متمثلة في الميراث الثقافي المشرقي والتأسيس لحركة فكرية تنبض بالطابع المحلّي وترمي إلى الاستقلالية والتميّز عن بقيّة العالم الإسلامي، وساعد على ذلك ظاهرة تفرّق علماء قرطبة وكتبها بعد الفتنة على أصقاع الأندلس، ورفع الحظر عن الدراسات القديمة، فضلا عن التنافس بين ملوك الطوائف في اجتذاب العلماء والأدباء إلى بلاطاتهم، الذي شجّع حرّية التنقل إلى حيث تكون الحظوة أوفر والتحفيزات أعظم، وفي النقطة الثانية أبرزت العوامل التي أصبحت في حكم التقليد في المجتمع الأندلسي، وأعني بها ظاهرة انتشار المكتبات بين الأندلسيين والرّحلة في طلب العلم، كما بيّنت الحالة التي كان عليها نظام التعليم من حيث الطريقة والبرامج التي تمحورت حول ما يقدّم وما يؤخّر ومن يعلّم وكيف يتمّ ذلك والمراحل التي يسلكها المتعلّم، وفي النقطة الثالثة تناولت تعدّد المراكز الثقافية في الأندلس، وتشجيع الأسر الحاكمة للعلم والمعرفة، كبني عبّاد الذين تركزوا في إشبيلية وقرطبة، وبني هود في سرقسطة، وبني ذي النون في طليطلة، وبني الأفطس في بطليوس وغيرها من المراكز التي قدّمت للعلم والعلماء والأدباء خدمات جليلة حفظها لهم التاريخ في صفحات ناصعة البياض، وفي النقطة الرّابعة بيّنت ما كانت عليه مظاهر الحركة العلمية في مختلف العلوم وأشهر من عرف بعلمه أو أدبه ومؤلفاتهم. أمّا النقطة الأخيرة فكانت حول مساهمة البربر في الحركة العلمية خلال عهد الطوائف، أين تتبّعت العلوم المختلفة، وفي كلّ منها تحدّثت عمّن عرف و تميّز من العلماء، وحاولت قياس حجم مشاركة البربر في هذا العصر مقارنة بالعصر السّابق.

وفي الفصل الثالث والأخير، الذي يحمل عنوان: " **الحركة الفكرية في الأندلس على عهد المرابطين (484-539هـ/1091-1144م)** "، تطرّقت باختصار إلى أوضاع الأندلس قبيل دخولها تحت راية المرابطين، ثمّ بيّنت موقفهم من العلم وكشفت زيف الأباطيل التي رُوّجت حول هذه النقطة، وأمّا موقفهم من التصوّف وعلم الكلام والفلسفة، وهي النقطة التي تلتها، فقد كان للمرابطين فيها رأي متصلّب، حفاظا على وحدة المسلمين، انطلاقا من رأي العلماء المالكية، الذين لم يتسامحوا مع كلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى الزّيغ الفكري والضلال العقائدي، ومن هذا المنطلق جاء تعصّبهم للمذهب المالكي، أمّا النقطة الرّابعة في هذا الفصل فقد أثَرْتُ فيها عوامل ازدهار الحركة العلمية بالأندلس في هذا العهد، من تشجيع الدّولة للعلم، وما يتعلّق بمسألة التعليم ومؤسّساته (المساجد- الرّباطات- أماكن التدريس الخاصّة)، دون أن أنسى الحديث عن دور الرّحلات العلمية والمكتبات، الذي أصبح عادة ترسّخت في المجتمع الأندلسي، مؤكّدة حضورها عبر كلّ العهود بالأندلس، وجاءت النقطة الخامسة لإماطة اللثام عن مظاهر الحركة العلمية الأندلسية في هذا العهد، من خلال الحديث عن مختلف العلوم وأشهر العلماء، وما جادت به قرائحهم من مؤلّفات أغنت المكتبة الأندلسية، أمّا نقطة الختام فكانت عن مساهمة البربر الفكرية في الحركة العلمية بالأندلس المرابطية، حيث تعرّضت لأبرز الشخصيات العلمية والأدبية وبيّنت مجال تخصّصها انطلاقا من النصوص الواردة في كتب التراجم، وبلغة الأرقام بيّنت قوّة المشاركة البربرية العلمية في هذا العهد مقارنة بالعهود السّابقة.

وتضمّنت الخاتمة أهمّ النتائج التي توصّلت إليها في هذه الدراسة، في شكل نقاط مختصرة.

وأمّا عن المنهج الذي اتبعته في عملي فهو منهج وصفي، يتعاطى مع النص كنقطة انطلاق، وما بين الحين والآخر وظفت المنهج التحليلي في التعليق على بعض النصوص، أو الخروج بملاحظات واستنتاجات شخصية حول عدد من النقاط، شعرت بمسيس الحاجة إلى الوقوف عندها، وإذا كان الغالب على المنهج الذي اتبعته هو الوصف ثمّ التحليل، فإنّه قد تستدعي الحاجة إلى عقد المقارنات بين النصوص، التي تفرض علينا التعامل معها بمنهج المقابلة بين المتعارض منها، للخروج بآراء

موضوعية، تحسم الموقف بالميل إلى أرجح الأقوال، كما هو الحال بالنسبة لموقف المرابطين من العلم والتصوّف وعلم الكلام والفلسفة.

عرض ونقد المصادر:

إنّ الموضوع الذي أقدّمه بين يدي الباحثين المهتمّين بمثل هذا النّوع من المواضيع، أكاد أجزم أنّه لا يتوفّر على مصادر تاريخية خاصّة، وانّ مادته نجدها متفرّقة في ثنايا عدد من المصادر والمراجع، قمت بتصنيفها على النحو التالي:

كتب التراجم والطبقات:

وجلّها شملت التعريف بعلماء البربر عامّة، ومن أهمّها:

1- " **تاريخ علماء الأندلس** "[1] لمؤلّفه أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصير الأزدي المعروف بابن الفرضي القاضي (ت403هـ/1012م)، وهو يعدّ من أوّل الكتب التي ألّفت في علماء الأندلس ورواة العلم بها، وقد ترجم فيه لتسع وأربعين وستمائة وألف علما من الفقهاء ورواة الحديث، وبعض الأدباء والشعراء الذين برزت شهرتهم في العلوم الشرعية وتعدّتها إلى الأدب والشعر.

وقد أفادني هذا الكتاب في الترجمة لعلماء البربر من منتصف القرن 4هـ/10م إلى نهايته، وهو ما يغطّي الفصل التمهيدي ـ من موضوع بحثي ـ ونسبة معتبرة من الفصل الأوّل، انطلاقا من عهد الحكم المستنصر إلى نهاية العهد العامري، وباعتبار أنّ المؤلّف عاصر هذه الحقبة وكان شاهدا عليها، فإنّ مؤلّفه هذا يعدّ أوثق وأصدق ما كتب في التراجم عن هذه الفترة.

2- " **الصلة** "[2] لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال الأنصاري (ت578هـ/1183م)، الذي لا يقلّ أهمّية عن كتاب تاريخ علماء الأندلس، وهو كما يدلّ على ذلك اسمه تتمّة للكتاب السّابق الذكر، إذ بدأ فيه صاحبه من حيث انتهى ابن الفرضي، فترجم لمن أهملهم ابن الفرضي ثمّ واصل ترجمته لمن جاؤوا

[1] - ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، تحيق روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط 1، 1417هـ- 1997م، 494ص.

[2] - ابن بشكوال، الصلة، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية- صيدا- بيروت، ط 1، 1423هـ- 2003م، 2ج، 599ص.

2- ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة- بيروت، 1415هـ-1995م، 4ج.

بعده إلى سنة 534هـ، وقد تضمّن الكتاب إحدى وأربعين وخمسمائة وألف ترجمة لعلماء الأندلس ومن دخلها من غير الأندلسيين، ورتّب هذه التراجم ترتيبا كرونولوجيا تصاعديا من أقدم العلماء وفاة إلى أحدثهم، وتتّسم ترجماته بالتوسّع النّسبي لأحوال العلماء مقارنة مع الكتاب السّابق الذي يتسم بالاختصار.

وقد استفدت من الكتاب في الترجمة لعلماء الفترة الممتدّة من بداية القرن 4هـ/10م إلى نهاية الوجود المرابطي، وهو ما يتناسب مع الفصل الأوّل والثاني والثالث من موضوع دراستي، حيث شكّلت هوامش البحث أكبر نسبة من النّقول مقارنة بالمصادر الأخرى.

3- " **التكملة لكتاب الصلة** "[1]، جاء هذا الكتاب تتمّة لكتاب الصلة، وهو لأبي عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي المعروف بابن الأبّار (ت658هـ/1260م)، الذي بدأ حيث توقف ابن بشكوال، واستدرك عليه ما فاته من تراجم، فكان كتابه موسوعة حقيقية حفلت بسبع وستمائة وثلاثة آلاف ترجمة لأعلام العدوة الأندلسية والغرباء الذين دخلوها.

وقد وظفت هذا المصدر في الفصل الثاني ثمّ الفصل الثالث من هذه الرسالة، وكان اعتمادي عليه في الترجمة لمرحلتي ملوك الطوائف والعهد المرابطي، وعنه أخذت عددا كبيرا من النقولات النصّية، تجعله يأتي من حيث الأهمّية ـ بالنسبة إلى موضوع دراستي ـ في المرتبة الثانية بعد الصلة.

4- " **بغية الملتمس في تاريخ رجل أهل الأندلس** "[2]، لأحمد بن يحي بن أحمد بن عُمَيْرَة الضّبّي (ت 599هـ/1203م)، وهو ذيل على كتاب الحميدي " جذوة المقتبس "، فقد نقل عنه ما يقرب من خمس وعشرين وثمانمائة ترجمة كما هي، وتصرّف في خمسة عشر ترجمة اختصرها اختصارا شديدا، وسبع تراجم توسّع في

---

[2] ـ الضّبّي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1417هـ- 1997م، 512ص.

[2] ــ عياض القاضي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ضبط وتصحيح محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1418هـ- 1998م، 2ج.

رواياتها من عنده، وأسقط أربعين ومائة ترجمة من الجذوة لم يعتمدها في كتابه، في حين أضاف خمسين وسبعمائة ترجمة جديدة غير موجودة في الجذوة، ممّا يجعل كتابه أوفى من جذوة الحميدي.

وقد أفادني هذا المصدر بعدد معتبر من التراجم لعلماء البربر في كلّ فصول الفترة قيد الدراسة.

5- **" ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك "**[1] للقاضي عياض أبو الفضل (ت 544هـ/ 1149م)، الذي يعدّ أول كتاب استوعب تراجم أعلام مذهب مالك وطريقة انتشاره في البلدان، وذكر فيه أسماء أعيان المالكية وأعلامهم، وبيّن طبقاتهم وأزمانهم، وجمع عيون فضائلهم وآثارهم، ونظم نثر فنون سيرهم وأخبارهم، وقد جاء بتأليف غريب رتبه على الطبقات والبلدان، فيذكر في كل طبقة أعلام كل إقليم مميّزة على حدى، وبذلك يمكن الاهتداء به في التعرّف على أوائل من حملوا مذهب مالك إلى الآفاق.

وقد أفادني هذا الكتاب تحديدا بتراجم عدد من فقهاء البربر الذين برزوا بالأندلس خلال النصف الثاني من القرن 4هـ/10م.

6- **" الغنية "**[2]، وهو فِهْرِسَة لشيوخ القاضي عياض، وقد أفادني في تراجم بعض العلماء والفقهاء الأندلسيين، الذين حمل عنهم القاضي عياض، ومن هؤلاء من كانت أصوله بربرية.

كتب الأدب:

1- **" الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة "**[3]، لمؤلفه أبي الحسن علي بن بسَّام، التغلبي الشنتريني (ت542هـ/1148م)، من أعلام الكُتَّاب والنقاد الأندلسيين في القرنين

---

[2] - عياض القاضي، الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض، تحقيق ماهر زهير جرّار، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط1، 1402هـ- 1982م، 308ص.

[2] - ابن بسّام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1419هـ- 1998م، 4ج.

[3] - المقرّي، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عبّاس، دار صادر – بيروت، طبعة 2004م، 8ج.

5 و 6 هـ/ 11 و12م، ويعتبر هذا الكتاب موسوعة أدبية تاريخية، قدّم فيها تراجم لشعراء وأدباء عصر الطوائف، وأوائل عصر المرابطين، بالإضافة إلى ما نقله إلينا من أخبار سياسية واجتماعية عن أمراء الأندلس وحكامها.

و ينقسم الكتاب إلى أربعة أقسام، وقد جعله خاصاً في شعراء عصره من أهل الأندلس ومن طرأ عليها، ويشتمل على أربعة وخمسين ومائة ترجمة مسهبة لأعيان الأدب والسياسة ممّن عاصرهم أو تقدموه قليلا، وحاول من خلال النماذج التي ترجم لها من شعراء وكتاب أن يثبت تفوق الأندلس وأصالة أهله مقارنة بالمشرق.

واستفدت من هذا الكتاب في جلّ فصول بحثي، حيث استشهدت ببعض الأشعار والنصوص النثرية، ومنها ما كان ذا علاقة بأعلام البربر للحقبة الممتدّة من العهد العامري إلى نهاية عهد المرابطين بالأندلس.

2- **" نَفْح الطِّيب من غُصن الأندلس الرَّطِيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب "**[1]، لمؤلفه أبي العباس، أحمد بن محمد بن أحمد المقرِّي التلمساني الملقب بشهاب الدين (ت1040هـ/1630م)، ويعدّ من عيون مؤلفات المكتبة الأندلسية، وينقسم إلى قسمين، ويضمّ كلّ قسم ثمانية أبواب:

يختص القسم الأول بأبوابه الثمانية بالأندلس، فيصف عمرانها وحاضرتها قرطبة وجامعها والزهراء الناصرية والزّاهرة ا لعامرية، ثم يفرد حديثًا عن الخلافة الأموية بالأندلس وعن قوة الإسلام وسلطانه في شبه الجزيرة الأندلسية.

و في هذا القسم يعرّف بأعلام الشخصيات الأندلسيه، التي رحلت إلى المشرق لإكمال دراستها أو تلقي العلم، كما يذكر المشارقة الذين وفدوا على الأندلس من أعلام الأدباء والمفكرين، و هذا القسم مليء بالأخبار الطريفة والأشعار الكثيرة، وتتنوع فيه تراجم الشخصيات الأندلسية بين ملوك وأمراء وقواد ووزراء وشعراء وكتاب وقضاة وفقهاء وزهاد وغيرهم، وأهم ما يميز هذا القسم غلبة الطابع الأدبي عليه.

أمّا القسم الثاني بأبوابه الثمانية فقد خصّصه لابن الخطيب، فتحدّث فيه المَقَّري عن أصله ونشأته وثقافته ومناصبه ورحلاته، كما يعرض لتلاميذه وأصدقائه وندمائه وحسّاده وأعدائه.

وتكمن أهمّية هذا الكتاب في كون مؤلّفه يرجع كل خبر إلى أصله وكل شعر إلى مصدره، ويعتبر نفح الطيب من آخر الموسوعات العربية الكبرى المتخصصة في التراث الإسلامي الأندلسي؛ لعنايته بالجانب التاريخي السياسي وبأدب الرحلة والبلدان والترجمات وذكر الحروب، كما يعكس الأسى والأسف لضياع الأندلس إذ أن الكتاب كتب وما يزال الجرح نازفًا.

وأفادني هذا الكتاب بموضوع الدراسة في كلّ الفصول بدون استثناء، من خلال ترجمته للعديد من الأعلام، إلى جانب مقابلة ما فيه من الشعر مع مصادر أخرى عند الضرورة لمعرفة وجه التطابق والاختلاف.

كتب التاريخ العام:

1- **" العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر "** ، لمؤلفه عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت 808هـ/1406م)، ويعتبر الكتاب موسوعة تاريخية كبيرة[1]، وقد رفع الجزء الأوّل منه ـ الذي يشتمل على المقدمة ـ ابن خلدون إلى مصاف كبار فلاسفة العالم، وفيها أرسى قواعد فقه التاريخ وعلم العمران وطبائع البشر ومختلف أنشطتهم، كما بحث في موضوع ازدهار الدول وأسباب انهيارها، ويعود تاريخ كتابتها إلى الفترة الممتدة

[1] - ابن خلدون عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس، خليل شحاذة، مراجعة، سهيل زكار، دار الفكر- بيروت- 1421هـ- 2000م، 8ج.

[2] - ابن عذاري المراكشي أبو العبّاس أحمد بن محمد، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الجزء 2 و3، تحقيق ومراجعة ج.س.كولان و إ.ليفي بروفنسال، دار الثقافة- بيروت، ط 2، 1400هـ- 1980م، بالإضافة إلى البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج 4، تحقيق إحسان عبّاس، دار الثقافة- بيروت، ط 2، 1400هـ- 1980م.

مابين 776و780هـ/1374و1378م، أثناء إقامته في قلعة بني سلامة (تغزوت بفرندة)، ثم نقحه بعد ذلك وهذبه وألحق به تاريخ العرب وأجيالهم وممالكهم وأخبار البربر وأجيالهم ودولهم.

وقد زوّدني هذا المصدر بمعلومات ذات صلة بفصول الرسالة وبخاصّة الجزء السادس منه، الذي أفادني في التأصيل إلى بعض النّسب ذات العلاقة بأنساب البربر وقبائلهم وبطونهم وأفخاذهم، كما أفادتني المقدّمة بالتحديد في التعرّف على حالة التعليم بالأندلس خلال القرن 5هـ/11م، بالإضافة إلى جوانب أخرى من العلم.

2- " **البيان المُغرب في أخبار الأندلس و المَغرب لابن عذاري المرّاكشي أبو العبّاس أحمد بن محمّد** "[1] (كان حيّا سنة 712هـ/1312م)، وهو من أعظم المصادر وأوثقها في موضوعه، وتكمن أهمّيته في احتفاظه بمادّة مقتبسة من مصادر تاريخية هي في حكم المفقود، ويغطّي الكتاب تاريخ الغرب الإسلامي من الفتح إلى بداية المرينيين، و بلغ به ابن عذاري إلى عام (668هـ/1269م)، ويقع الكتاب في خمسة أجزاء.

وقد استفدت من أجزائه: الثاني والثالث والرّابع، باعتبارها تغطّي فترة موضوع الدراسة بأكمله، كالحديث عن تشجيع الحكم المستنصر للعلم وما بذله في سبيل ذلك، فضلا عن الإشارة إلى بعض الشخصيات من أعلام البربر.

كتب الجغرافية:

أفادتني هذه الكتب في وصف بعض المدن التي جاءت في ثنايا الدراسة، كما كانت الحاجة إليها ماسّة في تحديد بعض المواقع المجهولة، وكان أبرزها:

1- " **كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار** "[2]، للحميري محمد بن عبد المنعم (ت786هـ/1384م)، وهو كتاب مشهور ألفه حسب الترتيب الهجائي المشرقي، إلا أنه رتب محتويات كل حرف حسب الترتيب المغربي، ووقع في ترتيبه هذا في الكثير من الأخطاء، واشترط فيه أن لا يذكر من الأقطار إلا ما اتصلت به قصة أو

---

[2] - طبعت الفصول المتعلقة بالأندلس من الكتاب، قديماً بعناية ليفي بروفنسال، مع ترجمة إلى الفرنسية، وطبع بتحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت، ط2، 1980م، 623ص.

حكمة أو خبر طريف، ولا مجال للشك في أن الحميري مجرد ناقل عن كتب جغرافيي المغرب، ولا يعدو أن يكون نسخة ثانية عن كل ما ينقل عنه. وقد طبعت الفصول المتعلقة بالأندلس من الكتاب، قديماً بعناية ليفي بروفنسال، مع ترجمة إلى الفرنسية، وطبع بتحقيق إحسان عباس سنة 1980 في طبعته الثانية.

إضافة إلى هذه المصادر، فقد اعتمدت على مجموعة أخرى من المصادر التاريخية والأدبية والجغرافية بقصد التعريف بالأعلام المترجم لهم، والإحاطة بالموضوع من جميع جوانبه، وسيرد ذكرها ضمن قائمة المصادر والمراجع.

وفي ختام هذه المقدّمة، لا مندوحة لي من الإشارة إلى بعض الصعوبات التي واجهتني، ولا أعني الصعوبات الشخصية ذات العلاقة بالقلق النفسي والتوتر الداخلي، الذي يصاحب الطالب الباحث العامل في التوفيق بين الدراسة والعمل، ولا يجد الوقت الكافي للبحث والكتابة في جوّ مريح في مثل هذه المرحلة، وإنّما أعني الصعوبات الأكاديمية المتمثلة في:

- ندرة المادّة وشحّ المعلومات المتعلّقة بالبربر، وما يتوفر منها فهو عادة عام وسطحي لا يتميّز بالتوسّع والتعمّق، بل قد يأتي مبهما غامضا كاللّغز الذي يصعب التوصّل إلى فهمه وتفسيره، ومثل هذا نجده فيما قاله ابن حزم عن بني عبد الوهاب وهم أحد فروع صنهاجة، حيث ذكر أنّه " كان منهم قوّاد وكتاب وفقهاء " [1]، لكنه لم يتعرّض لهم بالترجمة ولو بشكل مقتضب، ونفس الشيء نجده في عدد من تراجم البربر عند ابن عبد الملك المراكشي[2]، وهناك من المصادر التي ترجمت لحالات من البربر فلم تنسبهم إلى القبائل التي ينتمون إليها[3]، على اعتبار أنّ ظاهرة اتخاذ البربر عامّة والعلماء خاصّة للأسماء العربية التي كانت شائعة، إمّا لكون الإسلام يحث على تسمية الأبناء بأسماء عبد الله وعبد الرحمن ومحمّد صلّى الله عليه وسلّم وسائر

---

[1] - ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تحقيق لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ- 2001م، ص502.

[2] - ففي الترجمة رقم 633 المتعلقة ب: أحمد بن محمد بن عبد الله بن مروان بن عبد الملك النفزي، لا وجود لتفاصيل تتعلق بشيوخ المترجم له ولا بمن روى عنه، ولا معرفة لنا بنوع العلم الذي تخصّص فيه، والأكثر من ذلك أنّنا نجهل تاريخ الولادة وتاريخ الوفاة، ولا سبيل لنا إلى ذلك. الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق محمد بن شريفة، دار الثقافة- بيروت، (د.ت)، س1 ق2 ص449.

[3] - علي سبيل المثال: أبو بكر يحي بن موسى بن عبد الله البرزلي فإنّه ذكر دون هذه النسبة عند ابن بشكوال، وما كنّا لنعرف أنّه برزلي لولا إشارة ابن خير إلى ذلك. ابن بشكوال، نفس المصدر، ج2 ص518/ ابن خير الإشبيلي، فهرسة، تحقيق: محمد فؤاد منصور ، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1419هـ- 1998م، ص406.

الأنبياء[1]، وإمّا لكسب شرف الانتماء إلى العرب، الذي كان يمنح صاحبه المنزلة والمكانة الرفيعة في المجتمع، وربّما تداخل العاملان معا وكانت النتيجة واحدة.

- صعوبة التعامل مع المادّة العلمية بين عصر وآخر لمرحلة زمنية فاقت قرنا ونصف قرن، بحيث لا توجد نقاط تقاطع تفصل بين العهد والذي يليه، عندما يتعلّق الأمر بقضية انتماء العالم إلى عهد منها، فمن العلماء من عايش أكثر من دولة، فكان مخضرما ومن ثمّ يمكن أن ينسب إلى كلّ العهود التي عاصرها، لا سيما إذا وجدت القرائن التي تدلّ وتثبت ذلك.

ورغم هذه الصعوبات فقد بذلت وسعي للاطّلاع على أكبر قدر من المصادر المتعلّقة بتاريخ الأندلس، تارة باقتناء أنفسها من المعارض، وتارة باستعارة ما أمكنني من المكتبات المتواجدة على تراب الولاية، وفي أخرى بزيارة الجزائر العاصمة للاطلاع على ما بالمكتبة الوطنية بالحامّة والمكتبة الجامعية والمركز الإسباني بها (ثربانتث)، دون أن أنسى نفائس المصادر والمراجع التي حصلت عليها من المكتبات الخاصّة، التي لم يبخل بها أصحابها عليّ، اعترافا بفضلهم عليّ، لأنّ شكر النّاس من شكر الله.

[1] - باب أحبّ الأسماء إلى الله عز وجلّ عند: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب ، دار المعرفة – بيروت ، (د.ت)، ج10ص570. وباب التسمّي بأسماء الأنبياء في نفس المصدر، ج10ص 578-579/ أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي ، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت ، دار النشر: مكتبة الرشد - الرياض الطبعة: الأولى، 1409هـ، ج5 ص263.

الفصل التمهيدي

عاشت الأندلس خلال عصر الولاة (95-138هـ/713-755م) حالة من الصّراعات على السّلطة، كان من نتائجها تعطيل العقول عن الآداب وشؤون الفكر والثقافة، وبقيت الحال على ذلك إلى أن توطد الملك فيها لبني أميّة، بإرساء قواعد دولة قويّة الأركان على عهد صقر قريش عبد الرّحمن الدّاخل (138-172هـ/755-788م) ، ولمّا تولّى هشام الرّضا زمام الأمر من بعده (172-180هـ/788-796م) بدأت العناية بعلوم الشريعة وعلوم اللغة[1]، واتضحت أكثر هذه العناية في عهد الحكم بن هشام (180-206هـ/796-821م).

ولم تدرك الأندلس الحركة العلمية الفعلية إلاّ بداية من منتصف القرن 3هـ ووسط المائة الرّابعة[2]، ففي هذه الفترة الأخيرة انتقلت الأندلس من عصر الإمارة إلى عصر الخلافة، الذي كان سببا في التحوّلات الواضحة في مختلف مجالات الحضارة، ولا سيما مجال العلم والمعرفة، فقد حباها الله بالخليفة عبد الرّحمن النّاصر (300-350هـ/912-961م)، الذي وفر لأهلها الأمن والرّخاء، وعمل على إيجاد المناخ الملائم لنموّ ثقافيّ ورقيّ علميّ، سيستفيد منه ابنه الحكم المستنصر (350-366هـ/961-976م) مواصلا جهد أبيه وسائرا على نهجه ومتتبّعا لأثره، ومتعهّدا ثمار جهودهما بالرّعاية حتّى صارت يانعة، فانعكس ذلك على ازدهار الحركة العلمية في الأندلس، ازدهارا لم يسبق لها أن عرفته من قبل، وسيكون له تأثيره الإيجابي على المراحل والعهود التالية من بعد

1. عوامل ازدهار الحركة العلمية في الأندلس قبيل العهد العامري:

1.1. تشجيع الحكم المستنصر للحركة العلمية:

يعتبر الحكم المستنصر أعظم حكام الأندلس، علما وأدبا وتأثيرا على مجرى الحركة العلمية فيها، على امتداد عصورها، فقد كان أبا للثقافة بالأندلس[3]، ويشير الكثير من المؤرّخين إلى شخصيته المتميّزة، كابن الأبّار الذي ذكره فقال:" صار كلّ ما كتبه حجّة عند شيوخ الأندلسيين وأئمّتهم، ينقلونه من خطّه ويحاضرون به ".[4]

---

[1] - مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، دار العلم للملايين- بيروت، ط4، 1979، ص72.

[2] - صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1993م، ص84/ بوباية عبد القادر، نفس المرجع، ص193.

[3] - مصطفى الشكعة، المرجع نفسه، ص102.

[4] - ابن الأبار القضاعي، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف-القاهرة، ط2، 1985، ج1ص202.

ويشير الحميدي في ترجمته لابن عبد ربّه[1] إلى ذلك بقوله:" هذا آخر ما رأيت بخطّ الحكم المستنصر وخطّه حجّة عند أهل العلم عندنا، لأنّه كان عالما ثبتا "[2]، وكان الحكم إذا قرأ كتب غيره من العلماء صحّح ما بها من أخطاء تعليقا، ونتيجة لشغفه بعلم الأنساب، صنّف فيه كتاب" أنساب الطالبيين والعلويين القادمين إلى المغرب"[3]، وفوق تمكّنه من العلوم الشرعية، وتحققه بالأنساب، كان أديبا ينظم الشعر الرّائق، وقد نسبت إليه أشعار كثيرة[4].

وإن دلّ هذا على شيء فإنّما يدلّ على التكوين الذي تلقاه من أفواه أبرز الرّجال عناية بالعلم في عصره، ومن العلماء الذين أسهموا في صقل مواهبه، وتشكيل شخصيته العلمية، نذكر على سبيل المثال لا الحصر: النّحوي محمد بن إسماعيل القرطبي، الذي عرف بالحكيم، وكان يوصف بدقة النظر وإثارة المعاني الغامضة، لا يجاريه أحد في ذلك[5]، وعلي بن معاذ بن سمعان الرّعيني، الذي كان لغويّا نسّابة، استقدمه الحكم المستنصر، فأخذ عنه الكثير من علمه[6]، كما سمع من ثابت بن قاسم، الذي أجاز له بعدما تبيّن له سعة حفظه.[7]

ولا يختلف اثنان حول مسألة اهتمام الحكم المستنصر بالحركة العلمية في عهده، فقد وفّر لها جميع الوسائل التي تجعل منها حقيقة مجسّدة على أرض الواقع، ومن أهمّ هذه الوسائل:

تشجيع العلماء على البحث والتأليف:

أحاط الحكم المستنصر نفسه بأولي النباهة من العلماء والأدباء، الذين احتشدوا في بلاطه، ووضع تحت تصرّفهم كل مستلزمات التأليف، فبرزت على ضوء ذلك

---

[1] - ابن عبد ربّه القرطبي أحمد بن محمد (246-328هـ/860-940م)، صاحب العقد الفريد. الذهبي شمس الدين، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط- إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط9، 1413هـ- 1993م، ج15ص283/ عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى- بيروت، دار إحياء التراث العربي- بيروت (د.ت)، ج2 ص115.

[2] - الحميدي أبو عبد ، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ط1، 1425هـ- 2004م، ص105/ الضبي، نفس المصدر، ص128.

[3] - المقرّي، نفس المصدر، ج3 ص60.

[4] - ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف- القاهرة، ط3، 1955، ج1 ص 186-187/ ابن الآبار، نفس المصدر، ج1 ص203.

[5] - الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث- بيروت، 1420هـ- 2000م، ج2 ص 150-151.

[6] - ابن عبد الملك المراكشي أبو عبد الله، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط1، السفر الخامس، القسم الأول، 1965، ص410.

[7] - المقري، المصدر نفسه، ج1 ص395.

المؤلّفات في مختلف صنوف العلم، حتى أصبح لكلّ صنف منها رائد.

وكان الحكم- أحيانا- يقترح على المؤلفين ببعض الموضوعات، مثلما فعل مع أبي بكر الزبيدي[1]، الذي ألف كتابه " طبقات النحويين واللغويين " بتوصية من الخليفة الحكم المستنصر[2]، كما اختصر كتاب " العين " للفراهيدي[3] وفق الترتيب والتصنيف اللذين حدّدهما له[4]، وألف أبو عثمان يعيش بن سعيد " مسند حديث ابن الأحمر" بأمر من الحكم[5]، وذكر ابن الفرضي أنّ محمد بن الحارث الخشني (ت361هـ/971م) ألف كتبا كثيرة للحكم، ثم قال:" بلغني أنه ألف له مائة ديوان"[6]، كما كان الحكم المستنصر قبل وأثناء ولايته يحفز أبا علي القالي على التأليف بواسع العطاء ويشرح صدره بالإفراط في الإكرام.[7]

وما من شك أن التحفيزات المادية كانت عطاءً جزيلا تنافس حوله العلماء، وساعدهم على ذلك اتساع دائرة الحرّية الفكرية، التي وفرها لهم الحكم المستنصر، فانطلقت حركة التأليف لتشمل كل مناحي الحياة.

---

1 - الزبيدي أبو بكر محمد بن الحسن النحوي الأندلسي الإشبيلي (ت 379هـ/989م). الحميدي، المصدر نفسه، ص52-55/ الضبي، المصدر نفسه، ص57/ الثعالبي أبو منصور، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1403هـ- 1983م، ج2 ص 80-81/ الفيروز آبادي، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، تحقيق: محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي- الكويت، ط1، 1407هـ، ص194-195.

2 - ك. بويكا، المصادر التاريخية العربية في الأندلس، تعريب: نايف أبو كرم، منشورات دار علاء الدين، دمشق، ط1، 1999، ص199.

3 - الخليل بن أحمد الأزدي الفراهيدي أبو عبد الرحمن البصري النحوي (100- 170 أو175هـ/718- 786 أو791م)، وهو صاحب العروض وصاحب كتاب العين في اللغة. الذهبي، المصدر نفسه، ج7 ص429- 430/ الفيروز آبادي، نفسه، ص99/ المزي يوسف بن عبد الرحمن ابن الزكي أبو الحجاج، تهذيب الكمال، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت،ط1، 1400- 1980، ج8 ص326/ الخزرجي صفي الدين أحمد بن عبد □، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية- دار البشائر، حلب- بيروت،ط5، 1416 هـ، ص106.

4 - ابن حيان القرطبي، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ط1، 1426هـ- 2006م، ص102.

5 - يعيش بن سعيد بن محمد بن عبد الله الوراق (ت394هـ/1003م)، وهو من أهل قرطبة ويعرف بابن الحجّام. ابن الفرضي، نفس المصدر، ص447. الحميدي، نفسه، ص373/ الضبي، نفسه، ص449/ الذهبي شمس الدين، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي- بيروت، ط1، 1407هـ- 1987م، ج27 ص398.

6 - ابن الفرضي، نفس المصدر، ص383-384.

7 - أبو علي القالي البغدادي اللغوي صاحب الأمالي والنوادر(280-356هـ/893-966م)، الزبيدي أبو بكر، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف- القاهرة، ط2، 1984، ترجمة رقم: 111، ص185-188/ ابن الفرضي، نفسه، ص67/ الصفدي، المصدر نفسه، ج9 ص115/ المقرّي، المصدر نفسه، ج3 ص70-75.

🙞 الامتيازات التي حظي بها العلماء عند الحكم المستنصر:

كانت المعرفة بعلوم الشريعة والشهرة في عالم الأدب الطريق الأنسب للارتقاء إلى أحد المناصب الإدارية السّامية كالوزارة والكتابة والقضاء والمظالم والإمامة وغيرها[1] ، ومن أجل ذلك تنافس الأدباء والعلماء للتقرّب من بلاط الأمويين، وكسب رضاهم وثقتهم، ومن ثمّ الحصول على درجة السّبق التي تمنحهم الحظوة عندهم، حتى" أصبحت المناصب الإدارية والقضائية، محتكرة في أغلب الأحيان من قبل ذوي الكفاءات العلمية والأدبية "[2]، وتسابق أهل الأندلس إلى طلب العلم لذاته، لكن الرّغبة كانت تحدوهم للاستفادة من الامتيازات المادية، التي تمكنهم من الظفر بمرتبات لا تنقطع، فضلا عن الامتيازات المعنوية، التي تجعلهم من أصحاب الوجاهة عند أولي الأمر، والأمثلة على ذلك كثيرة، ويكفي أن نشير إلى الحظوة التي لقيها النّحوي أبو بكر الزبيدي عند الحكم المستنصر، حينما أمره بالتزام مدينة الزّهراء، لتأديب ولده هشام المؤيّد في العربية، وأجرى عليه الأرزاق الواسعة.[3]

ولقد أعطى هذا السّخاء من الخليفة دفعا قويّا للحركة العلمية، وذلك بإذكاء الحماس وتشجيع الطاقات على الجودة والإبداع والتفنّن فيما أنشدته من شعر ، وما حرّرته من نثر، وكلّ ما ألّفته في شتىّ فروع العلم والمعرفة.[4]

🙞 توفير وسائل الثقافة والعلم في بلده:

أ/- الكتب: أخذ الحكم المستنصر على عاتقه مهمّة العناية بالكتب وجمعها من كل صُقع، باعتبارها أهمّ وسيلة لتثقيف مجتمعه، وغايته في ذلك تقريب الكتاب من طلبة العلم، وتسهيل عملية الوصول إليه، وبلغ اجتهاده في حيازة الكتب حدّا لا مجال فيه للمقارنة مع ملوك زمانه، ومن ذلك أنه بعث إلى أبي الفرج الإصبهاني ألف دينار، ليبعث إليه نسخة من كتاب الأغاني، فأرسلها إليه قبل أن تراها الأعين في بغداد[5]،

---

[1] Bartolomé Bennassar, Histoire des Espagnols, VIe-XVIIe siècle, Armand colin, Paris, Tome1, p111-112.

[2] - بوباية عبد القادر، نفس المرجع، ص197.

[3] - ابن حيان القرطبي، المصدر نفسه، ص101-102.

[4] - عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار الآفاق العربية- القاهرة، (دت)، ص156.

[2] - المقري، المصدر نفسه، ج1 ص386/ أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية- بيروت، (دت)، ص420.

[3] - صاعد، نفس المصدر، ص87.

وأثمرت هذه الجهود بورود عدد هائل من الكتب إلى قرطبة، حتىّ غصّت بها بيوت الحكم المستنصر وضاقت عنها خزائنه، وهو ما يؤكده صاعد الأندلسي بقوله: " وجمع منها في بقية أيّام أبيه، ثمّ في مدّة ملكه من بعده ما كاد يضاهي ما جمعته ملوك بني العباس في الأزمان الطويلة، وتهيّأ له ذلك لفرط محبّته للعلم، وبعد همّته في اكتساب الفضائل، وسموّ نفسه إلى التشبّه بأهل الحكمة من الملوك، فكثر تحرّك النّاس في زمانه إلى قراءة كتب الأوائل وتعلّم مذاهبهم ".[1]

وفي النّص دلالة واضحة على ضخامة ما جمعه الحكم من كتب، وإشارة إلى إقبال أهل الأندلس على قراءة مختلف العلوم والمذاهب، بما فيها تلك التي كانت في حكم المحظور قبل عهده.

ب/- المكتبات: وإذا كان صاعد في نصّه السّابق، لا يعطينا على وجه التحديد، كمّية الكتب التي جمعها الحكم المستنصر، فإنّ ابن حزم يروي لنا وبدقّة ما أخبره به الفتى " تليد "، الذي كان على خزانة العلوم، بقصر بني مروان بالأندلس، قائلا: "إنّ عدد الفهارس التي كانت فيها تسمية الكتب، أربع وأربعون فهرسة، في كلّ فهرسة خمسون ورقة ليس فيها إلاّ ذكر أسماء الدّواوين فقط ".[2]

ويتضح من خلال النصّ، أنّ الحكم قد حقق ما أراد بإنشاء مشروع مكتبة يضاهي بها خزانة العبّاسيين ببغداد والفاطميين بالقاهرة، حتى "عدّت من أجلّ خزائن الكتب المشهورة في العالم الإسلامي "[3]، فأضحت مكتبته هذه مثلا بارزا على الازدهار العلمي والنشاط الفكري، وفي هذا السّياق يذكر المقرّي أنّ الحكم المستنصر " جمع من الكتب مالا يحدّ ولا يوصف كثرة ونفاسة، حتى قيل إنها كانت أربعمائة ألف مجلد، وأنّهم لما نقلوها أقاموا ستة أشهر في نقلها ".[4]

وربّما هناك من يشكّك في صحّة العدد الوارد في هذا النصّ، إلاّ أنّه وبالنّظر إلى طول المدّة التي استغرقتها عملية نقل الكتب، لوضعها في خزانة الخليفة، يتأكّد لنا صدق ما ذهبت إليه هذه الرّواية بغضّ النظر عن الرّقم في حدّ ذاته.

---

[2] - ابن حزم الأندلسي، نفس المصدر، ص100.
[3] - القلقشندي أحمد بن علي بن أحمد الفزاري، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق: عبد القادر زكار، دار النشر وزارة الثقافة- دمشق، ط1، 1981، ج1 ص537.
[4] - المقري، المصدر نفسه، ج1 ص395.

وتجدر الإشارة إلى ظاهرة انتشار المكتبات في الأندلس، ذلك أنّها كانت تمثل عندهم أسمى مظاهر الوجاهة والأبّهة، وللمقرّي نصّ طريف في هذا الإطار، يقول فيه: " وأهلها أشدّ النّاس اعتناء بخزائن الكتب، صار ذلك عندهم من آلات التعيّن والرّياسة، حتّى أن الرّئيس منهم الذي لا تكون عنده معرفة، يحتفل في أن تكون في بيته خزانة كتب، وينتخب فيها ليس إلاّ لأن يقال فلان عنده خزانة كتب، والكتاب الفلاني ليس لأحد غيره، والكتاب الذي هو بخط فلان قد حصّله وظفر به ".[1]

وهكذا انتشرت المكتبات العامّة والخاصّة في القصور والبيوت، حيث أظهر النّاس حكّاما ومحكومين، رجالا ونساء، ولعا شديدا بجمع الكتب[2]، ولم يكن هذا حال قرطبة وحدها من دون مدن الأندلس الأخرى بل إنّ جميعها - كغرناطة وإشبيلية وطليطلة وغيرها- كانت تشهد نفس التطوّر الفكري، إلاّ أنّ قرطبة تبقى الرّائدة في ذلك، لأنّها كانت مقرّ الخلافة، يضاف إلى ذلك حجم سكّانها الذي فاق آنذاك كلّ مدن أوربا، حيث كان "يسكنها نصف مليون من السكّان، وسبعمئة مسجد، وثلاثمئة حمّام عمومي، وسبعين مكتبة عامّة، وعدد كبير من دكاكين الورّاقين ".[3]

ج/- صناعة الورق والورّاقين: كان لظهور هذه الصناعة بالغ الأثر على عملية انتشار الكتب والمكتبات في الأندلس، حيث تميّزت " مدينة شاطبة بصناعة الورق الفاخر، الذي كان يحمل منها إلى سائر بلاد الأندلس "[4]، الأمر الذي أدّى إلى بروز طائفة من أمهر الخطّاطين، كانت تسهر على النّسخ والتجليد، وقد خصّص لهم الحكم المستنصر جناحا كبيرا في قصره، ليقوموا بأداء عملهم فيه[5]، وكان ظفر البغدادي من رؤساء الورّاقين، الذين اشتهروا بالضّبط وجودة الخطّ وهو ممّن عملوا لدى الحكم المستنصر.[6]

---

[1] - نفسه، ج1 ص462-463.
[2] - طه عبد المقصود عبد الحميد أبو عبيّة، الحضارة الإسلامية- دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية، ، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1424هـ- 2004م، ج2 ص946.
[3] - روم لاندو، الإسلام والعرب، ترجمة: منير البعلبكي، دار العلم للملايين- بيروت، ط1، 1962م، ص177.
[4] - ياقوت الحموي، معجم البلدان، تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي- مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، (د.ت)، م3 ص115.
[5] - ابن خلدون عبد الرحمن، نفس المصدر، ج4 ص188.
[6] - ابن الأبار القضاعي، التكملة، ج1 ص278/ Anwar G.Chegne, Historia de Espana Musulmana, Segunda Edicion, Ediciones Catedra, S.A, 1980, Madrid, pag. 108.

د/- إقامة مكاتب العلم لأبناء الفقراء والمساكين مجّانا: قال ابن عذاري في هذا الصّدد: " ومن مستحسنات أفعاله – أي الحكم المستنصر- اتخاذه المؤدّبين يعلّمون أولاد الضّعفاء والمساكين القرآن حول المسجد الجامع، وبكلّ ربض من أرباض قرطبة، وأجرى عليهم المرتّبات، وعهد إليهم في الاجتهاد والنّصح ابتغاء وجه الله العظيم، وعدد هذه المكاتب سبعة وعشرون مكتبا، منها حوالي المسجد الجامع ثلاثة، وباقيها في كلّ ربض من أرباض المدينة ".[1]

وفي النصّ أدلّة قاطعة تؤكّد بكلّ وضوح حرص الحكم المستنصر على نشر الثقافة، وإشاعة المعرفة وتعميم التعليم بقرطبة ودعمه، لكي يتسنىّ للجميع أن ينال حظّه من العلم، " وبعمله هذا جعل من قرطبة أعظم معاهد التعليم في زمانه".[2]

2.1. انتشار مراكز التعليم:

لقد تعدّدت مراكز التعليم في الأندلس، وكان على رأسها المساجد التي لعبت دورا مزدوجا تمثل في ممارسة الشعائر التعبّدية، إلى جانب دورها في نشر العلم والتعلّم، كما برزت بنسبة أقلّ مراكز تعليمية أخرى كالبيوت والسّجون. **أ/- المساجد:** كان المسجد يؤدّي رسالة في تعليم النّاس وترغيبهم في العلم والمعرفة، ويدفعهم إلى الرقيّ في حياتهم الدّينية والدّنيوية، ولمّا اتسعت بيضة الإسلام مشرقا ومغربا، ازدادت أهمّيته، باتساع دائرة العلوم التي أصبح يقدّمها لطلاب العلم.

وفي هذا الإطار قامت مساجد الأندلس بدور رائد، فكانت بحقّ جوامع وجامعات تدرّس فيها علوم الرّواية (العلوم النقلية)، فضلا عن علوم الدّراية (العلوم العقلية)، وكان الطلاّب يقرأون جميع العلوم في المساجد بأجرة "[3]، ويشير المقرّي بإسهاب إلى جامع قرطبة وجامع مدينة الزّهراء[4]، فجامع قرطبة تحوّل إلى قبلة الطلاّب، الذين كانوا يتوافدون عليه في عهد الحكم المستنصر، من شتّى أنحاء

---

[1] - ابن عذاري المراكشي، نفس المصدر، ج2 ص240/ سعد عبد الله صالح البشري، الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس (422-488هـ/1030-1090م)، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية- الرياض، ط1، 1414هـ- 1993م، ص109.
[2] - ول ديورانت، ملخص قصة الحضارة، إعداد سهيل محمد ديب، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، ط1، 1423هـ- 2002م، ج2 ص288.
[3] - المقري، المصدر نفسه، ج1 ص220.
[4] - نفسه، ج1 ص558-565/ ابن غالب الأندلسي، قطعة من كتاب" فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس"، نشر لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية- القاهرة، م1، ج2، ربيع الأول 1375هـ- نوفمبر 1955م، ص297-303.

الأندلس والعالم الإسلامي والمسيحي على حدّ سواء، في جوّ اتسم بالتسامح والودّ من جانب المسلمين[1]، وفي جامع الزّهراء احتشدت أفواج الطلبة على الأديب اللغوي أبي علي القالي، للأخذ عنه: حيث كان يعقد مجالسه العلمية في كلّ يوم خميس، وكان يكتب عنه أكثر من أربعمائة من طلاب العلم في وقت واحد.[2]

وإلى جانب هذين الجامعين امتازت غريمات قرطبة من المدن الأندلسية الأخرى بجوامعها، التي كانت تضمّ حلقات العلم والدّرس كإشبيلية وغرناطة والمرية وسرقسطة وطليطلة وغيرها من المدن، التي أنجبت على أرضها وتخرج من جوامعها علماء ساهموا في النّهضة العلمية بالأندلس.

ب/- المجالس العلمية الخاصّة: تجدر الإشارة إلى أنّه وجدت بعض الحالات الاستثنائية تبيّن بوضوح تلقي العلم في البيوت والدّكاكين وحتى السّجون، وهي على قلتها من الأهمّية بمكان، إذ يمكن اعتبارها مجالس علمية خاصّة، تقوم بعمل تكميلي لدور المساجد وتؤكّد على انتشار العلم في كلّ ربوع الأندلس، ويورد لنا ابن بشكوال خبرا عن أحمد بن محمد بن فرج الجياني (ت366هـ/976م)، الذي سجنه الحكم المستنصر لكلام بلغه عنه، فلم يمنع ذلك طلبة العلم من الدخول إليه في سجنه، ليأخذوا عنه اللغة وغيرها.[3]

وإذا كانت هذه الحالة نادرة أو فريدة من نوعها، فإنّها تدلّ على إخلاص العلماء لعلمهم، كما تدلّ على وفاء الطّلاب وتضامنهم مع شيوخهم فيما يصيبهم من محن.

3.1. الرحلات العلمية:

كان طلبة العلم في الأندلس يبدأون مشوارهم العلمي في بلدهم، حتى إذا بلغوا حدّا معيّنا من العلم، وجدوا أنفسهم في حاجة ماسّة إلى الرّحلة لتحصيل علوم ومعارف أعظم علماء المسلمين في المشرق، ونقل مؤلفاتهم إلى الأندلس وبثها بين أهلها، ومن أجل ذلك كثرت رحلات الأندلسيين إلى مراكز العلم (القيروان- مصر-

---

[1] - زكريا هاشم زكريا، فضل الحضارة الإسلامية العربية على العالم، راجعه وقدم له وأشرف على إخراجه: محمد أحمد محمد المهدي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر- القاهرة، (د.ت)، ص313.

[2] - سعد عبد الله صالح البشري، الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس (316-422هـ/928-1030م)، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي-مكة المكرّمة، 1417هـ-1997م، ص140.

[3] - ابن بشكوال، نفس المصدر، ج1 ص21-22.

الحجاز- بغداد- الشام واليمن)، "حتى كان الفرد منهم يُشار بين بني قومه، حين يروي عن شيوخ هذه البلدان "[1]، وطمح من اطّ روي على كلّ من يريد أن يلبس تاج العلم والوقار، وينال به حظي الدّنيا والآخرة أن يتغرّب، ومن ثمّ "كانت الرّحلة إلى الحجاز لأداء الفريضة وطلب العلم على مذهب مالك، الذي تزيّاه أهل الأندلس"[2]، كما وجدت بعض الرّحلات التي جمعت بين التّجارة والسّياحة وطلب العلم، وقد وصف المقدسي هذا الصّنف الأخير بقوله: "يحبّون العلم وأهله، ويكثرون التّجارات والتغرّب".[3]

وأورد المقرّي في كتابه تراجم كثيرة للعديد من مسلمي الأندلس، الذين استقرّوا بالمشرق مؤقتا، من أجل التزوّد بالعلم، حتى بلغ من إقبال هؤلاء على ذلك، أنّ كان الرّجل يعاب عليه إن لم يكن من أهل الرّحلة إلى المشرق.[4]

أ/- الرّحلات الأندلسية نحو المشرق: من بين أهمّ الشخصيات التي يمّمت باتجاه المشرق الإسلامي خلال هذه الفترة من عهد الخلافة، نذكر على سبيل المثال لا الحصر العيّنات التالية:

* رحلة محمد بن يحي بن عبد السلام الأزدي القرطبي، المعروف بالرّباحي (ت358هـ/968م)، الذي سمع بمكّة من ابن الأعرابي الكوفي، وبمصر من أبي جعفر أحمد بن محمد النّحاس وغيره، وعاد إلى قرطبة حاملا معه كتاب سيبويه، فاجتمع الناس إليه وقرأوه عليه كلّ جمعة.[5]

* رحلة الأخوين أحمد وعمر ابني يونس بن أحمد الحرّاني، اللّذين رحلا إلى بغداد سنة 340هـ/951م، وعادا إلى الأندلس سنة 351هـ/962م، فاستخلصهما الحكم المستنصر لنفسه، وقد عرفا بمهارتهما في تحضير الأدوية والعلاج، خطّة علاج العين.[6]

---

[1] - إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، دار الثقافة- بيروت، ط6، 1981، ص38-39.
[2] - محمد حقي، نفس المرجع ، ص250.
[3] - محمد بن أحمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (مختارات)، تحقيق: غازي طليمات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي- دمشق، 1980، ص206.
[4] - عبد العزيز عتيق، نفس المرجع، ص153.
[5] - ابن الفرضي، نفس المصدر، ص348-349/ الزبيدي، نفس المصدر، ص310-314.
[6] - ابن جلجل أبو داوود سليمان بن حسّان الأندلسي، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، 1426هـ- 2005م، ص112- 113/ صاعد الأندلسي، نفس المصدر، ص102-103.

* رحلة محمد بن عبدون الجبلي الذي دخل البصرة سنة 347هـ/958م، وأتى مدينة الفسطاط بمصر ودبّر مارستانها، وقام على شؤونه، ثم رجع إلى قرطبة سنة 360هـ/970م، وأصبح من خواص أطباء الحكم المستنصر ثمّ ابنه هشام المؤيد.[1]

ب/- رحلات المشارقة إلى الأندلس: تتلخص أهمّ الرّحلات المشرقية نحو العدوة الأندلسية، خلال الفترة الممتدّة من عهد الحكم المستنصر إلى قبيل عهد الحجابة العامرية بقليل فيما يلي:

* رحلة أبي الحسن علي بن محمد الأنطاكي، الذي كان عالما بالقراءات السّبع، رأسا فيها، وقد حلّ بمصر ثمّ دخل قرطبة سنة 352هـ/963م، بطلب من الحكم المستنصر، فنزل من الخليفة ومن الناس المنزلة الرفيعة.[2]

* رحلة عبيد الله بن عمر بن أحمد بن محمد بن جعفر القيسي الشافعي أبو القاسم البغدادي، الذي قدم إلى قرطبة سنة 347هـ/958م، وبقي فيها يدرس الفقه الشافعي ثلاث عشرة سنة، حتى وفاته بها سنة 360هـ/970م، وكان الحكم المستنصر يكرم وفادته ويوسع له، ويتألّفه بالعطاء ويجلّه ويعظمه كثيرا.[3]

ومجمل القول ممّا تقدّم، أنّ النّهضة العلمية التي عرفتها الأندلس في هذه الحقبة، كان وراءها عدة عوامل، أهمّها:

- تشجيع الحكم المستنصر للحركة العلمية بتوفير كلّ وسائل ومتطلبات الثقافة، وتحفيزه للعلماء ماديّا ومعنويّا، بغية تطوير البحث في ميدان العلم والمعرفة.

-كثرة الرّحلات العلمية إلى المشرق (الحجاز- بغداد- مصر...)، وما نتج عنها من تحويل لأمّهات الكتب والمصادر المشرقية نحو الأندلس.

- انتشار المكتبات العامّة والخاصّة في القصور والبيوت، وما كان لها من أثر على العلم والتعلم ونشر الثقافة.

---

1 - ابن جلجل، المصدر نفسه، ص115/ صاعد، المصدر نفسه، ص103/ ابن أبي أصيبعة موفق الدين أبي العباس، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ضبطه وصحّحه ووضع فهارسه: محمد باسل عيون السّود، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1419هـ- 1988م، ص452- 453.

2 - ابن الفرضي، المصدر نفسه، ص253/ المقري، نفس المصدر، ج3 ص144.

3 - ابن الفرضي، نفسه، 209- 210/ ابن عساكر الدمشقي أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلّ بها من الأفاضل، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر- بيروت، 1995، ج38 ص55-56.

- انتشار مراكز التعليم في المساجد والمجالس العلمية الخاصّة.

والجدير بالذكر، أنّ الحركة العلمية في عهد الحكم المستنصر، اتخذت طابع الشمولية، حيث مسّت المشاركة العلمية كلّ ألوان المعرفة، وكان الدافع إلى ذلك شيوع حرّية الفكر، التي التزم بصيانتها الخليفة الحكم، وكلاً بها العلماء على تنوّع مشاربهم العلمية واختلاف مذاهبهم الدّينية، فنتج عن ذلك إنتاج فكري غزير، لم يسبق للأندلس أن شهدته من قبل، حتى أصبح ما كان محظورا بالأمس القريب، مسموحا به ومباحا، وأعني بذلك الدّراسات الفلسفية والطبيعية.

والحقيقة التي لا يختلف حولها اثنان، أنّ الثقافة في الأندلس انتشرت، وعمّت ظاهرة التعليم والتعلم، خلال هذه الحقبة ومسّت كل الشرائح الاجتماعية، و لم تستثن حتى الفقراء والضّعفاء من عامّة الناس.

وإذا كانت الثقافة الأندلسية مشرقية الجذور، فإنّها ما فتئت تبرز ذاتيتها وتحقق لنفسها الطّابع المحلّي الخاص شيئا فشيئا، حيث بدأت الرّوح القومية الأندلسية تظهر في إنتاج علماء الأندلس، الذين جعلوا إنتاجهم مرتبطا بأرضهم ومحيطهم، وما كانت تفرضه عليهم الشخصية الأندلسية، فكتبوا عن تراث وتاريخ بلدهم، وترجموا لأعلامه من شعراء وقضاة وأدباء ومؤرّخين وغيرهم.

2. مظاهر الحركة العلمية بالأندلس خلال عهد الحكم المستنصر:(350-366هـ/961-976م)

لقد أدّت الحرّية الفكرية التي تمتّع بها العلماء في الأندلس، فضلا عن التحفيزات التي تلقاها هؤلاء أثناء هذا العهد، إلى توفير المناخ الملائم الذي ساعد على استقطاب العلماء من داخل الأندلس وسائر مراكز الثقافة في البلاد الإسلامية، وقد ترتب عن ذلك بروز طائفة من العلماء، ساهموا في إحداث نقلة نوعية في الحركة الفكرية بالأندلس، بغزارة ما جادت به قرائحهم في حقل التأليف، الذي مسّ كل ميادين العلم والمعرفة بدون استثناء.

وفي ميدان اللغة وعلومها، برزت مؤلفات أبي علي القالي، وأبي بكر الزبيدي على وجه الخصوص، وفي التاريخ برزت مؤلفات آل الرّازي[1] ، ا لتيضا ع ولابن حيّان القرطبي الفضل الكبير في حفظ الكثير منها في نقولاته بكتابه " المقتبس"[2] ، كما ألف أبو بكر بن القوطية كتابه " تاريخ افتتاح الأندلس"، وعريب بن سعيد كتابه " صلة تاريخ الطبري".[3]

ومن أشهر ما ألف في التراجم: كتاب" تاريخ قضاة قرطبة " لمحمد بن حارث الخشني، وفي الفقه ومذاهبه كان أكثره ما ألف حول المذهب المالكي لرسوخه في الأندلس، ومن أشهر مؤلفات المالكية خلال عهد الخلافة كتاب " الطبقات فيمن روى عن مالك وأتباعه من أهل الأمصار" لعبد الله بن أبي دليم.[4]

ولم يمنع انتشار المذهب المالكي في الأندلس من إتباع مذاهب أخرى كالمذهب الشافعي، وكان على رأس من عرفوا به حينئذ: عثمان بن سعيد الكناني المعروف بحرقوص[5]، وأحمد بن عبد الوهاب بن يونس، الذي كان يميل إلى المذهب الشافعي وينسب إلى مذهب الاعتزال، وكان من المتردّدين على الحكم المستنصر[6]، ولم يكن منذر بن سعيد البلوطي[7] يخفي ميله إلى المذهب الظاهري، وفي الفلسفةشا ع مبادئ مبادئ ابن مسرّة[8] وآراءه، بعد أن حوربت في عهد عبد الرحمن الناصر، وأصبح للمدرسة المسرية الكثير من الأتباع منهم: طريف الرّوطي و أبان بن عثمان[9] ، وفي الرّياضيات جلس أبو بكر بن أبي عيسى للتعليم أيام الحكم ، وكان متقدما في الهندسة والعدد والنجوم[10]، وفي الطب نبغ عريب بن سعيد صاحب كتاب " خلق الجنين

---

[1] - أولهم: محمد بن موسى الرازي (ت273هـ/886م)، ثم ابنه: أبو بكر أحمد بن محمد الرازي (ت324هـ/936م)، وثالثهم: عيسى بن أحمد بن محمد بن موسى الرازي (379هـ/989م). أنخل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، نقله عن الإسبانية: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة، 1955، ص197-198/ك. بويكا، نفس المرجع، صص62-64 و101-104 و136-138.

[2] - ك. بويكا، نفسه، ص137.

[3] - بالنثيا، نفسه، ص206.

[4] - ك. بويكا، نفسه، ص170 وستأتي ترجمته في حينها ضمن أعلام البربر.

[5] - ابن الفرضي، المصدر نفسه، ص242-243.

[6] - ابن الفرضي، المصدر نفسه، ص49.

[7] - ستأتي ترجمته لاحقا ضمن أعلام البربر .

[8] - أبو عبد الله بن مسرّة (269-319هـ/883-931م)، متصوف، متفلسف أندلسي، من دعاة الإسماعيلية. خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين- بيروت، ط15، مايو 2002، ج6 ص223.

[9] - ابن الفرضي، نفسه، ص28/ أحمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف- القاهرة، ط12، 1997، ص191.

[10] - صاعد الأندلسي، نفس المصدر، ص89.

وتدبير الحبالى والمولود "[1]، وأبو عبد الله محمد بن تمليخ التميمي القرطبي (ت361هـ/971م)، الذي له في الطب تأليف حسن الأشكال.[2]

3. الإسهام الفكري للبربر في الحركة العلمية بالأندلس على عهد الحكم المستنصر:

تميّز هذا العهد بإقبال الأندلسيين - بمختلف انتماءاتهم المذهبية والعرقية- على طلب العلم والمعرفة، ممّا أدّى إلى بروز إنتاج فكري، شمل مختلف الميادين العلمية والثقافية، وكان للبربر نصيب محترم في ذلك.

1.3. العلوم الدينية:

أ)- الفقه: برز في هذا المجال عدد لا بأس به من العلماء خلال هذه الفترة، نذكر منهم على سبيل المثال: أبو الحكم منذر بن سعيد البلوطي الكزني (ت355هـ/965م)[3]، الذي الذي كان إماما فقيها ذا دين متين[4]، وأبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي دليم القرطبي (ت351هـ/962م)، الذي له تآليف مشهورة منها " كتاب الطبقات فيمن روى عن مالك وأتباعه من أهل الأمصار"[5]، هذا إلى جانب أبي محمد عبد الله بن عيسى بن أبي زمنين النفزي المري (ت359هـ/969م)، الذي عدّ من الفقهاء وأهل العلم[6]، ويحي بن عبد الله بن يحي بن يحي بن كثير بن وسلاس المصمودي (ت367هـ/977م)، الذي " لم يشهد بقرطبة مجلسا أكثر بشرا من مجلسه في الموطأ"[7]، كما كان لأخت منذر بن سعيد (من أعلام القرن 4هـ) شأن كبير، حيث " قصدتها

---

[1] - بالنثيا، المرجع نفسه، ص 207/ طه عبد المقصود، نفس المرجع، ج2 ص910.

[2] - صاعد، نفسه، ص102/ ابن أبي أصيبعة، نفس المصدر، ص451.

[3] - ابن الفرضي، المصدر نفسه، ص404-405/ الذهبي شمس الدين، العبر في خبر من عبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت- الكويت، ط2، 1984، ج2 ص308- 309/ اليافعي أبو محمد عبد الله بن أسعد، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، دار الكتاب الإسلامي-القاهرة، 1413هـ- 1993م، ج2 ص358.

[4] - ابن الأثير الشيباني أبو الحسن، الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط2، 1415هـ، ج7 ص367-368.

[5] - القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج2 ص108/ محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، خرّج حواشيه وعلق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية- بيروت، (د.ت)، ج2 ص134.

[6] - ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: مأمون بن محي الدين الجنّان، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1417هـ- 1996م، ص366/ القاضي عياض، نفسه، ج2 ص193.

[7] - ابن الفرضي، نفسه، ص442-443/ ابن فرحون، نفسه، ص434/ ابن الخطيب لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1424هـ- 2004م، ج4 ص319-320/ محمد مخلوف، المرجع نفسه، ج2 ص147.

عجائز ناحيتها صوالح نسائهم للذكر والتفقه في الدّين ودراسة سير العابدين في مسجد لها لصق بيتها بفحص البلوط ".[1]

ب)- علوم القرآن: من أهم التخصصات البربرية التي نوّهت بها كتب التراجم في هذا المجال خلال الفترة التي نحن بصدد الحديث عنها: منذر بن سعيد البلوطي، الذي" كان حافظا لما قالت العلماء في تفسير القرآن وأحكامه ووجوهه في حلاله وحرامه، كثير التلاوة له، حاضر الشاهد بآياته، له فيه كتب مفيدة، منها كتاب الناسخ والمنسوخ"[2]، وكتاب الأحكام وهو كتاب في غريب القرآن وتفسيره.[3]

ج)- علوم الحديث: من أهمّ الأسماء التي سجّلت حضورها بقوّة في هذا التخصص من علماء البربر خلال هذه الفترة: منذر بن سعيد البلوطي، الذي كان كثير التصانيف، ومن ذلك تأليفه في السّنة[4]، وسعيد بن ثابت بن قاسم العوفي السرقسطي البربري، الذي بعد عودته من الحج سنة 355هـ/965م حدّث بكتاب " الدّلائل " عن أبيه عن جدّه[5]، إلى جانب أبي إسحاق إبراهيم بن هارون بن خلف بن عبد الكريم بن سعيد المصمودي الأشوني (ت360هـ/970م)، الذي كان ضابطا لما كتب، ثقة فيما روى[6]،

2.3. الآداب وعلوم اللغة:

أ)- النثر: من أشهر أدباء البربر الذين نبغوا في ميدان النثر خلال هذا العهد: منذر بن سعيد البلوطي صاحب الخطبة الشهيرة، التي ألقاها بدون استعداد ولا رويّة بمناسبة احتفال الخليفة الناصر بقدوم رسل ملك الروم قسطنطين سنة 336هـ/947م[7] ، ومن سحر بلاغته وسرّ براعته في ذمّ تقليد أهل الجهل قوله: " انعق بما شئت تجد

---

[1] - ابن الأبار، نفس المصدر، ج4 ص245.

[2] - الزبيدي أبو بكر، نفس المصدر، ص295- 296/ الفيروز آبادي، نفس المصدر، ص226/ محمد مخلوف، المرجع نفسه، ج2 ص135.

[3] - محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، دار الكتاب العربي- بيروت، ط4، 1403هـ- 1983م، ج1 ص10.

[4] - ابن خاقان، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق: محمد علي شوابكة، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط1، 1983، ص238/ المقري، نفس المصدر، ج1 ص372.

[5] - ابن الأبار، المصدر نفسه، ج4 ص110.

[6] - ابن الفرضي، نفسه، ص24/ ياقوت الحموي، نفس المصدر، م1 ص159/ الزبيدي محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، (د.ت)، ج35 ص257.

[7] - مطمح الأنفس: ص 240- 245/ ياقوت الحموي، معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلامي- بيروت،ط1، 1993م، ج6 ص2717- 2720/ المقري، نفسه، ج1 ص368-371.

أنصارا، ورُم أسفارا تجد حمارا يحمل ما وضعت من أسفار، مثله كمثل الحمار يحمل أسفارا له، وما درى إن كان ما فيها صوابا أو خطأ، إن سئلوا قالوا كذا روينا، كبيرهم يصغر عند الحفل لأنه قلد أهل الجهل"[1]، كما كان عبيد الله بن عبد الله الزجالي وزيرا للحكم المستنصر سنة 361هـ/971م[2]، وهو من أسرة توارثت الكتابة لدى بني أمية في الأندلس، عرفت ببيت بني الزجالي[3]، ويذكر أنّ أبا بكر يحي بن عبد عبد الله بن محمد المغيلي، كان يعدّ من جملة الأدباء البلغاء والكتاب الذين اشتهروا بجودة التآليف[4]، بينما تبوّأ جعفر بن عثمان المصحفي (ت372هـ/982م) مكانة مرموقة لدى الحكم المستنصر، الذي استوزره وأمضاه على كتابته الخاصّة لتقدّمه في صناعة الكتابة وفضّله على طبقته بالبلاغة.[5]

ب)- الشعر: لقد حفل هذا العهد بنخبة من الشعراء البربر المتقدّمين في النظم البديع، نذكر منهم: أبا بكر يحي بن عبد الله بن محمد المغيلي، الذي تميّز شعره بالبلاغة والجودة، ولم يتخلف منذر بن سعيد في هذا الفنّ عن أهل زمانه، فقد جادت قريحته بنظم بليغ، يجعله في نفس الدّرجة مع كبار شعراء عصره، ومن جميل شعره ما تصدّى به ردّا على تعصّب أهل الأندلس للمذهب المالكي، معيبا عليهم ذلك بقوله: [من الطويل]

عَذِيري مِنْ قَوْمٍ يَقُولونَ كُلَّمَا ... طَلَبْتَ دَلِيلاً هَكَذَا قَالَ مَالِكُ

وإنْ عُدْتَ قالوا هكَذَا قالَ أشْهَبُ ... وقدْ كانَ لا يَخْفَى عَليهِ المَسَالِكُ

وإنْ زِدْتَ قالوا قالَ سَحْنُونُ مِثْلَهُ ... ومَنْ لمْ يَقُلْ مَا قَالَهُ فَهُوَ آفِكُ

فإنْ قُلْتَ قالَ اللهُ ضَجُّوا وأَكْثَرُوا ... وقَالُوا جَمِيعًا أنْتَ قِرْنٌ مُمَاحِكُ

وإنْ قلتَ قدْ قالَ الرسولُ فَقَوْلُهُمْ ... أتَتْ مَالِكًا في تَرْكِ ذَاكَ المَسَالِكُ[6]

---

[1] - يوسف بن عبد البر النمري، جامع بيان العلم وفضله، دار الكتب العلمية- بيروت، 1398هـ، ج2 ص131-132.

[2] - ابن حيان، نفس المصدر، ص59.

[3] - يعتبر محمد بن سعيد الزجّالي مؤسس هذا البيت بقرطبة، والزجاجلة من بني يطفت من نفزة. ابن حيّان القرطبي، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق: محمود علي مكي، دار الكتاب العربي- بيروت، 1393هـ-1973م، ص31- 32.

[4] - ابن الفرضي، المصدر نفسه، ص441/ السيوطي، نفس المصدر، ج2 ص336.

[5] - ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1 ص257- 260/ ابن عذاري، نفس المصدر، ج2 ص254- 255.

[6] - العمري صالح بن محمد بن نوح، إيقاظ همم أولي الأبصار، دار المعرفة- بيروت، 1398هـ، ص82.

كما يعتبر جعفر بن عثمان المصحفي من الشعراء المكثرين، حيث تمكّن من الإجادة والتصرّف في أفانين البيان، وهو القائل: [من الطويل]

سَأَلْتُ نُجُومَ اللَّيْلِ هَلْ يَنْقَضِي الدُّجَى فَخَطَّتْ جَوَابًا بِالثُّرَيَّا كَخَطِّ لا

ومَا عَنْ جَوًى سَامَرْتُهَا غَيْرَ أَنَّنِي أُنَافِسُهَا المَجْرَى إِلَى رُتَبِ العُلا[1]

ج)- علوم اللغة: اهتمّ البربر بفروع اللغة كالنحو وفقه اللغة وعلم المعاني، إلاّ أنّ كتب التراجم عند تعرّضها لأهل التخصّص من البربر في اللغة العربية، غالبا ما تنعتهم بإشارات بسيطة وعامّة لا تحدّد تخصّص كلّ منهم بدقة، ومن بين علماء البربر خلال هذه الفترة نجد الشخصيات التالية: أبو محمد عبد الله بن محمد بن أبي دليم، الذي كان بصيرا بالإعراب[2]، وأبو بكر عبد الله بن هرثمة بن ذكوان القرطبي (ت370هـ/980م)، الذي "كان عاقلا أديبا، عالما باللغة والنحو"[3]، و أبو بكر يحي بن عبد الله بن محمد المغيلي، الذي كان بصيرا بالنحو وغريب اللغة[4]، إلى جانب أبي بكر إسماعيل بن بدر بن إسماعيل بن زياد، الذي كان أحد وجوه أهل قرطبة في العربية[5]، دون أن ننسى منذر بن سعيد، الذي كان نحويا لغويا إماما فيهما[6].

و للإشارة فأنّ غالبية البربر تعرّب لسانهم فانصهروا في المجتمع الأندلسي، متخذين العربية لغتهم وطريقهم إلى سائر العلوم، التي كانت متداولة في عهدهم، وصار بعضهم أعلم بلغة العرب ونافسوهم في ميادين اللغة والأدب نثرا ونظما.

3.3. العلوم العقلية وعلوم أخرى:

رغم الانفتاح الذي عرفته الأندلس في عهد الحكم المستنصر، فإنّ الإقبال والاهتمام بالعلوم العقلية لم يحفّز إلاّ قلة من علماء الأندلس على اختلاف عناصر المجتمع بما فيهم البربر على الخوض في هذه العلوم، ولم يبرز خلال هذه الفترة من البربر أيّ عالم في العلوم العقلية، في حين برزت قلة منهم في العلوم الأخرى، وهم: منذر بن سعيد البلوطي، الذي " كان بصيرا بالجدل، منحرفا إلى مذهب الكلام، لهجا

---

[1] - أبو عبد الله محمد بن الكتاني الطبيب، كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق: إحسان عباس، دار الشروق- بيروت، ط2، 1401هـ- 1981م، ص28/ وقد ورد هذان البيتان في الحلّة: ج1 ص259 وبينهما البيت التالي: وكُنْتُ أرَى أنّي بآخِرِ ليْلَةٍ فأطْرَقَ حتَّى خِلْتُهُ عَادَ أوَّلاً/ وفي النفح: ج1 ص604- 605.

[2] - ابن الفرضي، المصدر نفسه، ص191/ القاضي عياض، نفس المصدر، ص108.

[3] - ابن الفرضي، نفسه، ص195/ القاضي عياض، نفسه، ص253.

[4] - ابن الفرضي، نفسه، ص441/ السيوطي، المصدر نفسه، ج2 ص336.

[5] - صاعد الأندلسي، نفس المصدر، ص90.

[6] - الفيروز آبادي، نفس المصدر، ص226.

بالاحتجاج، وكان ينحل في اعتقاده أشياء الله مجازيه بها ومحاسبه عنها"[1] ، ومن ذلك آراؤه المتعلقة بالجنّة والنار، حيث يذهب إلى أنهما مخلوقتان، إلاّ أنّه كان يرى أنّ الجنّة ليست التي كان فيها آدم عليه السّلام وامرأته، واحتجّ في ذلك بأدلة ساقها ابن حزم في كتابه الفصل في الملل والأهواء والنِّحل، وردّ عليها ردّا مقنعا[2]، كما كان عبد الملك بن منذر بن سعيد البلوطي، متّهما بمذهب المعتزلة[3]، أمّا أبو بكر عبد الله بن هرثمة بن ذكوان، فقد كان حافظا للمشاهد والأيام.[4]

والملاحظة التي نخرج بها كخلاصة عن هذه الفترة، هي إسهام البربر في مختلف أنواع العلوم والمعرفة التي كانت متداولة في الأندلس، باستثناء العلوم العقلية، التي غاب عنها حضور البربر غيابا شبه كلّي، ولئن كانت هذه المشاركة قليلة مقارنة بمساهمة العنصر العربي، فإنّها كانت نوعية متمثلة في بعض الشخصيات، التي استطاعت أن تبرز بقوّة وتحقّق التفوّق والرّيادة في مجال تخصّصها، كأبي عيسى يحي بن عبد الله الليثي، ومنذر بن سعيد البلوطي الذي يعتبر بحق عالما موسوعيا أشاد بعلمه أبناء بلده الأندلس فضلا عن المغاربة والمشارقة، ولا تزال الآثار التي ألفها شاهدة على شموخه فيما يستدلّ به من آرائه بشأن مختلف المسائل الموجودة في ثنايا كتب التراث الإسلامي كالتفسير والخطابة والشعر وما إلى ذلك.

---

[1] - ابن الفرضي، المصدر نفسه، ص405.

[2] - ابن حزم الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة السلام العالمية- مطبعة مصر، 1394هـ، ج4 ص68- 69.

[3] - ابن حزم الأندلسي، طوق الحمامة في الألفة والألاف، تحقيق: عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي- حلب، ط1، 1424هـ- 2004م، ص91.

[4] - القاضي عياض، المصدر نفسه، ص 253.



الفصل الأول:

الحركة الفكرية في الأندلس من العهد العامري إلى زوال الخلافة الأموية

(371 – 422 هـ/ 981 – 1031 م)

1- العوامل المساعدة على استمرار الحركة الفكرية خلال العهد العامري.
2- أثر الفتنة على الحركة العلمية بالأندلس.
3- الإسهام الفكري للبربر في الحركة العلمية بالأندلس من العهد العامري إلى زوال الخلافة بالأندلس.

يعتبر العهد العامري امتدادا طبيعيا للخلافة الأموية بالأندلس من الناحية الرسمية، ذلك أنّ أهل الأندلس بايعوا هشاما المؤيّد بالخلافة بعد وفاة أبيه الحكم المستنصر[1]، فأصبح يمثّل شرعية الخلافة، إلاّ أنّ الخليفة الجديد لم يكن بوسعه إدارة شؤون البلاد والعباد، بحكم حداثة سنّه[2]، فكان من الضروري أن تكلأه وصاية أمينة، تنصح له وتهيّئه لأسباب الحكم إلى أن يبلغ رشده.

وفي هذه الأثناء كان محمد بن أبي عامر من أبرز الشخصيات المؤهّلة للقيام بدور الوصيّ على الفتى هشام، حيث استطاع أن ينتقل من رجل عادي، يكتب العرائض على باب القصر، إلى شخصية مميّزة بالعمل داخل القصر، بطلب من السيّدة صبح أمّ هشام، التي خدمها فأحسن خدمتها، فزكّته لدى الخليفة، وإذ به يصبح من خواص الدّولة ووجوهها كما جعله وكيلا لوليّ العهد هشام.[3]

ولمّا علمت نصارى الشمال بوفاة الحكم، قرعت طبول الحرب على دار الخلافة، فنهض ابن أبي عامر بدفاع العدو صدر دولة هشام، وكان قيامه بالجهاد دون الجماعة سببا في توصّله إلى تدبير الملك[4]، وتمكّن بما أوتي من حيلة وذكاء أن يطيح بكلّ خصومه من رجالات الدولة، الذين رأى فيهم منافسا له في الأمر[5]، وكان آخرهم غالب بن عبد الرحمن، الذي تخلص منه بقائد جيش الحضرة جعفر بن علي بن حمدون، ثم دبّر مكيدة اغتال بها هذا الأخير وأعدم قاتله لكي لا ينكشف الأمر.[6]

فلمّا صفا له الجوّ بدا له أن يستبدّ بالأمر كله، فاستأثر بمنصب الحجابة، وتلقب بالمنصور سنة 371هـ/981م، ودعي له على المنابر استيفاء لرسوم الملوك، وأخذ الوزراء ووجوه بني أميّة بتقبيل يده[7]، وعندها حجب الخليفة عن أعين الناس، وقوّى

---

[1] - بويع يوم الاثنين 4 صفر، وخلع يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة 399 هـ- 1009 م. ابن عذاري، نفس المصدر، ج2 ص253.

[2] - ولي وسنّه 9 سنين. المقري، نفس المصدر، ج1 ص396/ مجهول تاريخ الأندلس، تحقيق: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1428هـ- 2007م، ص216 وفيه " وسنّه يومئذ 10 أعوام و8 أشهر" / وعند ابن عذاري، المصدر والصفحة نفسها: "وسنّة 11 سنة و8 أشهر".

[3] - ابن بسّام الشنتريني، نفس المصدر، ج4 ص37/ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص59.

[4] - ابن بسّام، نفسه، ج4 ص38.

[5] - ليفي بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية، ترجمه إلى العربية: علي عبد الرءوف البمبي وآخرون، Espasa Calpe, S.A , Madrid, 1967، ط3، ص445- 446.

[6] - ابن عذاري، نفسه، ج2 ص279/ خليل إبراهيم السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار المدار الإسلامي- بيروت، ط1، 2004، ص197.

[7] - ابن عذاري، المصدر نفسه، ج2 ص279.

نفوذه بجنود البربر لا سيما من صنهاجة، التي كانت تمثل القوّة الضّاربة للمنصور[1]، فأصبح الآمر النّاهي في الأندلس لعهدسمّي بعهد الحجابة.

وخلفه عليها ابنه عبد الملك المظفر من سنة 392هـ/1002م إلى سنة 399هـ/1008م، ثمّ أخوه عبد الرحمن شنجول، الذي عمل بعده بضعة أشهر، حتى قتل في رجب من نفس السنة، وبوفاته دخلت الأندلس في فتنة أذهبت ريحها وشتتت وحدتها ومزّقتها كلّ ممزق إلى طرائق أشبه بالفسيفساء، تولى حكمها أمراء ضعاف جعلوا بأسهم بينهم، أمّا الخلافة فظلت تترنّح في حالة من الضعف الشديد إلى سقوطها نهائيا سنة 422هـ/1031م.

1. العوامل المساعدة على استمرار الحركة الفكرية بالأندلس خلال العهد العامري:

1.1. تشجيع المنصور بن أبي عامر للحركة العلمية:

لئن كان المنصور بن أبي عامر سياسيا محنكا وقائدا مظفرا، فإنّه إلى جانب هذا وذاك كان عالما محبّا للعلماء، يكثر مجالستهم ويناظرهم، وقد أكثر العلماء ذكر مناقبه، وصنّفوا لها تصانيف كثيرة[2]، ذلك أنّ الرجل نشأ في صباه نشأة علمية بقرطبة، فدرس الحديث وقرأ الأدب والنحو، على أيدي كبار شيوخ المسجد الجامع، كأبي بكر بن معاوية القرشي، وأبي علي القالي البغدادي، وأبي بكر بن القوطية.[3]

وكان لتكوينه العلمي ونشأته الثقافية بالغ الأثر على موقفه من الحركة العلمية في عهده، باعتباره أحد رواد الحركة الفكرية حينئذ، ومن ثمّ شجّع العلم وأكرم العلماء وأحبّ مجالستهم، وحرص على صحبة طائفة من الكتاب والشعراء في حله وترحاله[4]، ويذكر " ريبيرا " أنّ المنصور كان يصحب في بعض غزواته أربعون شاعرا من كلّ طبقة ليقولوا الشعر في تلك الوقائع[5]، فرغم انشغاله بالجهاد والغزو، كان للمنصور مجلس أسبوعي يجتمع فيه كبار علماء عصره، ماكان

---

[1] - ابن خلدون ، نفس المصدر، ج6 ص238.
[2] - ابن الأثير، نفس المصدر، ج8 ص25.
[3] - ابن عذاري، المصدر نفسه، ج2 ص257/ محمد سهيل طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، دار النفائس- بيروت، ط1، 1426هـ/2005م، ص361- 362.
[4] - محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس- الخلافة الأموية والدولة العامرية، العصر الأوّل، القسم الثاني، ط4، مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1389هـ- 1969م، ص703.
[5] - بالنثيا، نفس المرجع، ص65.

مقيما بقرطبة[1]، فيأنس بما يسمع ويناظر فيه، وتطرب نفسه للشعر الجيّد، وكثيرا ما تجود قريحته بنظم حسن يطارح به جلساءه، ومن ذلك مثلا قوله في الفخر: [من الطويل]

أَلَمْ تَرَنِي بِعْتُ الإِقَامَةَ بالسُّرى ... ولِينُ الحَشَايا بالخُيولِ الضَّوامِرِ

تَبَدَّلْتُ بَعْدَ الزَّعْفرانِ وطِيبِهِ ... صَدَا الدِّرْعِ مِنْ مُسْتَحْكَمَاتِ المَسَامِرِ

أَرُونِي فَتًى يَحْمِي حِمَايَ ووَقْفَتِي ... إِذَا اشْتَجَرَ الأَقْرانُ بَيْنَ العَسَاكِرِ

أنا الحاجِبُ المَنصورُ مِنْ آلِ عامِرٍ ... بسيْفِي أَقُدُّ الهَامَ تَحْتَ المَغَافِرِ

تِلادُ أميرِ المُؤمنينَ وعَبْدُهُ ... ونَاصِحُهُ المَشهودُ يَوْمَ المَفَاخِرِ

فلا تَحْسَبُوا أَنِّي شُغِلْتُ بِغَيْرِكُمْ ... ولكِنْ عَهِدْتُ الله في قَتْلِ كافِرِ[2]

وإلى جانب ما أثر عن المنصور من شعر حسن، كان له نثر من النوع الرّاقي، ومن ذلك وصيّته الحكيمة لابنه عبد الملك المظفر لمّا حضره الموت، وقد كانت هذه الوصيّة بمثابة رؤية مستقبلية، وخطة عملية لما يجب أن تكون عليه الدولة من بعده، وما يجب أن يتصرّف به ابنه كحاكم أمام جميع الظروف والمستجدات والطوارئ، وممّا جاء في هذه الوصيّة، فيما أورده لنا ابن حيّان:

" يا بنيّ، لست تجد أنصح لك ، ولا أشفق عليك منّي، فلا تعدّين وصيّتي، فقد جرّدت لك رأي ورويّتي، على حين اجتماع من ذهني، فاجعلها مثالا بين عينيك".[3]

وبعد أن وجّه إليه سلسلة من النصائح في كيفية تسيير الدولة من بعده، في أمور شتى كالإنفاق والرعيّة وصاحب القصر، أوصاه بأخيه عبد الرحمن وحذره من بني مروان قائلا له: " فإن انقادت لك الأمور بالحضرة، فهذا وجه العمل، وسبيل السّيرة، وإن اعتاضت عليك، فلا تلقين بيدك إلقاء الأمة، ولا تبطر بك وأصحابك

---

[1] - الحميدي، نفس المصدر، ص84/ عبد الواحد بن علي المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرح واعتناء: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ط1، 1424هـ- 2006م، ص37.

[2] - ابن الأبار، الحلة، ج1 ص275- 276/ مجهول تاريخ الأندلس، ص219.

[3] - ابن بسام، المصدر نفسه، 4ج ص47/ ابن الخطيب، المصدر نفسه، ص81.

السلامة فتنسوا ما لكم في نفوس بني أميّة وشيعتهم بقرطبة....وإيّاك أن تضع يدك في يد مرواني ما طاوعتك بنانك، فإنّي أعرف ذنبي إليهم".[1]

وقد احتشد في بلاطه نوابغ العلماء وجهابذة الأدباء، فكان يكتنفهم برعايته وحظوته ويشملهم بشدّة سخائه وكرمه، ووقع اختياره على أعيان دولته منهم ، وسنذكر بعضهم لاحقا.

2.1. مظاهر الحركة الفكرية في عهد المنصور:

أ/- الآداب وعلوم اللغة: لم تختلف هذه الفترة عن سابقتها في ميدان الشعر، حيث ظلت اتجاهات الشعر وأغراضه على ما كانت عليه، باستثناء بعض الأغراض، التي كانت أوفر حظا وأشدّ نشاطا، نتيجة للظروف السياسية والاجتماعية الخاصّة، التي تميزت بها الحياة الأندلسية حينئذ[2]، وتبقى المفارقة الوحيدة بين الفترتين، تتمثل في تأثر الشعر في عهد الحكم المستنصر بالنهضة العلمية، التي أطلقت العنان لحرّية العقل، حتى بدأت تظهر بواكير الشعر الفلسفي، في حين اختفت هذه الظاهرة تماما في فترة الحجابة، التي حاربت كلّ ما يمتّ بصلة إلى الفلسفة.

أمّا فيما يتعلّق بالنثر، فإنّ فترة الحجابة تميّزت ببروز النثر الخالص ، متمثلا في قطع وصفية، وبعض الرسائل والوصايا، وكان أسلوب النثر على الطريقة الجاحظية[3]، التي كانت سائدة من قبل، وهي طريقة تميل إلى الجمل القصيرة، والفقرات المتقابلة، واعتماد السّجع بين الحين والآخر، وخدمة المعنى بعدّة أساليب، فيما يوهم التكرار وليس تكرارا، وإجادة استخدام حروف الجرّ والظروف بعامة.[4]

---

[1]- ابن بسّام، المصدر نفسه، ج4 ص47-48/ ابن الخطيب، المصدر نفسه ، ص81- 82/ محمد المنوني وآخرون، التاريخ الأندلسي من خلال النصوص، شركة النشر والتوزيع المدارس- الدار البيضاء، ط1، 1412هـ- 1991م، ص47-48.

[2]- أحمد هيكل، نفس المرجع، ص274.

[3]- تنسب لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (163- 255هـ/780- 869م)، كبير أئمة الأدب ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة، له تصانيف كثيرة، منها: كتاب الحيوان، والبيان والتبيين، وسحر البيان. ابن خلكان أبو العباس شمس الدين، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة – لبنان ،طبعة 1900، ج3 ص470-475/ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج11 ص526- 530/ ابن الأبار، إعتاب الكتّاب، تحقيق: صالح الأشتر، المطبعة الهاشمية- دمشق،ط1، 1380هـ- 1961م، ص154-156/ الزركلي، نفس المرجع، ج5 ص74

[4]- أحمد هيكل، نفسه، ص205.

كما أنّ طريقة ابن العميد[1] ، التي وصلت الأندلس خلال فترة الخلافة أخذت تتضح في فترة الحجابة، بعد أن صار أدباء الأندلس يتمثلونها، وقد التزموا السجع وأمعنت فيه، وسيطرت عليها أنواع البديع، حتى أصبحت كتابتها كقطعة من الفن المعماري المملوءة بالتزاويق[2]، ودعمت هذه الطريقة النثر بإيراد بعض الأمثال والاقتباس من القرآن الكريم والشعر القديم.

وفي هذه الفترة ألف الأندلسيون في النحو، من حيث هو كلّ يشمل جميع الأبواب، وكان أشهر كتب النحو في أيام ابن حزم تفسير الحوفي لكتاب الكسائي[3]، ومن أبرز الأدباء والنحويين وأخصّ الجلساء لدى المنصور بن أبي عامر في هذا المجال، على سبيل المثال:

* الأديب الشاعر أبو العلاء صاعد بن الحسن الرّبعي البغدادي (ت410هـ/1019م)[4]، الذي وفد على المنصور بن أبي عامر من المشرق سنة 380هـ/990م، فأدناه منه، وحظي عنده بمكانة مرموقة، وأذن له بالجلوس في جامع الزهراء، ليملي كتابه: " الفصوص " على أدباء قرطبة، وهو كتاب في الأدب والأشعار والأخبار، ويذكر أنّه أثابه عليه بخمسة آلاف دينار دراهم في دفعة[5]، كما ألف له كتابين في الأسمار هما: كتاب " الجوّاس بن قعطل المدحجي مع ابنة عمّه عفراء " وكتاب " الهجفجف بن غيدقان بن يثربي مع الخنوت بنت محرمة بن أنيف "[6]، وظلّ صاعد على مكانته تلك حتى نهاية العهد العامري، وعندما أطلت الفتنة على على الأندلس ساءت ظروفه، فخرج منها خائفا متخفيا باتجاه صقلية، سنة 403هـ/1012م، فحسنت أحواله عند أميرها إلى وفاته[7].

---

[1] - ابن العميد محمد بن الحسن العميد بن محمد أبو الفضل (ت360هـ/970م)، لقب بالجاحظ الثاني في أدبه وترسله، له مجموعة رسائل في مجلّد ضخم وشعر رقيق. الثعالبي، نفس المصدر، ج3 ص183/ الذهبي، نفسه، ج16 ص137- 138/ ابن خلّكان، المصدر نفسه،ط1، 1994، ج5 ص403- 109/ الزركلي، المرجع نفسه، ج6 ص98.

[2] - أحمد أمين، ظهر الإسلام، دار الكتاب العربي- بيروت، ط5، 1388هـ- 1969م، ج3 ص205.

[3] - نفسه، ج3 ص91.

[4] - الحميدي، نفس المصدر، ص232- 236/ ابن بشكوال، نفس المصدر، ج1 ص201- 202/ ابن بسام، المصدر نفسه، ج4 ص28/ الفيروز آبادي، نفس المصدر، ص114/ السيوطي، نفس المصدر، ج2 ص7- 8/ المقري، نفس المصدر، ج3 ص98.

[5] - ابن بشكوال، نفسه، ج1 ص201/ ابن خلكان، نفسه، طبعة 1900، ج2 ص489/ ابن خير الإشبيلي، نفس المصدر، ص293/ عبد اللطيف بن محمد رياض زادة، أسماء الكتب، تحقيق: محمد التونجي، دار الفكر- دمشق، ط3، 1403هـ- 1983م، ص225.

[6] - الحميدي، نفسه، ص232/ الضبي، نفس المصدر، ص278/ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج4 ص1441.

[7] - الحميدي، المصدر نفسه، ص236/ الضبي، المصدر نفسه، ص280.

* والأديب أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب أبو عمر (توفي قريبا من سنة 400هـ/1009م)، وهو والد العلاّمة أبو محمد بن حزم، الذي وزّر في دولة المنصور بن أبي عامر و"كان له في البلاغة يد قويّة ".[1]

* والأديب الحسين بن الوليد بن نصر أبو القاسم المعروف بابن العريف (ت390هـ/1000م)، وهو أندلسي أقام بمصر مدّة ثم عاد إلى بلده، فاختاره المنصور بن أبي عامر مؤدّبا لأولاده، ومن كتبه: "شرح الجمل للزجاج"، وغيره.[2]

* والنحوي المشهور محمد بن عاصم أبو عبد الله (ت382هـ/992م) ، الذي كان إماما في العربية، وكانت الدراية أغلب عليه من الرواية، ذكره أبو محمد بن حزم وأثنى عليه، وقال:"كان لا يقصّر عن أكابر أصحاب محمد بن يزيد المبرّد ".[3] *

* وأبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي (ت379هـ/989م)، وهو شاعر وأديب، من أئمّة اللغة والنحو، ألف في النحو كتابا سمّاه " الواضح" كما اختصر كتاب "العين"، وله مصنفات في غير نوع من الأدب.[4]

ب/- العلوم الدينية: كان أكابر الفقهاء والحفاظ في عصر المنصور يمثلون طبقة متميزة، حازت على المناصب العليا ونالت الحظوة، التي جعلت العامّة والخاصّة تحترمها، وتحرص على استرضائها، ومن أهمّ هؤلاء:

* قاضي الجماعة أبو بكر محمد بن يبقى بن زرب القرطبي (ت387هـ/997م)، وقد كان أحفظ أهل زمانه لمذهب مالك، وله فيه تصانيف، وكان المنصور يعظمه ويجلسه معه.[5]

* وقاضي الجماعة بقرطبة عبد الرحمن بن فطيس (ت402هـ/1012م)، الذي كان من أئمّة المحدّثين، وكبار العلماء والمسندين، حافظا متمكّنا من الحديث، عارفا بأسماء رجاله ونقلته، وله مشاركة في سائر العلوم، إلى جانب تقدّمه في معرفة الآثار والسّير والأخبار.[6]

---

[1] - الحميدي، نفسه، ص128- 129/ الضبي، نفسه، ص156- 157/ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج28 ص55.
[2] - عمر رضا كحالة، نفس المرجع، ج4 ص67/ الزركلي، المرجع نفسه، ج2 ص261.
[3] - الحميدي، نفسه، ص84- 85/ الضبي، نفسه، ص101/ ابن بشكول، المصدر نفسه، ج2 ص380.
[4] - ابن الفرضي، نفس المصدر، ص366/ الحميدي، نفسه، ص52/ الضبي، نفسه، ص57.
[5] - الحميدي، نفسه، ص104/ الضبي، نفسه، ص127/ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط- محمد الأرناؤوط، دار ابن كثير- دمشق، ط1، 1406هـ، ج3 ص101- 102/ الذهبي، العبر في خبر من عبر، ج3 ص21.
[6] - ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج1 ص255- 257.

* إلى جانب القاضي أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف المعروف بابن الفرضي (ت403هـ/1013م)، " الذي لم ير مثله بقرطبة من سعة الرواية، وحفظ الحديث، ومعرفة الرجال، والافتنان في العلوم، إلى الأدب البارع، والفصاحة المطبوعة ".[1]

ج/- العلوم العقلية وعلوم أخرى: حفل عهد المنصور بعدد لا يستهان به من العلماء، الذين اهتمّوا بالدّراسات العقلية، ومن أبرز هؤلاء:

* الطبيب أبو عبد الله محمد بن الحسين الكتاني (توفي قريبا من 420هـ/1029م) الذي خدم بالطبّ المنصور بن أبي عامر وابنه المظفر، وكان بصيرا بالطب متفنّنا فيه[2]، والطبيب أبو داود بن حسان المعروف بابن جلجل، الذي صنّف كتاب "طبقات الأطباء والحكماء"، وكتاب " تفسير أسماء الأدوية المفردة " من كتاب ديسقوريدس، وكان تأليفهما في سنة 372هـ/982م بقرطبة، على عهد المنصور بن أبي عامر.[3]

* وفي الرياضيات والفلك، برز العلاّمة أبو القاسم مسلمة بن أحمد المجريطي (ت399هـ/1008م)[4]، وكان يعرف بإقليدس الأندلس[5]، وقد أنجب تلاميذ جلة لم ينجب ينجب عالم بالأندلس مثلهم، من أشهرهم: ابن السمح وابن الصفار والزهراوي وغيرهم.[6]

* وفي التاريخ، تألق اسم أبي مروان حيان بن خلف (377- 469هـ/987-1076م)، حامل لواء التاريخ في الأندلس بلا منازع، وقد خلّد العهد العامري بكتاب سماه: " أخبار الدولة العامرية المنسوخة بالفتنة البربرية وما جرى فيها من الأحداث الشنيعة".[7]

---

1 - نفسه، ج1 ص214.
2 - صاعد، نفس المصدر، ص104/ ابن أبي أصيبعة، نفس المصدر، ص451- 452.
3 - نفسه، ص455.
4 - صاعد، نفسه، ص90/ الزبيدي محمد مرتضى الحسيني، نفس المصدر، ج20 ص91/ بالنثيا، نفس المرجع، ص448- 450.
5 - ابن بشكوال، نفسه، ج2 ص483/ قدري حافظ طوقان، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، دار الشروق- بيروت، (دت)، ص257- 259.
6 - صاعد، نفسه، ص91.
7 - ابن الخطيب، نفس المصدر، ص98/ محمد المنوني وآخرون، نفس المرجع، ص80.

وما هذه الأمثلة إلاّ غيض من فيض، لنوابغ الفكر في عصر المنصور بن أبي عامر، وإن دلّ هذا على شيء فإنّما يدلّ على أنّ عصره كان عصرا كثير الخصوبة والعطاء في مجل العلم والمعرفة.

وممّا تقدّم يتبيّن لنا بما لا يدع مجالا للشكّ، أنّ عصر المنصور بن أبي عامر كان استمرارا لتلك الحركة العلمية، التي شهدتها الأندلس في عهد الحكم المستنصر، وهذا عكس ما يدّعيه الأستاذ بالنثيا بقوله: " وإذا ما استثنينا بضعة فقهاء مالكيين من طبقة ابن الحذاء محمد بن يحي بن أحمد، وبضعة مؤرّخين من طراز ابن الفرضي، الذي كان أوّل من وضع معاجم الرجال بالأندلس، فإنّ عصر المنصور لا يمتاز بأيّ شخصية من الطراز الأوّل في ميدان العلوم والفنون".[1]

وما من شكّ أنّ موقف المنصور من كتب الفلسفة والتنجيم، التي أمر بإحراقها، هو ما حمل بالنثيا ومن وافقه الرأي[2]، إلى اعتبار عهد المنصور عهد تخلف فكري وحضاري، مقارنة بعهود من سبقوه من حكام بني أميّة في الأندلس.

- موقف المنصور بن أبي عامر من الفلسفة: إذا كان ابن أبي عامر قد قبل من الشعراء كلّ ما تجود به ألسنتهم، ما لم يتلفظوا بما يجعلها تقطع، كالميل إلى بني أميّة مثلا، أو النّيل من شخصه أو التحامل على دولته، فضلا عن المجال الواسع الذي فسحه إلى أهل العلوم الشرعية، لاسيما الفقهاء المالكية، فإنّه تشدّد مع أهل الفلسفة والفلك، ذلك أنّه كان يرى بعيون الفقهاء والعامّة من الناس، الذين كانوا يحكمون على من يخوض في هذه الدراسات بالزندقة والإلحاد.

ولمّا لاحظ ابن أبي عامر تفشّي هذه الأفكار عند السواد الأعظم من الأندلسيين، أدرك أنّه من مصلحته أن يعمل على استرضاء الفقهاء والقضاة وعوام الأندلس، فيكسب بذلك ودّهم، ويقبّح عهد الخليفة الحكم، الذي كان قد فتح الباب على مصراعيه للمشتغلين بهذه الدّراسات.

وأصبح المنصور في نظر هؤلاء حامي الشريعة والسنّة من ضلالات الفلسفة، التي تمسّ بسلامة العقيدة، وعندئذ " أمر باستخراج سائر كتب الفلسفة والدّهريين من مكتبة الحكم المستنصر، وأن تحرق على مرآى كبار العلماء، كأبي محمد الأصيلي

[1] - بالنثيا، المصدر نفسه، ص12- 13.
[2] - يعتقد الدكتور أحمد هيكل أنّ فترة الحجابة، كانت فترة تقييد للثقافة بحكم خمول الدراسات الفلسفية. الأدب الأندلسي، ص270.

وأبي بكر الزبيدي وأبي العبّاس بن ذكوان وغيرهم"[1]، ويؤكّد هذا العمل أنّ إقدام المنصور على إحراق الكتب لم يكن بدافع الرّغبة في محو تلك العلوم بل بدافع المصلحة التي جعلته يستغل هذا الحدث لصالحه.

وتشدّد المنصور مع كلّ ما له صلة بهذه العلوم، فلمّا بلغه خبر محمد بن أبي جمعة، الذي كان يشتغل بالتنجيم، و" أنّه يهجس في تنبّؤاته بانقراض دولته، أمر بقطع لسانه وقتله وصلبه، فخرست ألسن المنجّمين جميعا".[2]

وإذا كان المنصور يقيس مجريات الأمور ببلده بمنظور المصلحة السياسية، فهذا لا يعني انّه كان بعيدا تماما عن الدّين، ويذكر صاحب البيان المغرب أنّه " كان يتسم بصحّة باطنه واعترافه بذنبه، وخوفه من ربّه وكثرة جهاده، وإذا ذكّر بالله ذكر، وإذا خوّف من عقابه ازدجر، ولم يزل متنزّها عن كلّ ما يفتتن به الملوك، سوى الخمر لكنّه أقلع عنها قبل موته بسنتين".[3]

وبسبب تذوّقه للأدب والشعر أولاهما عنايته واهتمامه، فاستقبل النّخبة من الشعراء والأدباء في بلاطه للوصول بالحركة الأدبية إلى منزلة أرقى وأرفع، وليس استكمالا لمظاهر السيادة ووجوه الأبّهة، التي جرت عليها عادة أصحاب النفوذ والسّلطان فحسب.

3.1. المكتبات في العهد العامري:

لم يتغيّر شغف الأندلسيين بالكتب رغم التغيّرات السياسية، التي حدثت في سدّة الحكم بعد وفاة الحكم المستنصر، ولم يتوقف حرصهم على اقتناء أنفس المصنّفات في مختلف العلوم، وبذلك استمرّت ظاهرة المكتبات ، التي تميّز بها العهد السابق في فترة الحجابة، ومن أهمّ الأمثلة على ذلك:

📖 **مكتبة المنصور بن أبي عامر:** أشرف على هذه المكتبة اللغوي أبو الوليد محمد بن عبد الرحمن بن معمر القرطبي (ت423هـ/1032م)، الذي كان من أعلم الناس بالكتب وعللها و ألهجهم بجمعها، وأفرزهم لخطوطها، وأنسبهم لها إلى وراقها،

---

1 - بالنثيا، المرجع نفسه، ص65.
2 - ابن عذاري، نفس المصدر، ج2 ص293.
3 - نفسه، ج2 ص289.

وبعد وفاة المنصور ظلّ أبو الوليد يشرف على هذه المكتبة، في عهد ولده المظفر، فضلا عن تأليفه تاريخا للعامريين.[1]

مكتبة أحمد بن محمد بن عبيدة الأموي الطليطلي المعروف بابن ميمون (353- 400هـ/964- 1010م): جمع فيها من الكتب كثيرا من كلّ فنّ، وكانت جلها بخط يده، ويذكر أنّ حريقا شبّ في سوق طليطلة امتدّت ألسنته إلى دار ابن ميمون، التي كانت في الفرّائين- بينما كان هو مرابطا- فاحترقت الدّار إلاّ البيت التي كانت فيه كتبه، فتعجّب النّاس من ذلك.[2]

مكتبة الفقيه عبد الله بن محمد بن يوسف بن الفرضي (ت403هـ/1012م): الذي كان جمّاعا للكتب، وقد جمع منها عددا كبيرا، لم يقتنيه أحد من علماء البلد.[3]

مكتبة الوزير القاضي أبو المطرف عبد الرحمن بن فطيس (348- 402هـ/959- 1012م): الذي جمع من الكتب في أنواع العلم، ما لم يجمعه أحد من أهل عصره بالأندلس[4]، ولم يكن يستغن عن الكتاب الذي كانت له معه علاقة حميمية، جعلته يخاف من ضياع كتاب من أصول ما يمتلكه من الكتب، ومن أجل ذلك كان لا يعير هذه الأصول البتّة، وبالمقابل كان لا يسمع بكتاب حسن إلاّ اشتراه أو استنسخه من صاحبه وردّه عليه.[5]

ومن أنفس الكتب التي كانت تزخر بها مكتبته- على سبيل المثال لا الحصر- كتاب" القصص وأسباب النزول" في نحو مئة جزء ونيّف وكتاب " المصابيح في فضائل الصحابة" في مئة جزء، و" الناسخ والمنسوخ" ثلاثون جزءا، و" مسند حديث محمد بن فطيس" خمسون جزءا[6]، وكان هذا الرّجل صاحب علم غزير أهّله إلى تولى قضاء قرطبة وصلاة الجمعة والخطبة، مضافا إلى الخطّة العليا من الوزارة على زمن المظفر.

---

[1] - ابن الأبار، التكملة، ج1 ص310.
[2] - ابن بشكوال، نفس المصدر، ج1 ص33- 35.
[3] - نفسه، ج1 ص214/ك. بويكا، نفس المرجع، ص221.
[4] - ابن بشكوال، نفسه، ج1 ص256/ك.بويكا، نفسه، ص386.
[5] - ابن فرحون، نفس المصدر، ص245.
[6] - ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج1 ص257.

ولم يستطع بريق المنصب أن يحول بينه وبين مكتبته، التي كان يستأنس بها كلّما عاد من عمله، أو وجد فراغا من الوقت، ومن أجل ذلك وفّر لنفسه الجوّ المناسب ليختلي فيه بكتبه، " فجعل مجلسه حسن الآلة، ملبّس كله بالخضرة، جدرانه وأبوابه وسقفه وستائره ونمرقه"[1]، ومن ثم كان يجد الرّاحة والسّكينة في المطالعة، التي تروّح عنه وتجعله يبصر الحلول، التي قد تخفى عليه بالنظر فيها، فيخرج منها ما أشكل عليه من المسائل.

📖 **مكتبة عائشة بنت أحمد القرطبية (ت400هـ/1009م):** كانت من نساء الأندلس اللواتي برعن في ميدان الفكر، وقد وصفت بالعلم والفهم والأدب والشعر، وإلى جانب ذلك كانت حسنة الخط، تكتب المصاحف والدفاتر، وتجمع الكتب وتعتني بالعلم، ولها خزانة علم كبيرة حسنة.[2]

وممّا تقدّم يتضح لنا أنّ مسألة اقتناء الكتب وتكوين المكتبات في العهد العامري، لم تختلف عمّا كانت عليه في عهد الخليفة الحكم المستنصر، وظلت هذه الظاهرة تميّز المجتمع الأندلسي، رغم تبدّل الدول وتغيّر الحكّام، في معظم فترات الوجود الإسلامي بالأندلس.

4.1.الرّحلات العلمية:

تواصلت الرّحلة بين الحواضر الإسلامية في طلب العلم أو في سبيل نشره وكان لها أثرها في استمرار النهضة العلمية في صفوف المجتمع الأندلسي خلال العهد العامري وما بعده.

أ/-الرّحلة من الأندلس نحو المشرق: من أبرز الأمثلة على ذلك أثناء هذا العهد الشخصيات التالية:

* أبو محمد عبد الله بن محمد بن القاسم بن حزم بن خلف الثغري (ت383هـ/993م)، وهو فقيه من قلعة أيّوب، غادر الأندلس سنة 350هـ/961م،فدخل مصر والشام والعراق، وسمع من أهل العلم بها، ثمّ عاد إلى الأندلس حاملا معه عددا

---

[1] - النباهي ابن الحسن، تاريخ قضاة الأندلس وهو كتاب" المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا "، تحقيق: مريم قاسم الطويل، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1415هـ- 1995م، ص116.

[2] - ابن بشكوال، نفسه، ج2 ص531- 532.

من الكتب في علم الحديث وعلوم القرآن، ودخل قرطبة سنة 375هـ/985م على عهد المنصور، فقرأ الناس عليه أكثر روايته.[1]

* أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن قادم بن زيد القرطبي (ت380هـ/1000م)، الذي رحل إلى بغداد والبصرة ومصر، وسمع من عدد من العلماء، وكان ينتحل مذهب مالك، وينسب إليه علم الشعر والأدب وحفظ الأخبار.[2]

* أبو المطرّف عبد الرحمن بن عثمان بن سعيد بن ذنين بن عاصم الصدفي (ت403هـ/1013م)، الذي رحل إلى المشرق سنة 381هـ/991م، فحجّ ومرّ بمصر والقيروان، وكان له سماع كثير وعناية كاملة بالحديث، ومن تآليفه كتاب" المناسك"، وكتاب" الأمراض" وغير ذلك.[3]

وما هذه إلاّ عيّنة عن ظاهرة الارتحال العلمي، ويمكن أن نستشفّ ذلك من خلال كتب التراجم، التي لا تكاد تخلو صفحة من صفحاتها من وجود عالم أو أكثر، قام برحلة من الأندلس نحو المشرق لتحصيل صنوف العلم والمعرفة.

ولم يبالغ المقرّي عندما قال: " اعلم أنّ حصر أهل الارتحال لا يمكن بوجه ولا حال، ولا يعلم ذلك على الإحاطة إلاّ علاّم الغيوب الشديد المحال، ولو أطلقنا عنان الأقلام فيمن عرفناه فقط من هؤلاء الأعلام لطال الكتاب وكثر الكلام".[4]

ب/- رحلة المشارقة إلى الأندلس: من أهمّ الشخصيات العلمية المشرقية التي حطت الرّحال بالأندلس خلال فترة الحجابة العامرية:

* القارئ علي بن شيبان الدقاق البغدادي، الذي دخل الأندلس نحو سنة 375هـ/985م، وكان عالما بالقرآن، بصيرا بالقراءات، وقد قرأ عليه بعض أهلها.[5]

* القارئ أبو نصر صاعد البغدادي (ت376هـ/986م) ، وقد دخل قرطبة نحو سنة 375هـ، وأدخل معه كتاب القراءات السبع لأبي بكر بن مجاهد، وكان له نصيب من علم العربية.[6]

---

[1] - ابن الفرضي، نفس المصدر، ص202- 203.
[2] - نفسه، ص374- 375/ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج27 ص172.
[3] - ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج1 ص258/ البغدادي إسماعيل باشا، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، دار الفكر- دمشق، 1982، ج2 ص101.
[4] - المقري، نفس المصدر، ج2 ص5.
[5] - ابن الفرضي، المصدر نفسه، ص253- 254.
[6] - نفسه، ص169.

* أبو العلاء صاعد بن الحسن بن عيسى الرّبعي، الموصلي البغدادي، اللغوي الأديب، الداخل إلى الأندلس سنة 380هـ/990م، وقد سبق الحديث عنه.[1]

- عهد المظفر عبد الملك بن أبي عامر: تولى الحجابة بعد موت أبيه سنة 392هـ/1002م، وسار على نهجه في الجهاد، فعمّ الخير والسلام الأندلس حتّى بلغت فيها نهاية الجمال والكمال[2]، إلاّ أنّ المظفر لم يكن كأبيه من أهل العلم، ويؤكّد لنا ابن بسّام ذلك حيث يقول: " أنّ عبد الملك كان من رجل عديم الفهم والمعرفة جملة، صفر من الأدب والتعاليم، حتّى ما كان يسايره وينادمه إلاّ العجم من الجلالقة[3] والبرابرة ممّن لا يهشّ لسماع، ولا يطرب لإيقاع، فارتفعت بذلك عن مجالس لهوه طبقة المعرفة ".[4]

ورغم ذلك استمرّ المظفر في إسباغ نعمه على ندماء أبيه من أهل المعرفة، فلم تنقطع عطاءاته لهم، وكان على رأس هؤلاء الشعراء الذين اختصّوا بوالده، صاعد البغدادي وأبي حفص بن برد وأبي عمر بن درّاج القسطلي[5]، الذي مدح عبد الملك وعهده، بقصيدة من اثني عشرة بيتا ومنها الأبيات الأولى التالية:

[من المتقارب]

زَمانٌ جَديدٌ و صُنعٌ جَديدُ ودُنيا تَروقُ ونُعمَى تزيدُ
وغيثٌ يصوبُ وعيشٌ يطيبُ وعِزٌ يَدومُ وعِيدٌ يَعُودُ
ومُلكٌ يُنيرُ بِعَبْدِ المَليكِ كشمسِ الضحَى سَاعَدَتْها السُعودُ
و نَصْرٌ كمَا تتمنّى الأمَانِي ومَوْلىً كمَا يَتمنّى العَبيدُ
حَيَاءٌ و حِلمٌ وفَضلٌ وعَدْلٌ وعَطْفٌ وعَفوٌ وبَأسٌ وجُودُ[6]

---

[1] - ينظر ص26 من المذكرة.
[2] - ابن بسّام، نفس المصدر، ج4 ص49/ ابن سعيد المغربي، نفس المصدر، ج1 ص212.
[3] - الجلالقة هم سكان بلد جليقية. أبو عبيد البكري، كتاب المسالك والممالك، تحقيق: أدريان فان ليوفن وأندري فيري، الدار العربية للكتاب- المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق و الدراسات- بيت الحكمة، تونس، 1992،ج2 ص912.
[4] - ابن بسام، نفسه، ج4 ص49- 50.
[5] - ستأتي ترجمته لاحقا ضمن أعلام البربر خلال هذه الفترة.
[6] -ابن درّاج، ديوان ابن دراج القسطليّ، حققه وعلق عليه وقدّم له: محمود علي مكي، مطابع المكتب الإسلامي- دمشق،ط2، 1389هـ- 1969م، ص22.

ويستوقفنا البيت الخامس من هذه القصيدة، بحيث لو عقدنا مقارنة بينه وبين وصف ابن حيّان للمظفر، للاحظنا أنّ المظفر كان يتصف بكلّ صفات رجال الحكم إلاّ صفة العلم، التي لم تكن من شيمه.

وليس من قبيل الصّدفة أن يتجاهل ابن درّاج هذه الصّفة لو كانت موجودة في ممدوحه فعلا، وكان بمقدوره- لو شاء- أن يغيّر كلمة " حلم " بكلمة " علم "، لكنّه لم يفعل ووصفه بما فيه، فأسقط عنه العلم، في حين ثبّت باقي الصّفات، التي ساقها لنا في هذا البيت، مع أنّ الشعراء – لا سيما المتكسبين منهم – عادة ما يذكرون الرّجل بما ليس فيه.

- عهد عبد الرحمن شنجول[1]:

بعد حكم دام سبع سنوات توفي عبد الملك المظفر في 17 من صفر سنة 399هـ/17 أكتوبر 1008م، فتولّى الحكم عقبه أخوه عبد الرحمن شنجول، فلم يسر على طريقة أبيه و لا كان كأخيه، حيث " أخذ في التخليط والفسوق والانهماك في مجلس شرابه وخلوته"[2]، وإلى جانب ذلك تجرّأ على اغتصاب ولاية العهد من هشام المؤيّد، فكره الناس منه ذلك، وتربّصوا به الدوائر، فلمّا خرج للغزو في شاتيته سنة 399هـ، خرج عليه محمد بن هشام بن عبد الجبّار.[3]

وسرعان ما عاد عبد الرحمن ليتدارك الأمر، لكنّه وجد الموت بانتظاره، بعد أن تخلى عنه جنده من البربر، حيث قتل ولم يمض على توليه الحجابة سوى ثلاثة أشهر، فانهار بذلك صرح الدولة، وانهار معه النفوذ العامري، ودخلت الأندلس عهدا من الفوضى السياسية بسبب الفتنة، التي كان محمد بن هشام بن عبد الجبّار رأسها، بوثوبه على ملك هشام المؤيّد، وحبسه في المطبق وإشاعة جنازته، واستبداده بالأمر وطرده للأشراف وتقريبه للعامّة وتجنيدها، وقطعه لأرزاق القواد وإخراجه للبربر

---

[1] -شنجول (Sanchuelo)، اسم غلب عليه من قبل أمّه عبدة بنت شنجة النصراني الملك، تذكرا منها لاسم أبيها ، فكانت تدعوه في صغره بشنجول. ابن عذاري، نفس المصدر، ج3 ص38/ عصام محمد شبارو، الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود (91- 897هـ/710- 1492م)، دار النهضة العربية- بيروت، ط1، 1423هـ- 2002م، ص202.

[2] - ابن الخطيب، نفس المصدر، ص94/ السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر- بيروت، 1981، ص344.

[3] - محمد بن هشام بن عبد الجبّار بن عبد الرحمن الناصر لدين الله (366-400هـ/976- 1010م)، وولي الأمر مرّتين: الأولى 9 أشهر، والثانية 49 يوما. مجهول تاريخ الأندلس، ص237/ ابن عذاري، المصدر نفسه، ج3 ص50.

عن المدينة ومطالبتهم بالفيء[1]، فكانت الفتنة التي أتت على الأخضر واليابس، وحوّلت الأندلس إلى شذر مذر، وجعلت حليم أهلها حيرانا، إلى أن كانت الطامّة التي قضت على الخلافة الأموية سنة 422هـ/1031م، على عهد المعتد بالله الأموي.[2]

2- أثر فتنة القرن 5هـ/11م على الحركة العلمية بالأندلس:

لا يختلف اثنان حول الآثار والعواقب السياسية، التي رافقت أحداث الفتنة بالأندلس، فكان بعضها سلبيا وبعضها الآخر إيجابيا.

1.2. الآثار السلبية:

أ- ظاهرة إتلاف الكتب والسطو عليها: إنّ أبرز ما يلفت الانتباه فيما يتعلق بهذا الشأن، هو ضياع مكتبة الحكم المستنصر، التي كانت ثمرة سنوات من الجدّ والاجتهاد في جمعها، وقد نزلت هذه الحادثة كالصّاعقة على الحركة الفكرية بالأندلس، ويصف ابن خلدون هول الحادثة بقوله: " ولم تزل هذه الكتب بقرطبة، إلى أن بيعت أكثرها في حصار البربر، بحيث أمر بإخراجها وبيعها الحاجب واضح، مولى المنصور بن أبي عامر، ونهب ما بقي منها أثناء اقتحام المستعين والبربر لقرطبة سنة 403هـ/1012م"[3]، ويذكر صاعد الأندلسي أنّ تلك الكتب بيعت بأوكس ثمن وأتفه قيمة.[4]

وبهذه الطريقة المؤسفة كانت نهاية المكتبة التي ضمّت أربعمائة ألف مجلد لورثة الحكم المستنصر وكلّ محبّي العلم.

وتجدر الإشارة إلى عدد من المكتبات، نهبت هي الأخرى خلال عهد الفتنة، من بينها: مكتبة الوزير أبي المطرّف عبد الرحمن بن فطيس، التي اجتمع أهل قرطبة لبيعها في الفتنة مدّة عام كامل في مسجده، بما قيمته أربعون ألف دينار قاسمية.[5]

---

1 - مجهول، نفسه، ص238.

2 - بويع له في منسلخ ربيع الآخر سنة 419هـ/1028م، ودخل قرطبة يوم منى سنة 420هـ/1029م ، وخلع وقتل بعد سنتين و5 أشهر. نفسه، ص248.

3 - ابن خلدون، نفس المصدر، ج4 ص146/ المقري، نفس المصدر، ج1 ص386.

4 - صاعد، نفس المصدر، ص88.

5 - ابن بشكوال، نفس المصدر، ج1 ص256/ والدينار القاسمي: نسبة إلى القاسم بن حمّود العلوي، الذي حكم قرطبة خلال الفتنة من سنة 408 إلى 412هـ. الحميدي، نفس المصدر، ص33/ ابن عذاري، المصدر نفسه، ج3 ص124- 125.

وحدث أيضا أثناء الفتنة، أن قام الحافظ أبو حفص عمر بن عبد الله الذهلي الزهراوي، الذي كان يمتلك مكتبة كبيرة[1]، بسدّ ثمانية أحمال كتب في بيته لينقلها ، فلم يتمّ حتّى انتهبها البربر.[2]

والخلاصة التي يمكن الخروج بها ممّا تقدّم، أنّ معظم المكتبات خلال هذه الفترة، كانت تؤول إلى الزوال بوفاة مالكيها الأصليين، إمّا عن طريق الخلف الذين لا يعرفون قيمة ما تركه السّلف، فيفرّطون في هذه الكنوز التي لا تقدّر بثمن، وإمّا عن طريق أولئك الذين لا علاقة لهم بالعلم ولا بأصحاب تلك النفائس، وكانت وسيلتهم نهب كلّ ما له قيمة – بما في ذلك الكتب- واستبداله مقابل دراهم معدودات، على اعتبار أنّ المال كان يمثل أسمى الغايات التي يسعون إلى تحقيقها.

ب- مواقف العلماء من الفتنة وظاهرة قتلهم: ومن الظواهر السلبية على الحركة العلمية بالأندلس، ما لحق بعدد من العلماء من تقتيل، خلال الفتنة الحالكة، وسيأتي الحديث عن ذلك لاحقا بالتفصيل

وأمام هذا الوضع المأسوي، الذي أفرزته فتنة القرن 5هـ/11م، وجد العلماء أنفسهم أمام حقيقة مرّة، قسّمت موقفهم بحسب اجتهاد كلّ منهم، إلى ثلاثة أقسام:

① **القسم الأوّل:** يمثله أولئك الذين آثروا العزلة، ولم يرضوا لأنفسهم أن يكونوا طرفا في الفتنة، بسبب عدم اتضاح الأمور بالنسبة إليهم، فلم يميلوا إلى أيّ فريق، واختاروا ما رأوه الأحوط لدينهم ودنياهم، ومكثوا غير بعيد عن مجريات الأحداث، يلاحظون الوقائع ويتحسّرون لهول ما يحدث وينتظرون الفرج، ومن هؤلاء:

*المؤرّخ أبو مروان بن حيّان: الذي لم يغادر قرطبة أبدا حتى وفاته،" وهذا شيء غريب حقا، إذ أنّ المقام في قرطبة، ولا سيما في أولى سنوات الفتنة، كان مغامرة لا تؤمن عواقبها"[3]، وقد سمح له ذلك بأن يكون شاهدا على العصر ، فسجّل جميع الأحداث من موقعها بمدينته، ونقلها إلينا بدقة وأمانة.

---

[1] - ك. بويكا، نفس المرجع، ص241.

[2] - الذهبي شمس الدين، تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، (د.ت)، ج3 ص1127/ إحسان عبّاس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة- بيروت، ط6، 1981، ص56/ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج30 ص367.

[3] - محمود علي مكي في تمهيده للمقتبس لابن حيّان القرطبي، ص31.

* وأبو عمر أحمد بن محمد بن الجسور، الذي توفي بقرطبة سنة 401هـ/1011م أيّام الطّاعون[1]، وكان محدّثا مكثرا[2]، وهو أكبر شيخ لابن حزم.[3]

* وأبو بكر حمام بن أحمد القرطبي: الذي قال عنه ابن بشكوال: " لا أدري أحدا سلم من الفتنة سلامته مع طول مدّته فيها، فما شارك قط فيها بمحضر ولا بيد ولا بلسان، مع ذكائه وحزمه وقيامه بكلّ ما يتولى، إلى أن توفي سنة 421هـ/1030م.[4]

* وأبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد: الذي لم يكن أحد يجاريه في البلاغة، وهو صاحب كتاب" حانوت عطار" ورسالة " التوابع والزوابع "، حيث لزم قرطبة إلى وفاته بها سنة 426هـ/1035م.[5]

ولم تخمد أنفاس الثقافة بقرطبة حينئذ، حيث كان لهؤلاء الفضل الكبير في حفظ الكثير من علم وتراث الأندلس بحاضرتها، رغم ما كان بهذه الأخيرة من فتنة حالكة.

② **القسم الثاني:** رأى هؤلاء أنّه من الأسلم مغادرة بؤرة التوتر والفتنة، إلى حيث الأمن والاستقرار، وكان منهم:

* أبو العلاء صاعد البغدادي: الذي خرج من الأندلس في الفتنة وقصد صقلية، فمات بها قريبا من سنة 410هـ/1019م.[6]

* وأبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي: الذي ارتحل إلى شاطبة في الفتنة عام 408هـ/1017م، ثمّ عاد إلى قرطبة بعد أن اعتلى عرش الخلافة عبد الرحمن المستظهر سنة 414هـ/1023م الذي وزّره، لكنّ أيّام خلافته كانت معدودات، فلم تزد عن الشهرين، وقتل المستظهر[7]، وعلى إثر ذلك نفي ابن حزم وتوفي مشرّدا سنة 456هـ/1064م[8] ببادية لبلة.[1]

---

[1] - الصفدي، نفس المصدر، ج7 ص215/ الذهبي، المصدر نفسه، ج28 ص37.
[2] - الحميدي، المصدر نفسه، ص110/ الضبي، نفس المصدر، ص133.
[3] - ابن العماد الحنبلي، نفس المصدر، ج3 ص161.
[4] - ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج1 ص140.
[5] - الحميدي، نفسه، ص136- 137.
[6] - الحميدي، المصدر نفسه، ص 236/ ابن بشكول، المصدر نفسه، ج1 ص201.
[7] - صاعد، المصدر نفسه، ص98/ بالنثيا، نفس المرجع، ص214.
[8] - ابن سعيد المغربي، نفس المصدر، ج1 ص355/ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج4 ص1650/ زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي، طرح الترتيب في شرح التقريب، تحقيق: عبد القادر محمد علي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 2000م، ص73.

وينقل إلينا ابن حيّان خبر اجتياز ملك قشتيلة (شانجه بن غرسية) لتطيلة، على عهد منذر بن يحي أمير سرقسطة عن الكاتب أبي أميّة بن هشام، الذي غادر قرطبة أيّام الفتنة واستوطن تطيلة، وكان من الوجوه البارزة فضلا ونباهة.[2]

③ **القسم الثالث:** هم أولئك الذين ساقهم اجتهادهم للمشاركة الفعلية في معترك الفتنة، ظنّا منهم أنّ القضاء على الفتنة إنّما يكون بالقضاء على أسبابها والمتسبّبين فيها – من وجهة نظرهم – وأيّا كانت وجهتهم بالنسبة لطرفي الفتنة يومها، فإنّ الخسارة الكبرى كانت بفقد منابر العلم للكثير من العلماء، وتعطيل حلقات العلم وإغلاق المدارس، وقد أشار ابن حيّان أنّه أصيب في وقعة قنتيش[3]، من المؤدّبين نيف على الستين، فتعطل تلاميذهم مدّة طويلة بسبب فقدهم[4]، ومن العلماء الذين فقدوا في هذه الوقعة:

* محمد بن عبد السلام التدميري: الذي كان يوصف بالخيرية والورع والعبادة والتقشف مع التفنّن في العلوم.[5]

* والأديب أبو عثمان بن القزاز البربري الملقب بلحية الذبل: الذي فقد في هذه الوقعة ولم يعثر عليه حيّا ولا ميّتا، يوم السبت للنصف من ربيع الأوّل سنة 400هـ/ 8 نوفمبر1009م.[6]

* والقاضي محمد بن عيسى التطيلي المعروف بالبريلي، الذي وصف بالعلم والصلاح والجهاد، وكان قد خرج لنصرة المهدي محمد بن هشام بن عبد الجبّار، فقتل في صدر شوال من سنة400هـ/ أواخر جويلية سنة 1010م [7] بعقبة البقر[8].

---

[1] - لبلة: تعرف بالحمراء، وتقع على نهر لهشر ومنبعه من جبل قطرشانة. أحمد بن عمر بن أنس العذري (ابن الدلائي)، نصوص عن الأندلس من كتاب" ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك"، تحقيق: عبد العزيز الأهواني، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية- مدريد، 1965، ص110-111/ وبينها وبين البحر المحيط 6 أميال. أبو عبد الله الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة، 1414هـ- 1994م، ج2 ص541/ محمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عبّاس، مؤسسة ناصر للثقافة- بيروت، طبع على مطابع دار السراج، ط2، 1980، ص508.

[2] - ابن بسّام، نفس المصدر، ج1 ص113.

[3] - اسم جبل عند وادي الحجارة، من أعمال طليطلة. ياقوت الحموي، معجم البلدان،م4 ص92. ولم أعثر على هذا الاسم في المصادر الجغرافية المغربية والأندلسية التي وظفتها في بحثي.

[4] - ابن بسّام، المصدر نفسه، ج1 ص26.

[5] - ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج2 ص387.

[6] - نفسه، ج1 ص182.

[7] - نفسه، ج2 ص387.

[8] - موضع بقرب قرطبة على نحو بضعة عشر ميلا. عبد الواحد المراكشي، نفس المصدر، ص40.

* أبو عبد الله الحسين بن حي المعروف بالحُزُقة: الذي توفي في صدر الفتنة البربرية سنة 401هـ/1010م، بعد اختفاء ومحنة عظيمة نالته، وكان حافظا للمسائل على مذهب مالك ذاكرا لأصولها.[1]

* وابن الفرضي صاحب تاريخ علماء الأندلس، الذي قتلته البربر في سنة 403هـ/1012م، عند اقتحامهم لقرطبة.[2]

* والمحدّث محمد بن قاسم بن محمد الأموي القرطبي المعروف بالجالطي: الذي توفي أثناء اقتحام البربر لقرطبة سنة 403هـ/1012م، في جوف بيته مدافعا عن أهله وولده، وقد كان من أهل العلم والأدب والدراية والرواية والحفظ والمعرفة.[3]

والنتيجة التي يمكن استخلاصها من النصوص السّابقة، هي مدى فداحة هذه الكارثة على علماء قرطبة، وما الأسماء التي ذكرتها إلاّ عيّنة من قائمة طويلة فاقت الستين عالما، كما أنّ مشاركة العلماء في خضم الفتنة، جاء نتيجة اقتناعهم بوجوب نصرة الحق، والوقوف في وجه الفئة الباغية، حتى تفيء إلى أمر الله أو يقضي الله أمرا كان مفعولا، وبالتالي فقد كان هؤلاء طرفا فاعلا ساهم في صناعة أحداث هذا النّزاع المؤلم.

2.2. الآثار الإيجابية:

لا يختلف اثنان حول مسألة الآثار السلبية التي ترتبت عن فتنة القرن 5هـ/11م بالأندلس، إلاّ أنّه ثمّة حقيقة أخرى لا يجب التغاضي عنها، وأقصد بذلك الوجه الآخر للفتنة، أو بالأحرى الآثار الإيجابية التي تولّدت عنها، فربّ ضارّة نافعة، ومن أهمّ ما يمكن ذكره في هذا الإطار:

أ-ظاهرة تفرّق الكتب من قرطبة نحو باقي مدن الأندلس: لقد تقدّم الحديث عمّا حدث لمكتبة الخلافة الأموية، ومكتبات عدد من الوزراء والعلماء من نهب وبيع، جعلها تتفرّق على مدن الأندلس، فلم يعد العلم والثقافة حكرا على قرطبة وحدها، وانتقل بذلك الإشعاع الفكري من الحاضرة ليشمل ويعمّ سائر المدن الأندلسية، ويؤكّد صاعد هذه

---

[1] - ابن بشكوال، نفسه، ج1 ص129.
[2] - نفسه، ج1 ص213/ بالنثيا، المرجع نفسه، ص270- 271.
[3] - ابن بشكول، المصدر نفسه، ج2 ص388- 389.

الحقيقة بقوله: " وانتشرت تلك الكتب بأقطار الأندلس"[1]، حيث ستكون بمثابة إرث خلفه عصر الخلافة لعصر ملوك الطوائف، الذي سيعرف بفضل ذلك أوج ازدهاره وأقصى عطاءاته في الحياة الفكرية بالأندلس.

ب- ظاهرة تفرّق علماء قرطبة على أصقاع الأندلس: تعتبر هي الأخرى عاملا إيجابيا، سيعطي للنهضة العلمية دفعا قويّا، بعديد المدن الأندلسية في عصر ملوك الطوائف، ومن بين أولئك الذين واصلوا مشوارهم العلمي بعيدا عن قرطبة زمن الفتنة، أذكر على سبيل المثال:

* أبو الوليد هشام بن غالب الغافقي الوثائقي القرطبي، الذي خرج من قرطبة في الفتنة إلى غرناطة، ثمّ استقرّ بإشبيلية وتوفي بها سنة 438هـ/1046 م، وكان متفنّنا قد أخذ من كلّ علم بحظ وافر، محسنا لعقد الوثائق، بصيرا بعللها، ميّالا إلى المذهب الظاهري.[2]

* أبو الحسن علي بن خلف بن بطال البكري المعروف بابن اللحام (ت449هـ/1057م)، أصله من قرطبة، وأخرجته الفتنة منها إلى بلنسية، وكان عالما في الحديث، وقد ألف شرحا كبيرا لكتاب البخاري جمّ الفائدة، وله أيضا " الاعتصام في الحديث" وكتاب في الزهد والرقائق.[3]

* وأبو شاكر عبد الواحد بن محمد بن موهب التجيبي، المعروف بابن القبري (ت456هـ/1064م)، وهو خال القاضي أبي الوليد الباجي، وكان ممّن أخرجتهم الفتنة عن قرطبة، وهو من أهل العلم بالحديث والفقه والعربية والكلام والنظر والجدل على مذهب أهل السنة والحذق، يصوغ القريض والخطابة، وقد تولى المظالم بشاطبة والصلاة والحكم ببلنسية.[4]

---

[1] -طبقات الأمم، ص88.

[2] - ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج2 ص503- 504.

[3] - القاضي عياض، نفس المصدر، ص365/ ابن بشكوال، نفسه، ج2 ص332/ حاجي خليفة مصطفى بن عبد ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الكتب العلمية- بيروت، 1413هـ- 1992م، ج1 ص119و546/ ابن العماد الحنبلي، نفس المصدر، ج3 ص283/ الزركلي، نفس المرجع، ج4 ص285/ عمر رضا كحالة، نفس المرجع، ج7 ص87.

[4] - القاضي عياض، نفسه، ص358- 359/ الحميدي، نفس المصدر، ص282- 283/ ابن بشكوال، نفسه، ج2 ص308- 309.

وهكذا عمّت فائدة تفرّق الكتب والعلماء، من قرطبة إلى باقي مدن الأندلس بعد الفتنة، وتهيّأت بذلك أسباب قيام نهضة فكرية في كلّ منها ، وهو ما سيتجلى بوضوح في زمن ملوك الطوائف.

ج- الدراسات الفلسفية: عرفت تقدّما ملحوظا في زمن الحكم المستنصر، إشغفه بها وتشجيعه للمهتمين بدراستها، و سرعان ما مسّها التغييب بوضعها في دائرة العلوم المحظور، على عهد المنصور بن أبي عامر، الذي تصرّف وفق ما تقتضيه المصلحة، لتثبيت دعائم دولته، فأرضى الفقهاء والعامّة، ليسلم من معارضة هؤلاء ويكبر في عيون أولئك، ويتمكّن من الوصول إلى سدّة الحكم بقرطبة.

ولمّا كانت الفتنة التي أعقبت زوال الوجود العامري، ارتفع الحجر وزال الحظر عن العلوم القديمة، فبينما انشغل أهل السياسة بطلب الملك والسعي إليه بكلّ السبل، راح كلّ من كانت لديه رغبة في شيء من هذه العلوم، فلسفة ومنطق وغيرها، يظهر ما كان بحوزته منها كتبا وعلما[1]، وقد أدّى هذا إلى ازدهار الدراسات الفلسفية في عصر ملوك الطوائف، الذي شهد انفتاحا على كلّ العلوم والمعارف.

3. الإسهام الفكري للبربر في الحركة العلمية بالأندلس من العهد العامري إلى زوال الخلافة الأموية بالأندلس.

1.3. العلوم الدينية:

تنافس أهل الأندلس في تحصيل العلوم عامّة، واشتدّ تنافسهم في مجال العلوم الدينية بجميع تخصّصاتها، وكان للبربر حظ لا بأس به من العلماء في كلّ ذلك، حرصا منهم على فهم دينهم من جهة، وتبليغه ونشره حيثما حلوا وارتحلوا من جهة أخرى، وثالثة الأثافي كانت رغبة العديد منهم في الوصول إلى المناصب العليا بالدولة، حيث تسنّى للبعض منهم أن يقطفوا ثمار ما زرعوا، بوصولهم إلى ما أرادوا، ومن أهمّ التخصّصات العلمية التي برزوا فيها:

أ)- الفقه: كان الفقه يعتبر الوجهة الثانية، التي تأتي مباشرة بعد حفظ القرآن، حيث كان إتمامه يفرض على طالب العلم الانتقال مباشرة إلى طلب تحصيل الفقه، ولذلك

---

[1] - صاعد الأندلسي، المصدر نفسه، ص88.

نجد أنّ أكثر الذين ترجمت لهم كتب التراجم كانوا فقهاء، ومن البربر الذين برزوا في ميدان الفقه خلال هذه الفترة:

* أبو جعفر أحمد بن خلوف المسيلي المعروف بالخياط (ت393هـ/1003م)، وكان فقيها عالما بالمسائل، حافظا على مذهب مالك، حسن التكلّم في الفقه.[1]

* أبو القاسم سهل بن إبراهيم بن سهل بن نوح بن عبد الله بن خمار، ويعرف بابن عطّار الإستجي (ت387هـ/997م)، وينسب في البربر الموالين لبني أميّة، ذكره ابن الفرضي فقال:" كان بصيرا بالمذاهب ".[2]

* أبو بكر عبد الله بن عبد الله الزجّالي القرطبي (ت375هـ/985م)، الذي كان عالما طاهرا، حتى قيل: " إنّه كان أولى بالقضاء من ابن أبي عيسى ومن منذر ومن غيرهما.[3]

* أبو سليمان عبد السلام بن السمح بن نابل الهواري (ت387هـ/997م)، أصله من مورور، وكان حافظا للمذهب الشافعي، حسن القيام به.[4]

* موسى بن يحي الصدّيني الفاسي (ت388هـ/998م)، الذي دخل الأندلس، وتردّد في الثغر، وكان فقيها حافظا للمسائل، عالما بالرّأي.[5]

* محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله القرطبي الأصيلي (ت400هـ/1009م)، وهو والد الفقيه أبي محمد الأصيلي، وعنه روى واستنفذ بالكتابة مصنّفاته.[6]

* أبو العبّاس أحمد بن عبد الله بن هرثمة بن ذكوان بن عبد الله بن عبدوس بن ذكوان الأموي بالولاء (ت413هـ/1022م)، وقال ابن حيّان أصلهم من برابرة فحص البلوط، وقد تولى أبو العباس هذا قضاء الجماعة وخطة الصلاة بقرطبة في عهد

---

1 - ابن الفرضي، نفس المصدر، ص62.
2 - ابن الفرضي، المصدر نفسه، ص161/ الذهبي، المصدر نفسه، ج27 ص140.
3 - ابن الفرضي، نفسه، ص197/ القاضي عياض، المصدر نفسه، ص182.
4 - ابن الفرضي، نفسه، ص233- 234/ الصفدي، نفس المصدر، ج18 ص259/ الذهبي، نفسه، ج27 ص147.
5 - ابن الفرضي، نفسه، ص409.
6 - ابن الأبّار، نفس المصدر، ج1 ص302/ ابن عبد الملك المراكشي أبو عبد الله، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر6، تحقيق: إحسان عبّاس، دار الثقافة- بيروت، ط1، 1973، ص252- 253.

المنصور بن أبي عامر[1]، وزاد القاضي عياض على هذا الوصف أنّه كان عاقلا عاملا بمذاهب المالكية، وكان أكبر ما فيه عقله ورأيه.[2]

* الفقيه أبو بكر خلف بن يوسف بن نصر المغيلي (ت396هـ/1006م)، من أهل طلبيرة، أخذ عن أبي عبد الله بن عيشون مختصره في الفقه وغيره.[3]

* الفقيه أبو عبد الرحمن عبد الرحيم بن أحمد بن عبد الرحمن الكتامي السبتي (توفي نحو 421هـ/1030م)، ويعرف بابن العجوز، وكان عالما بمذهب المالكيين، ذا رواية واسعة بإفريقية والأندلس.[4]

* أبو حاتم محمد بن عبد الله بن هرثمة بن ذكوان القرطبي (ت414هـ/1023م)، كان له بصر بالفقه أهّله لتولي أحكام المظالم بقرطبة، وكان محمودا في أحكامه، حسن السيرة فيها.[5]

* أبو سعيد خلف بن مسعود الجراوي المالقي، المعروف بابن أمينة (ت400هـ/1009م)، قدم قرطبة سنة 393هـ/1003م، فحمل عنه بها علم كثير، ويذكر ابن بشكوال أنّه أجاز له مختصر النحوي للمدوّنة.[6]

* أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن محمد الأصيلي (ت392هـ/1002م)[7] ، الذي دخل قرطبة سنة 342هـ/953م، فسمع من شيوخها، ورحل إلى بغداد وتفقه بها على المذهب المالكي، وعاد إلى الأندلس في آخر أيّام المستنصر بالله، وجمع كتابا في اختلاف مالك والشافعي وأبي حنيفة سمّاه" كتاب الدلائل على أمّهات المسائل"[8] ، وكان وكان متفنّنا وإليه انتهت الرياسة بالأندلس في المالكية.[9]

---

1 - ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج1 ص42- 43/ الزركلي، المرجع نفسه، ج1 ص156/ محمد مخلوف، نفس المرجع، ج2 ص165.

2 - ترتيب المدارك، ص253- 256.

3 - ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج1 ص144.

4 - نفسه، ج2 ص315/ ابن العماد الحنبلي، نفس المصدر، ج2 ص216.

5 - ابن بشكوال، نفسه، ج2 ص397- 398/ محمد مخلوف، المرجع والصفحة نفسها.

6 - ابن بشكوال، نفسه، ج1 ص156.

7 - ابن الفرضي، المصدر نفسه، 205 – 206/ الحميدي، نفس المصدر، ص247/ الصفدي، المصدر نفسه، ج17 ص6/ الحافظ ابن القطان الفاسي أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك، بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام، تحقيق: الحسين آيت سعيد، دار طيبة- الرياض، 1418هـ- 1997م، ج5 ص643 / البغدادي إسماعيل باشا، المصدر نفسه، ج1 ص447/ البغدادي إسماعيل باشا، هدية العارفين وأسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار الفكر- دمشق، (د.ت)، ج1 ص448.

8 - ابن الفرضي، نفسه، ص205- 206.

9 - القاضي عياض، المصدر نفسه، ص241- 242/ ابن فرحون المالكي، نفس المصدر، ص224- 225/ محمد مخلوف، نفسه، ج2 ص150.

* محمد بن محمد بن عبد الله بن أبي دليم (288- 372هـ/901- 983م)، وكان عالما فقيها، زاهدا من أهل العلم الواسع، كما كان يأبى من الإسماع إلى أن توفي أصحابه، فجلس للناس قبل وفاته بثلاثة أعوام، فسمع منه علم كثير[1]، وكان لا يرى أن يسمّى طالب العلم فقيها حتى يكتهل ويكمل سنّه، ويقوى نظره، ويبرع في حفظ الرأي، ورواية الحديث ويتميّز فيه، ويعرف طبقات رجاله، ويحكم عقد الوثائق ويعرف عللها، ويطالع الاختلاف ويعرف مذاهب العلماء، والتفسير ومعاني القرآن، فحينئذ يستحق أن يسمّى فقيها، وإلاّ فاسم الطالب أليق به إلى أن يلحق بهذه الدرجة ودعاء الدّاعي له باسم الفقيه سخرية.[2]

* أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن أبي زمنين المري الإلبيري (324- 399هـ/936- 1008م)[3]، أصله من العدوة من نفزة، وكان من الفقهاء الرّاسخين الرّاسخين في العلم، ومن أجلّ أهل وقته حفظا للرّأي ومعرفة باختلاف العلماء، قدم قرطبة سنة 378هـ/988م فسمع منه الناس، وقد جمع بين الحفظ والعلم، آخذا في المسائل، قائما بها[4]، وكان صاحب تآليف منها:"المُغرب في اختصار المدوّنة وشرح مشكلها " في ثلاثين جزءا، وكتاب " المنتخب في الأحكام"، الذي ظهرت منفعته وطار بالمشرق والمغرب ذكره، وكتاب " المهذب في اختصار شرح ابن مَزين للموطأ " وغيرها من الكتب.[5]

* أبو الحسين علي بن سعيد بن أحمد الهواري الفاسي، قدم طليطلة سنة 399هـ/1008م، وكان من أهل الفقه، وممّا أثر عنه، قوله- نقلا- عن أبي زرعة الرّازي[6]: " عليكم بالفقه فإنّه كالتفاح الجبلي يطعم من سنته".[7]

---

1 - ابن الفرضي، المصدر نفسه، ص361/ الحميدي، المصدر نفسه، ص45/ الضبي، نفس المصدر، ص39.
2 - ابن فرحون، المصدر نفسه، ص350/ القاضي عياض، المصدر نفسه، ص108- 109.
3 - الحميدي، نفسه، ص63- 64/ الضبي، نفسه، ص75- 76/ ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج2 ص383- 384/ الصفدي، المصدر نفسه، ج1 ص225.
4 - ابن فرحون، نفسه، ص365- 366/ القاضي عياض، نفسه، ص259- 261/ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17 ص188- 189/ الذهبي، العبر في خبر من عبر، ج3 ص73/ ابن العماد الحنبلي، المصدر نفسه، ج2 ص156.

5 - ابن الخطيب، الإحاطة، ج3 ص133/ ابن خير الإشبيلي، نفس المصدر، ص216 / البغدادي إسماعيل باشا، إيضاح المكنون، ج1 ص424/ الزركلي، المرجع نفسه، ج6 ص227/ عمر رضا كحالة ، نفس المرجع، ج10 ص229/ محمد مخلوف، المرجع نفسه، ج2 ص150-151.
6 - هو أبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ المخزومي بالولاء الرّازي: محدّث، حافظ، له مسند، من الرّي، زار بغداد وحدّث بها، وتوفي بالرّي سنة 264هـ/878م. عمر رضا كحالة، ج6 ص239.
7 - ابن بشكوال، نفسه، ج2 ص342- 343.

* أبو عمر أحمد بن الليث الأنسري القرطبي (من أعلام النصف الأول من القرن 5هـ/11م)، ينسب إلى قرية أنسر، واصله من البربر[1]، اختصّ بابن المكوي[2]، ولازمه طويلا، وكان حافظا للفقه متقدّما في المعرفة به.[3]

* أبو حفص عمر بن عبد الله بن ذكوان القرطبي (ت403هـ/1013م)، ينتمي إلى أسرة آل ذكوان، وذكر ابن حيّان في تاريخه الكبير، أنّ سليمان المستعين بالله أنهضه لأوّل خلافته بقرطبة إلى خطة الوزارة، وصارت له بذلك منه خاصّة.[4]

* أبو عبد الله محمد بن عيسى المريني، قاضي تطيلة، وصفه ابن حيّان بالفقه، وقال:" قتل في وقعة البقر سنة 400هـ/1009م، بظاهر قرطبة ".[5]

* أبو الأصبغ عيسى بن محمد بن عبد الله بن أبي زمنين المري (توفي بعد سنة 400هـ/1010م)، وكان فقيها جليلا، نبيه القدر.[6]

* أبو العبّاس أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله الربعي الباغاني المقرئ (ت401هـ/1011م)، قدم إلى قرطبة سنة 376هـ/986م، وكان من أهل الحفظ والعلم والذكاء والفهم، لا نظير له في الفقه على مذهب مالك[7]، وذكر ابن حيّان أنّه ولد ولد بباغة[8] سنة 345هـ/956م.[9]

* أبو عبد الرحمن يصلتن بن داود الأغماتي (ت371 أو 372هـ/981 أو 982م)، دخل قرطبة طلبا للعلم، وسمع من ابن الفرضي وشيوخه، وجمع كتبا عظيمة، وقد أدركته منيته في جزيرة من جزائر السّاحل، وهو يعتزم الرّحيل إلى بلده.[10]

---

[1] - ابن الأبّار، نفس المصدر، ج1 ص21.

[2] - أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن هاشم الإشبيلي المعروف بابن المكوي (ت401هـ/1010م): كبير المفتين بقرطبة. ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج1 ص35/ عمر رضا كحالة، المرجع نفسه، ج1 ص303/ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج11 ص46.

[3] - ابن عبد الملك المراكشي أبو عبد الله، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: محمد بن شريفة، دار الثقافة- بيروت، (د.ت)،س1، ق1 ص362.

[4] - ابن الأبّار، نفسه، ج3 ص148- 149/ ابن عبد الملك المراكشي، نفسه،س5، ق2 ص447- 448.

[5] - القاضي عياض، المصدر نفسه، ص270.

[6] - ابن الزبير أبو جعفر، صلة الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس- الشيخ سعيد أعراب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة- المحمدية- المملكة المغربية، 1414هـ- 1994م، ج4 ص48/ ابن الخطيب، المصدر نفسه، ج4 ص199.

[7] - ياقوت الحموي، معجم البلدان، م1 ص259.

[8] - هي عند ياقوت الحموي: باغاية، والباغاني أو الباغايي نسبة إليها، وهي مدينة كبيرة بين مجانة وقسنطينة. المصدر والصفحة نفسها.

[9] - ابن بشكوال، نفسه، ج1 ص84- 85/ عبد القادر بوباية، نفس المرجع، ص207.

[10] - ابن الفرضي، المصدر نفسه، ص456.

* حكم بن منذر بن سعيد، ذكره ابن حزم فقال: " كان من أهل العلم والفقه".[1]

ومن هذه العيّنة من علماء البربر في مجال الفقه تستوقفنا الملاحظات التالية:

- اختلاف المستوى مابين العلماء، بحيث وجدت فئة ذات مكانة عالية من العلم، بينما كانت الفئة الثانية ذات معرفة بسيطة بالفقه.

-شحّ المعلومات التي نقلتها إلينا المصادر لعدد من الفقهاء، حيث اكتفت بذكر شيوخهم دون التعريف برصيدهم العلمي، كما هو الحال بالنسبة لخلف بن يوسف بن نصر المغيلي، وربّما وصفتهم بالعلم عامّة دون توضيح التخصّص الذي نبغوا فيه، كعبد الله بن عبد الله الزَجالي، وقد تذكرهم على أساس توليهم لخطة ما كالقضاء والوزارة، ولا تذكر أنّهم تلقوا علما، وينطبق هذا – مثلا - على عمر بن عبد الله بن هرثمة بن ذكوان.

ب)- القرآن وعلومه: أحبّ أهل الأندلس القرآن باعتباره المعجزة الربّانية الخالدة، فضلا عن كونه منهجا للدنيا والدين، وأيقنوا أنّ الخيرية في الناس تدرك بتعلم القرآن وتعليمه، فحفظته صدور الكثيرين منهم ولهجت بذكره ألسنتهم، ونقلوا ذلك إلى أبنائهم، ورسّخوه في نفوسهم، كما أقبلوا على جميع العلوم التي لها صلة به، كالتفسير وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ وعلم القراءات، وكانت غايتهم الأساس فهم ما أشكل عليهم من ألفاظه ومعانيه، وتحبير أصواتهم بقراءته قراءة صحيحة، وفق أحكام ترتيله وتجويده ومن ثمّ التقرّب إلى الله بتلاوته، وقد برز في هذا العلم بالأندلس خلال الفترة التي نحن بصدد دراستها عدد من أبناء البربر، نذكر منهم:

* أبو محمد سرواس بن حمّود الصنهاجي (ت391هـ/1001م)، الذي سكن طليطلة، وكان معلّما بالقرآن.[2]

* أبو ثابت فرج بن عيشون بن إسحاق بن عيشون السطي[3] (ت389هـ/999م)، (ت389هـ/999م)، سكن بمدينة استجة و تولّى الإمامة بها إلى أن وافته منيته.[4]

---

[1] -طوق الحمامة، ص91.

[2] - ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج1 ص196.

[3] - -السطّي: نسبة إلى سطّة من بطون أوربة بنواحي فاس. ابن خلدون، نفس المصدر، ج7 ص518/ وعند ابن ناصر الدين الدمشقي، نفس المصدر، السطي: نسبة إلى سط قبيلة من البربر، ج5 ص330.

[4] - ابن الفرضي، المصدر نفسه، ص276/ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج27 ص187.

* محمد بن محمد بن عبد بن أبي دليم (ت372هـ/982م)، وكان من العلماء العالمين بالتفسير ومعاني القرآن.[1]

* وأبو سليمان عبد السلام بن السمح المورروري[2] الشافعي الهواري (ت387هـ/997م)، الذي أحكم قراءة القرآن على القرّاء، وروى كتبا كثيرة، وقرأ الناس عليه وأخذوا عنه.[3]

* أبو القاسم سهل بن إبراهيم بن سهل بن نوح بن عبد الله بن خمار الأستجي (ت387هـ/997م)، وهو المعروف بابن العطّار، وكان عالما بمعاني القرآن.[4]

* أبو عمر أحمد بن محمد بن القيسي الجراوي (ت407هـ/1016م) ، الذي كان عالما بالقرآن، وقد أقرأ النّاس بإشبيلية زمانا، وكان من الذين أخرجتهم الفتنة من الأندلس، حيث قصد مصر وتصدّر للإقراء في جامعها إلى أن توفي.[5]

* أبو جعفر أحمد بن سليمان بن أحمد الكتامي (توفي قبل سنة 440هـ/1048م)، يعرف بابن الرّبيع، وهو من أهل طنجة، سكن الأندلس، وكانت له رحلة إلى المشرق، أين أخذ القراءة عن أبي أحمد السّامري وغيره ،وأقرأ النّاس ببجّانة والمرية، وعمّر طويلا إلى أن قارب تسعين سنة.[6]

* المقرئ أبو العبّاس أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله الرّبعي الباغاني (ت401هـ/1011م)، قدم إلى الأندلس سنة 376هـ/986م للإقراء بالمسجد الجامع بقرطبة، وكان في حفظه آية من آيات الله تعالى، وكان لا نظير له في علم القرآن قراءاته وإعرابه وأحكامه وناسخه ومنسوخه، وله كتاب حسن في أحكام القرآن نحا فيه نحوا حسنا.[7]

---

[1] - ابن فرحون، نفس المصدر، ص350/ القاضي عياض، المصدر نفسه، ص108- 109.
[2] - المورروري: نسبة إلى كورة مورور التي تتصل بأحواز مدينة قرمونة، وهي من مدن قرطبة بين الغرب والقبلة. ابن غالب الأندلسي، نفس المصدر، ص293/ الحميري، نفس المصدر، ص564.
[3] - ابن الفرضي، نفسه، ص233- 234/ ابن خير، نفس المصدر، ص319.
[4] - ابن الفرضي، نفسه، ص161/ الذهبي، المصدر نفسه، ج27 ص140.
[5] - ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج1 ص38.
[6] - نفسه، ج1 ص86.
[7] - ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج1 ص84- 85/ بوباية عبد القادر، نفس المرجع ، ص207.

* أبو عبد الله محمد بن عيسى بن أبي زمنين (ت399هـ/1008م) ، الذي صنّف في صنوف شتّى من العلوم، وكان حسن التآليف، ومن ذلك كتابه في تفسير القرآن، وهو كتاب" مختصر تفسير ابن سلام للقرآن"، وكتاب "قدوة القارئ ".[1]

* سعيد بن منذر بن سعيد (ت403هـ/1012م)، الذي عاصره ابن حزم وقال إنّه: " كان صاحب الصلاة في جامع قرطبة ".[2]

والملاحظة التي يمكن الخروج بها ممّا سبقت الإشارة إليه من مشاركة البربر في هذا المجال، هي تواضع مساهمة البربر من حيث العدد في علم القرآن، وهذا لا يعني بطبيعة الحال أنّ اهتمام البربر بالقرآن كان أقلّ من اهتمامهم بسائر العلوم الشرعية الأخرى، ولعلّ السّبب في ذلك يعود إلى أنّ الاهتمام بالقرآن الكريم كعلم قائم بذاته، كان تخصّصا يأتي بعد حفظ الكتاب العزيز وتحصيل الفقه، والمعرفة بزاد من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى جانب إجادة اللغة العربية نثرا ونظما وبلاغة، وقليلون هم الذين كانوا يتخصّصون في هذا العلم من حيث التفسير والإعراب ومعرفة القراءات بمختلف الروايات والناسخ والمنسوخ، وهذه درجة لا تدرك إلاّ بعد عناء شديد ولا يتوصّل إليها إلاّ من اجتهد في طلب ذلك لسنوات طوال.

ج)- علوم الحديث: تخصّص في هذا العلم عدد من أبناء البربر، ومن أهمّ الشخصيات التي نوّهت بها كتب التراجم خلال هذه الفترة:

* أبو محمد سرواس بن حمّود الصنهاجي، الذي حدّث ببلده طليطلة، وحدّث عنه الصّاحبان.[1]

---

[1] - القاضي عياض، المصدر نفسه، ص260/ ابن فرحون، المصدر نفسه، ص366/ الأدنه وي أحمد بن محمد، طبقات المفسّرين للداودي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم- السعودية، ط1، 1417هـ-1997م، ص93- 94/ السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، طبقات المفسرين، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة- القاهرة، ط1، 1396هـ، ص104.

[2] -طوق الحمامة، ص90- 91.

* أبو محمد عبد الله بن سلام الصنهاجي القرطبي (ت402هـ/1011م)، الذي روى عن أبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم وغيره، وحدّث عنه قاسم بن إبراهيم الخزرجي.[2]

* أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن محمد الأصيلي (ت392هـ/1002م)، ذكره ابن الفرضي وقال:" كان منسوبا إلى معرفة الحديث "[3]، وزاد ابن فرحون على هذا الوصف: " أنّه كان من أعلم الناس بالحديث وأبصرهم بعلله ورجاله، وله " نوادر حديث "، وهو خمسة أجزاء، وقد ولي قضاء سرقسطة، وقام بالشورى بقرطبة[4] ،في حين وصفه الذهبي " بالحافظ الثبت العلاّمة"[5]، وقال القاضي عياض: قال الدارقطني:" حدثني أبو محمد الأصيلي ولم أر مثله "، ويتوافق هذا الوصف مع وصف ابن حيّان الذي قال عنه: " كان فردا لا نظير له في زمانه".[6]

* محمد بن محمد بن عبد الله بن أبي دليم، كان من أهل العلم الواسع، ضابطا لكتبه، متفنّنا بروايته، ثقة مأمونا[7]، كما كان بارعا في رواية الحديث، مميّزا لطبقات رجاله.[8]

* أبو ثابت فرج بن عيشون بن إسحاق بن عيشون السطي، الذي حدّث وسمع منه ابن الفرضي كثيرا.[9]

* أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن أبي زمنين المري الإلبيري النفزي، الذي كان من كبار المحدّثين، وقد سمع الناس منه عند قدومه إلى قرطبة سنة 378هـ/988م، وكان حسن التأليف في كلّ فنّ، وله في علم الحديث كتاب" أصول السّنّة".[10]

---

[1] - ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج1 ص196. والصاحبان هما: أبو جعفر بن ميمون وأبو إسحاق بن شنظير، وكانا معا كفرسي رهان في العناية الكاملة بالعلم والبحث على الرواية والتقييد لها، والضبط لمشكلها. المصدر نفسه: ج1 ص33- 35 وج1 ص88- 89.
[2] - نفسه، ج1 ص212.
[3] - تاريخ علماء الأندلس، ص205.
[4] - الديباج المذهب، ص224- 225.
[5] - تذكرة الحفاظ، 1024/3.
[6] - ترتيب المدارك، ص243.
[7] - ابن الفرضي، نفسه، ص361.
[8] - ابن فرحون، نفسه، ص350. القاضي عياض، نفسه، ص108- 109.
[9] - ابن الفرضي، نفسه، ص276/ الذهبي، المصدر نفسه، ج27 ص187.
[10] - ابن فرحون، المصدر نفسه، ص365- 366/ القاضي عياض، المصدر نفسه، ص259- 260.

* أبو الحسن علي بن سعيد بن أحمد الهواري الفاسي، قدم إلى طليطلة سنة 399هـ/1008م، وحدّث بها، وسمع منه الصاحبان وأبو عمر الطلمنكي وغيرهم.[1]

* أبو القاسم سهل بن إبراهيم بن سهل بن نوح بن عبد الله بن خمار الاستجي، الذي كان عالما بمعاني الحديث.[2]

* أبو عمر أحمد بن خلف بن محمد بن فرتون المديوني الزاهد الراوية (ت377هـ/987م)، وهو من أهل مدينة الفرج، كان ثقة فيما رواه، وقد سمع منه الناس، وروى عنه الصاحبان.[3]

* أبو عثمان سعيد بن عثمان بن أبي سعيد بن محمد بن سعيد بن عبد الله بن يوسف بن سعيد البربري القرطبي (فقد في وقعة قنتيش سنة 400هـ/1009م)، يعرف بابن القزّاز، ويلقب بلحية الدّبل، وكانت له عناية بالحديث، ورواية عالية عن قاسم بن أصبغ وغيره، وكان أحد الثقات.[4]

* أبو الوليد رفاعة بن الفرج بن أحمد القرشي، المعروف بابن الصدّيني (ت413هـ/1022م)، قرطبي، توفي وهو ابن تسعين سنة، وكان واسع الرواية.[5]

* أبو العبّاس الوليد بن بكر بن مخلد بن أبي زياد الغمري[6] السرقسطي (توفي بالدينور 392هـ/1002م)، وهو عالم فاضل، كانت له رحلة زار فيها إفريقية وبلاد المشرق، وقد أكثر السماع في بلده وفي الغربة، ولقي أكثر من ألف شيخ[7]، وحدّث وكان ثقة أمينا فيما روى، وألف في تجويز الإجازة كتابا سمّاه " الوجازة في صحّة القول بالإجازة ".[8]

---

[1] - ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج2 ص342- 344/ ابن القاضي أبو العبّاس أحمد بن محمد المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة- الرباط، 1974، ج2، ص462- 463.

[2] - ابن الفرضي، المصدر نفسه، ص161/ الذهبي، المصدر نفسه، ج27 ص140.

[3] - ابن بشكوال، نفسه، ج1 ص22- 23/ الذهبي، نفسه، ج26 ص605.

[4] - ابن بشكوال، نفسه، ج1 ص182/ السيوطي، بغية الوعاة، ج1 ص585/ الصفدي، نفس المصدر، ج15 ص151/ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17 ص205- 206/ عمر رضا كحالة، نفس المرجع، ج4 ص227.

[5] - ابن بشكوال، نفسه، ج1 ص162/ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج28 ص318.

[6] - الغمري: نسبة إلى غمرة من شعوب زناتة، وقد ذكر ابن خلدون هذه النسبة عند تعرّضه لموسى بن صالح الغمري الذي كان من مشاهيرهم. العبر، ج6 ص138.

[7] - السيوطي جلال الدين، طبقات الحفاظ، ص419- 420.

[8] - الحميدي، نفس المصدر، ص350- 351/ الضبي، نفس المصدر، ص420/ ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج2 ص496- 497/ الزركلي، نفس المرجع، ج8 ص119/ عمر رضا كحالة، المرجع نفسه، ج13 ص17/ بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية: أدوارها- مواطنها- أعيانها، دار الكتاب العربي- الجزائر، ط2، 2003م، ج1 ص169.

* أبو سليمان يعيش بن زغلل بن سعيد بن عبد الله الكزني البلوطي القرطبي (من أعلام النصف الثاني من القرن 4هـ/10م)، هو ابن أخي القاضي منذر بن سعيد، وقد روى عن عمّه، ووقع ذكره في فضائل منذر من جمع أبي عمر ابن عبد البرّ.[1]

* أبو عبد الله بن عيسى المريني (ت400هـ/1009م)، استقضي على تطيلة، وقد وصفه ابن حيّان بالعلم، وكان له سماع للحديث.[2]

* أبو حاتم محمد بن عبد بن ذكوان، كان كثير الأحاديث، غريب الحكايات، حدّث عنه عبد الله بن عابد وأثنى عليه.[3]

* أبو الحكم هشام بن جعفر بن عثمان المصحفي القرطبي، الذي سمع من أبي جعفر بن عبد الله وطبقته.[4]

هذا ما أمكن معرفته من معلومات تتعلق بعلماء البربر خلال هذه الحقبة في العلوم الدينية، أين كانت مشاركتهم فعّالة، لا سيما في الفقه حيث أصبحت التقاليد العلمية مرتبطة في بلاد الأندلس بتفضيله ومنحه درجة السّبق على حساب باقي العلوم الدينية الأخرى، نتيجة للمكانة التي يتمتّع بها الفقيه في عيون المجتمع الأندلسي، فضلا عن الامتيازات التي كانوا يحصلون عليها من قبل الحكّام كالفوز بإحدى الوظائف الإدارية الهامّة ومنها القضاء والإمامة والكتابة.

2.3. الآداب وعلوم اللغة:

اهتمّ البربر بهذا المجال منذ بداية مشاركتهم في الحركة العلمية، التي شهدتها العدوة الأندلسية في منتصف القرن 2هـ/8م، وازداد إقبالهم على ذلك لاحقا.

أ)- النثر: ثمّة علاقة وطيدة كانت قائمة بين الكتابة الجيّدة والوظائف السامية، كخطة الكتابة في بلاط الخلافة، أو الكتابة لدى الوزراء والقضاة والعلماء، وكلّ ذلك كان

[1] - ابن الأبّار، نفس المصدر، ج4 ص234.
[2] - القاضي عياض، المصدر نفسه، ص270.
[3] - ابن بشكوال، نفسه، ج2 ص397- 398.
[4] - ابن الأبّار، نفسه، ج4 ص143.

يكسب صاحبه راتبا محترما، وقيمة عند الناس من العامّة والخاصّة، ومن أهمّ الشخصيات البربرية التي برزت في هذا الفنّ:

* أبو عمر أحمد بن محمد بن درّاج القسطلي الصنهاجي البربري[1] (ت421هـ/1030م)، كان من كتاب الإنشاء في أيام المنصور بن أبي عامر[2]، وقد برز في كتابة النثر من النوع الخالص، ممثلا في قطع وصفية وبعض الرسائل والوصايا على طريقة ابن العميد، التي دخلت الأندلس أثناء عهد الخلافة، وأخذت تتضح في فترة الحجابة، بعد أن صار أدباء الأندلس يتمثلونها، ومن أمثلة ذلك ما قاله ابن درّاج في إحدى رسائل الخليفة سليمان بن الحكم: " حاشا أن أستشفّ الحِسيَ* قبل جُمومه* وأستكره الدّرّ* قبل حُفوله، أو أتعامى عن سراج المعذرة، وأرغب عن أدب الله فنَظِرةٍ إلى مَيسَرَة*. ولكن: [من البسيط]

{مَاذَا تقولُ لأفراخٍ بذي مَرَخٍ حُمْرُ الحَوَاصِلِ لا مَاءٌ ولا شجَرُ}[3]

ما أوضَحَ العُذْرَ لي لوْ أنّهمْ عَذَرُوا وأجْمَلَ الصَّبْرَ بي لوْ أنّهمْ صَبَرُوا

لكنّهمْ صَغُرُوا عَنْ أزْمَةٍ كَبُرَتْ فمَا اعْتِذاري عَمّنْ عُذْرُهُ الصّغَرُ

وقد قلبتَ لهم ظهر الأمور، وميّزت بين المعسور والميسور، فما وجدت أحسن بدءا، ولا أحمد عودا، ممّا أذن الله فيه لعباده، الذين أعمرهم أرضه، وسخّر لهم برّه وبحره، أن يمشوا في مناكبها ويأكلوا من رزقه، وحيث نتقلب ففي كرمك، وأين نأمن ففي

---

[1] - ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، ص501- 502/ ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج1 ص48-49.

[2] - الحميدي، المصدر نفسه، ص113/ ابن تغري بردى الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي – المؤسسة المصرية العامّة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، (د.ت)، ج4 ص272- 273/ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج17 ص365 وفي تاريخ الإسلام، ج29 ص49- 51/ ابن خلكان، نفس المصدر، طبعة 1900، ج1 ص135- 139/ الصفدي، المصدر نفسه، ج8 ص33-36.

* -الحِسيُ: السهل من الأرض يستنقع فيه الماء. ابن سيّدة المرسي أبو الحسن علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 2000، ج3 ص433.

* -الجَمُوم: البئر الكثيرة الماء، والجموم والجمّة وهو الاجتماع والكثرة. ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي، لسان العرب، دار صادر- بيروت، ط3، 1414هـ- 1994م، ج12 ص105- 106.

* -الدّرّ: اللّبن وفي الحديث: أنّه نهي عن ذبح ذوات اللبن. ابن منظور، نفسه، ج4 ص279.

* -الميسَرة: السهولة والغنى. وفي التنزيل: [وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ]. البقرة، الآية: 280/ ابن سيدة، نفسه، ج8 ص574.

[3] - البيت الأول للحطيئة وقد تمثله. ابن عبد ربّه الأندلسي أحمد بن محمد، العقد الفريد، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط3، 1420هـ- 1999م، ج5 ص259 وص280/ الأصبهاني أبو الفرج، ملحق الأغاني (أخبار أبي نواس)، تحقيق: علي مهنا وسمير جابر، دار الفكر للطباعة والنشر- بيروت، (د.ت)، ج2 ص178 وص180 .

حَرَمِك، وحيث لا توحشنا دعوتك، ولا تفوتنا نعمتك، من ملكك إلى ملكك، ومن يمينك إلى شمالك".[1]

وتدلّ هذه الطّريقة في كتابة الرّسائل على مدى اتساع وقوّة ابن درّاج في هذا المجال الذي يعتبر مجاله بلا منافس.

* عبد الله بن شعيب بن أبي شعيب (ت389هـ/999م)، وهو ابن شعيب بن أبيض بن عبد الملك بن إدريس الأوربي[2]، وقد كان له خط حسن ونقل صالح.[3]

* أبو سليمان عبد السلام بن السمح بن نابل بن عبد الله بن يحيون بن حارث بن عبد الله بن عبد العزيز الهواري، ذكره ابن الفرضي وهو أحد تلاميذه بقوله: " كان حسن الخط بديعه".[4]

* أبو عبد الله محمد بن أبي سليمان بن حارث المغيلي القسّام القرطبي، كان أحد العدول عند القضاة، ونال جاها عند السلطان، وقد كتب عنه.[5]

* أبو عثمان سعيد بن عثمان بن أبي سعيد بن محمد بن سعيد البربري اللغوي المعروف بابن القزاز، الذي كان كاتبا لابن يعلى.[6]

ب)- الشعر: كان مذهب أهل الأندلس في التعليم يرى تقديم تعليم العربية والشعر على سائر العلوم، وقد ذكر ذلك القاضي أبو بكر بن العربي في كتاب رحلته، وقال لأنّ الشعر ديوان العرب[7]، كما أنّ الحاجة إليه تدعو لمعرفة اللغة العربية والاستشهاد به في التفسير ومعاني السنّة، ويستدلّ به أيضا على النسب والتاريخ وأيّام العرب.[8]

---

1 - ابن بسّام، نفس المصدر، ج1 ص37.
2 - السيوطي، بغية الوعاة، ج2 ص73/ عبد القادر بوباية، نفس المرجع، ص220.
3 - ابن الفرضي، نفس المصدر، ص203.
4 - نفسه، ص233- 234.
5 - نفسه، ص364.
6 - ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج1 ص181.
7 - ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحاذة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر- بيروت،1421هـ- 2001م، ج1 ص742/ وقد ورد هذا على لسان ابن عبّاس رضي الله عنه، قال: " الشعر ديوان العرب، هو أوّل علم العرب، فعليكم بشعر أهل الحجاز". علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1419هـ- 1998م، ج3 ص347.
8 - عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، دار الفكر– بيروت،ط1، 1405، ج10 ص176.

وكان السلف إذا أشكل عليهم لفظ من القرآن، الذي أنزله الله بلغتهم، رجعوا إلى ديوانهم، فالتمسوا معرفة ذلك مستشهدين بالبيت والبيتين، وربّما دعت الضرورة إلى أن يستفيض ذلك اللّفظ وتكثر شواهده من الشعر.[1]

وقد استقام لسان الكثيرين من أبناء البربر في الأندلس، فصار عربيا مبينا، نافسوا به بقية العناصر الأندلسية فأجادوا، ومن أبرز الأمثلة التي ظهرت منهم في ميدان الشعر بالأندلس خلال هذه الفترة:

* الأديب الشاعر أبو عمر أحمد بن محمد بن درّاج القسطلي، كان له ديوان شعر، ويعتبر من الشعراء المتقدمين[2]، بل إنّ نجمه لمع في الشعر حتى أصبح عمدة شعراء عصره في الأندلس بلا منازع[3]، وصاحب الصّدارة في ديوان الندماء.

ذكره ابن حزم فقال: " لو قلت إنّه لم يكن بالأندلس أشعر من ابن درّاج لم أبعد "، وقال أيضا: "لو لم يكن لنا من فحول الشعراء إلاّ أحمد بن درّاج لما تأخّر عن شأو حبيب والمتنبي"[4]، ولم تكن شهرته تقتصر على المغرب وحده، بل تخطته لتبلغ آفاق المشرق، حيث ذكره الثعالبي، فقال: " كان بصقع الأندلس كالمتنبي بصقع الشّام، وهو من الشعراء الفحول، وكان يجيد ما ينظم ويقول، ثم ساق له بعض أشعاره".[5]

وكان أوّل اتصاله بالمنصور بن أبي عامر بقصيدة شكّك حسّاده أن تكون من نظمه، فاستدعاه المنصور واختبره باختياره لموضوع القصيدة، وعندئذ ارتجل ابن درّاج قصيدة طويلة عدد أبياتها أربع وستون بيتا [من البسيط التام]، مطلعها:

حَسْبِي رِضَاكَ مِنَ الدَّهْرِ الَّذِي عَتَبَا وَجُودُ كَفَّيْكَ لِلْحَظِّ الَّذِي انْقَلَبَا

ثمّ يمضي مدافعا عن نفسه، ويردّ على حسّاده بقوله:

وَلَسْتُ أَوَّلَ مَنْ أَعْيَتْ بَدَائِعُهُ فَاسْتَدْعَتِ القَوْلَ مِمَّنْ ظَنَّ أَوْ حَسِبَا

إِنَّ امْرَأَ القَيْسِ فِي بَعْضٍ لَمُتَّهَمٌ وَفِي يَدَيْهِ لِوَاءُ الشِّعْرِ إِنْ رَكِبَا

---

[1] - الزركشي أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة- بيروت، 1391هـ، ص294.

[2] - ابن دحية الكلبي، المطرب من أشعار أهل المغرب، ضبط وشرح: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ط1، 1429هـ- 2008م، ص137.

[3] - الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17 ص365/ وفي تاريخ الإسلام، ج29 ص49- 51/ ابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج4 ص272- 273.

[4] - الحميدي، المصدر نفسه، ص116.

[5] - يتيمة الدهر، ج2 ص119.

وَ الشِّعْرُ قَدْ أَسَرَ الأَعْشَى وَ قَيَّدَهُ ... دَهْرًا وَ قَدْ قِيلَ وَ الأَعْشَى إِذَا شَرِبَا

وَ كَيْفَ أَظْمَأُ وَ تَجْرِي زَاخِرًا قَلَمًا ... إِلَى خَيَالٍ مِنَ الضَّحْضَاحِ* قَدْ نَضَبَا؟[1]

ولقد كان ابن درّاج حاضرا في معظم غزوات المنصور كشاهد عيان على الوقائع، التي وصفها ومدح فيها ابن أبي عامر، ومن ذلك ما نظمه في تهنئته بانتصاره في غزوة شنت ياقب[2]، في قصيدة من تسع وثلاثين بيتا [من المتقارب]، مطلعها: هُوَ الدَّهْرُ فِي فَلَكِ المَجْدِ دَارَا ... فَمَا عَاقَ الخَطْبُ إِلاَّ أَنَارَا

تَجَلَّى لَنَا قَارَنْتَنَا السُّعُودُ ... غُيُوبَ المُنَى فِي سَنَاهُ جِهَارًا

إلى قوله:

وَ فِي شَنْتَ يَاقُبٍ أَوْرَدْتَهَا ... شَوَارِبَ يَبْغِينَ فِي البَحْرِ ثَارَا

فَسِرْتَ هِلاَلاً تُبَارِي الهِلاَلَ ... إِلَيْهَا وَ بَحْرًا يَخُوضُ البِحَارَ

وَ شَمْسًا تَطَلَّعُ بِالمَغْرِبَيْنِ ... بِحَيْثُ تُوَافِي ذُكَاءَ الغُبَارَا[3]

وساق له الشيخ أبو عبد الله محمد بن الكتّاني، الكثير من الأبيات في مواضيع مختلفة، منها ما ورد في باب الدولة والعلم والصحيفة، وفيها قال: [من الطويل]

وَ أَسْمَرَ دَانٍ فِي القَنَا وَ شَهِدَا الوَغَى ... لَبَانَ عَلَى سُمْرِ الرِّمَاحِ اخْتِيَالُهُ

يُبَلِّغُ شَرْقَ الأَرْضِ أَنْبَاءَ غَرْبِهَا ... وَ لَمْ يُرَ عَنْ وَقْرِ البَنَانِ انْتِقَالُهُ

إِذَا يَدُكَ العُلْيَا اسْتَقَلَّتْ بِحَمْلِهِ ... فَأَمْعَنَ فِي الخَمْسِ الطِّلاَقِ انْغِلاَلُهُ

رَأَيْتُ هِلاَلَ الأُفْقِ فَوْقَ عِطَافِهِ ... فَوَسَطَهُ مِنْ نَجْمِ الثُّرَيَّا اخْتِلاَلُهُ[4]

* أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن أبي زمنين النفزي، وكان ذا لسان وبيان تصغي إليه الأفئدة، يقرض الشّعر ويجوّد صوغه، وكثيرا ما كان يدخل أشعاره في تواليفه فيحسّنها به، وقد ألف كتاب النصائح المنظومة من

---

* - الماء اليسير. ابن سيّدة، نفس المصدر، ج2 ص490/ ابن منظور الإفريقي، نفس المصدر، ج2 ص525.

1 -ديوان ابن درّاج القسطلي، ص308- 311.

2 - شنت ياقب: كنيسة معظمة يحج إليها النصارى وقد بناها رجل من حواريي عيسى عليه السلام اسمه يعقوب الحواري وإليه نسبت، وهي في أقصى غليسية. أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري، كتاب الجعرافية، تحقيق: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية- المركز الإسلامي للطباعة- الجيزة، (د.ت)، ص105-106/ ابن خلدون، المصدر نفسه، ج4 ص231/ القلقشندي، نفس المصدر، ج5 ص256/ قال الحميري: وهي في ثغور ماردة، نفس المصدر، ص348.

3 -ديوان ابن درّاج، ص388- 392.

4 - محمد ابن الكتاني الطبيب أبو عبد الله، نفس المصدر، ص229. ولا وجود لهذه الأبيات في ديوانه.

شعره، وله شعر كثير جدّا حسن في الزّهد والحِكم والمواعظ والرّقائق، ومنه قوله: [من البسيط][1]

الموْتُ فِي كُلِّ حِينٍ يَنْشُرُ الكَفَنَا   وَنَحْنُ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا يُرَادُ بِنَا
لا تَطْمَئِنّ إلى الدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا   وَإِنْ تَوَشَّحَتْ مِنْ أثْوَابِهَا الحَسَنَا
أيْنَ الأحِبَّةُ وَالجِيرَانُ مَا فَعَلُوا   أيْنَ الَّذِينَ هُمُوا كَانُوا لَنَا سَكَنَا
سَقَاهُمُ الدَّهْرُ كَأْسًا غَيْرَ صَافِيَةٍ   فَصَيَّرَتْهُمْ لأطْبَاقِ* الثَّرَى رُهُنَا[2]

* خلف بن سليمان بن عمرون البزاز الصنهاجي اللاردجي (ت378هـ/989م)، وهو مولى إنعام لبني أميّة ، ذكره ابن الفرضي فقال: " كان شاعرا ، وقد ولي قضاء شذونة والجزيرة.[3]

* جعفر بن عثمان المصحفي (ت372هـ/982م)، الذي أدرك بداية العهد العامري، وقد كانت أيّامه كلّها مجد وسعد في العهد السّابق فانقلبت إلى معيشة ضنك، بعد أن ألقى به المنصور في المطبق، وظل يستجديه ويستعطفه، إلاّ أنّ ذلك لم يجد نفعا، ولمّا تيقّن من دنوّ أجله، واجه الموقف برباطة جأش، فقال في ذلك:

[من الكامل]

لِي مُدَّةٌ لا بُدَّ أبْلُغُهَا   فَإِذَا انْقَضَتْ أيَّامُهَا مِتُّ
لَوْ قَابَلَتْنِي الأُسْدُ ضَارِيَةً   وَالمَوْتُ لَمْ يَقْدِرْ لَمَا خِفْتُ
فَانْظُرْ إليَّ وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ   فِي مِثْلِ حَالِكَ أمْسُ قَدْ كُنْتُ[4]

* أبو العاصي حكم بن منذر بن سعيد البلوطي (ت420هـ/1029م)، وهو ولد قاضي الجماعة منذر بن سعيد، وقد كان من أهل البراعة في الشعر، ومن ذلك قوله: [من الطويل]

وَكُنْتُمْ أخِلاّئِي الَّذِينَ أُعِدُّهُمْ   لِصَرْفِ زَمَانٍ رَابَ أوْ لِمُدَاهِيهِ
فَأخْلَفْتُمْ ظَنِّي بِكُمْ فَتَرَكْتُكُمْ   فَنَفْسِي عَنْكُمْ آخِرَ الدَّهْرِ سَالِيَةً[1]

[1] - ابن فرحون، نفس المصدر، ص365- 366/ القاضي عياض، نفس المصدر، ص259- 261/ ابن الخطيب، نفس المصدر، ج3 ص132- 133/ البغدادي إسماعيل باشا، إيضاح المكنون، ج1 ص424.
* - الأطباق: جمع طبق، والطبق هو غطاء كلّ شيء. ابن سيّدة المرسي، المصدر نفسه، ج6 ص291.
[2] - الحميدي، المصدر نفسه، ص63- 64/ الضبي، نفس المصدر، ص76/ ابن بشكوال، نفس المصدر، ج2 ص384.
[3] - تاريخ علماء الأندلس، ص118/ السيوطي، نفس المصدر، ج1 ص554.
[4] - ابن الأبّار، الحلّة، ج1 ص267/ ابن بسام، نفس المصدر، ج4 ص43-44.

* أبو بكر محمد بن هشام بن محمد بن عثمان المصحفي، من أعلام مطلع القرن 5هـ/11م، اشتهر بحفظه لأشعار الجاهلية، التي كان يقرؤها على جدّه بحضرة صاعد بن الحسين، فيطرق لسماعها منه.[2]

* أبو العبّاس الوليد بن بكر بن مخلد الغمري الأندلسي، وكان هذا الرجل شاعرا فائقا، ومن شعره في الزّهد ما أنشده في الاعتبار بالموت والقبور:

[من المتقارب]

لأيّ بـلائِكَ لا تَدَّكِرْ   وَ مَاذَا يَضُرُّكَ لَوْ تَعْتَبِرْ

بُكاءٌ هُنـا وَ تَرَاحٌ هُنَاكَ   وَ مَيِّتٌ يُساقُ وَقَبْرٌ حُفِرْ

وَ بَانَ الشَّبابُ وَحَلَّ المَشِيبُ   وَحَانَ الرَّحِيلُ فَمَا تَنْتَظِرْ

كأنَّكَ أعْمَى عُدِمْتَ البَصَرَ   كأنَّ جَنَانَكَ صَلْدٌ حَجَرْ

وَمَاذَا تُعَانِي مِنْ آيَةٍ   وَلَوْ أنَّ قَلْبَكَ صَحَّ النَّظَرْ [3]

ج)- علوم اللّغة: تتمثل أساسا في النحو وفقه اللغة وعلم المعاني، ومن أهمّ البربر الذين برزوا في هذا المجال خلال العهد العامري وعهد الفتنة إلى زوال ملك بني أميّة في الأندلس:

* خلف بن سليمان بن عمرون البزاز الصنهاجي الاستجي، الذي قال ابن الفرضي إنّه: " كان نحويا لغويا".[4]

* أبو محمد عبد الله بن شعيب بن أبي شعيب الأوربي، وقد تقدّم ذكر أبيه، وكان ولده هذا شيخا أديبا، له بصر باللّغة العربية.[5]

* أبو سليمان عبد السلام بن السمح المورورى الهواري الشافعي ، الذي روى كتبا كثيرة منها كتاب" المداخل في اللّغة "، من تأليف أبي عمر محمد بن عبد الواحد المطرّز الزّاهد، وكانت روايته لهذا الكتاب لوالد أبي بكر المصحفي، سنة

---

[1] - ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج1 ص135.
[2] - ابن الأبّار، التكملة، ج1 ص306- 307.
[3] - ابن عساكر الدمشقي، نفس المصدر، ج63 ص112- 113.
[4] - تاريخ علماء الأندلس، ص 118/ السيوطي، المصدر نفسه، ج1 ص554.
[5] - ابن الفرضي، نفسه، ص203.

379هـ/989م بالمدينة الزهراء[1]، وقد قرأ عليه ابن الفرضي كتب اللغة، ومنها نوادر علي بن عبد العزيز، التي ذكر أنّها لم تكن عند أحد من شيوخه سواه.[2]

* أبو القاسم سهل بن إبراهيم بن سهل البربري المعروف بابن العطّار، الذي " كان حافظا للإعراب".[3]

* أبو بكر عبد الله بن عبد الله الزجّالي، الذي وصفته كتب التراجم بالخيرية والفضل والحلم إلى جانب المعرفة بالأدب.[4]

* محمد أبو عبد الله بن عبد الله بن عيسى بن أبي زمنين، وكان متفنّنا في الآداب، مضطلعا بالإعراب.[5]

* أبو عثمان سعيد بن عثمان البربري اللغوي المعروف بابن القزاز الملقّب بلحية الذبل، له كتاب في الردّ على صاعد بن الحسن اللغوي البغدادي، وكان حافظا للغة العربية، حسن القيام بها، ضابطا لكتبه، متقنا في نقله، وكان من أجلّ أصحاب أبي علي البغدادي، ومن طريقه صحّت اللّغة بالأندلس بعد أبي علي.[6]

* أبو عثمان سعيد بن منذر بن سعيد البلوطي (ت403هـ/1013م)، هو أحد أولاد قاضي الجماعة منذر بن سعيد، وكان خطيبا بليغا، ذكيّا نبيلا.[7]

* فضل الله صهر القاضي منذر بن سعيد: من أعلام النصف الثاني من القرن 4هـ/10م، وهو زوج بنته وابن عمّه، وقد روى عن صهره القاضي منذر، كتاب" العين" للخليل وغيره، وأخذ الأدب عن محمد بن مضاء الأديب.[8]

* أبو حاتم محمد بن عبد الله بن هرثمة بن ذكوان، وكان أطلق من أخيه أبي العبّاس لسانا، وله طبع في حسن الإيراد والامتناع، لكنّه كان دونه في العلم، يختصّ بأدب وسط.[9]

---

[1] - ابن خير، نفس المصدر، ص319.
[2] - ابن الفرضي، نفسه، ص233- 234.
[3] - نفسه، ص161/ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج27 ص140.
[4] - ابن الفرضي، نفسه، ص196- 197/ القاضي عياض، المصدر نفسه، ص182.
[5] - ابن فرحون، المصدر نفسه، ص365.
[6] - ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج1 ص180- 182/ السيوطي، المصدر نفسه، ج1 ص585.
[7] - ابن بشكول، نفسه، ج1 ص184.
[8] - نفسه، ج2 ص369.
[9] - نفسه، ج2 ص397- 398/ القاضي عياض، المصدر نفسه، ص256- 257.

* أبو عمر أحمد بن عبد العزيز بن فرج بن أبي الحباب النحوي القرطبي المصمودي (ت400هـ/1009م)، روى عنه القاضي أبو عمر بن الحذاء، وقال:" كان من جلّة شيوخ الأدب، عالما باللّغة، حافظا ضابطا لها"، أمّا ابن حيّان فقد قال عنه: " كان متفنّنا في ضروب علم اللسان، إذا فاوهته في ذلك وجدته يقظا عالما، حافظا صحيح الرواية، جيّد الضبط لكتبه، متّقد الذهن، شديد الحفظ للغة، بصيرا بالعربية، حسن الإيراد لما يحمله، وهو كان معلّم المظفر عبد الملك ابن أبي عامر".[1]

* أبو العاصي حكم بن منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن عبد الله بن نجيح القرطبي، وكان من أهل المعرفة والذكاء، متّقد الذهن، طود علم في الأدب لا يجارى.[2]

* أبو عبد الملك مروان بن أحمد بن عبد العزيز بن أبي الحباب القرطبي (ت401هـ/1011م)، وهو ولد أبي عمر بن أبي الحباب النحوي، وكان أديبا نحويّا، يعلّم بالعربية.[3]

* أبو الأصبغ عبد العزيز بن أحمد بن أبي الحباب (ت411هـ/1020م)، هو أخو أبي عبد الملك السّابق الذكر، روى عن أبيه أبي عمر كثيرا من روايته، لكنّه لم يكن ضابطا لها.[4]

* أبو عبد الله محمد بن فضل الله بن سعيد القرطبي، وهو ابن أخي القاضي منذر بن سعيد، وقد علّم بالعربية، وأخذ كتب ابن مسرّة الجبلي، هو وابنا عمّه حكم وسعيد ابنا منذر، وهما ممّن ولد بعده بمدّة.[5]

وممّا تقدّم يتضح لنا أنّ بعض علماء البربر كان لهم في مجال الشعر قصب السبق، حيث نافسوا بكلّ جدارة أدباء عصرهم من مختلف عناصر المجتمع الأندلسي، وكان لبعضهم من البربر اهتمام متنوّع بالشعر، فمنهم من أحسن نظمه، ومنهم من نظمه ونبغ فيه وذاع صيته مغربا ومشرقا، بينما اختصّ آخرون بشرحه ونقده، ويأتي

---

[1] - الخشني محمد بن حارث، أخبار الفقهاء والمحدّثين، دراسة وتحقيق: ماريا لويس أبيلا ولويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث- مدريد، 1992م، ص67- 68/ ابن بشكول، نفسه، ج1 ص32-33.
[2] - نفسه، ج1 ص135.
[3] - ابن بشكول، المصدر نفسه، ج2 ص478.
[4] - نفسه، ج2 ص298.
[5] - ابن الأبّار، نفس المصدر، ج1 ص304.

على رأس هؤلاء ابن درّاج القسطلي، الذي جمع بين كلّ ذلك، كما برزت طائفة من اللغويين فنالت شرف الخدمة لدى المنصور بن أبي عامر، وكان منهم أبو عمر أحمد بن أبي الحباب المصمودي الذي اشتغل معلما للمظفر عبد الملك ابن أبي عامر في صباه.

3.3. العلوم العقلية:

كانت مساهمة البربر في هذه العلوم تعدّ على الأصابع، مقارنة بمشاركتهم في العلوم النقلية، التي كان لهم فيها حظ ونصيب لا يستهان به، ومن بين المشتغلين بعلم الحساب: أبو القاسم سهل بن إبراهيم بن سهل بن نوح بن خمار الاستجي، الذي كان حافظا للحساب[1]، وغالب بن محمد بن عبد الرّحمن بن نهيك الهواري الأشوني الذي كانت فنون الحساب أغلب عليه من مشاركته في غيره من العلوم[2]، وقد كانت ولادته سنة 376هـ/986م، فأدرك بذلك العهد العامري والفتنة وكان له من العمر ستّا وأربعين سنة عند زوال الخلافة الأموية بالأندلس سنة 422هـ/1031م.

4.3. علوم أخرى:

حملت المصادر أسماء بعض الشخصيات البربرية، التي كانت لها اهتمامات أخرى مثل: التاريخ (الأخبار)، والفلسفة، والكلام، خلال هذه الفترة، ومن مشاهير الإخباريين البربر في الأندلس آنذاك:

محمد بن عبد الله بن أبي زمنين الذي كان متصرّفا في الأخبار[3]، وأبو عمر أحمد بن عبد العزيز بن فرج بن أبي الحباب، الذي كان عالما بالأخبار، حافظا ضابطا لها[4]، وكان لأبي حاتم محمد بن عبد الله بن هرثمة بن ذكوان علم بالخبر[5]، أمّا أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي، فكان عالما بالكلام والنظر.[6]

كما اشتهر في علم الكلام حكم بن منذر بن سعيد، الذي كان رأس المعتزلة بالأندلس وكبيرهم وأستاذهم ومتكلمهم وناسكهم، وكان أخوه عبد الملك بن منذر متّهم

---

1 - ابن الفرضي، المصدر نفسه، ص161/ الذهبي، المصدر نفسه، ج27 ص140.
2 - ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج2 ص363.
3 - ابن فرحون، نفس المصدر، ص365/ القاضي عياض، المصدر نفسه، ص260.
4 - ابن بشكوال، نفسه، ج1 ص32- 33.
5 - القاضي عياض، نفسه، ص257.
6 - ابن الفرضي، المصدر ؛نفسه، ص205.

بهذا المذهب أيضا[1]، وقد أعدمه المنصور بن أبي عامر بسبب مساهمته في الحركة التي دعت إلى تولية عبد الرحمن بن عبيد الله الناصر ابن عم هشام، ولعلّ مسألة إعدامه لا تعود إلى تزعمه للفتنة بقدر ما تعود إلى كونه معتزليا، واستغلّ المنصور هذا العامل لصالحه، بعد ما تبيّن له أنّ مسألة إعدامه لن تثير ردود فعل سلبية على اعتبار كره أهل الأندلس الشديد للمعتزلة.[2]

واهتمّ بالفلسفة والمنطق وتقدّم فيهما: عبد الرحمن بن إسماعيل بن زيد المعروف بالإقليدسي، وهو من أسرة بني ذكوان المعروفة، وله تآليف مشهور في اختصار الكتب الثمانية المنطقية، وقد رحل باتجاه المشرق على عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر وتوفي هناك.[3]

وخلاصة القول، أنّ مشاركة البربر الفكرية شملت كلّ الفروع العلمية في الأندلس خلال هذه الفترة، وكانت هيمنة الفقه خاصة والعلوم الدينية عامّة على سائر اهتماماتهم العلمية، وتلتها الآداب واللغة بمساهمة معتبرة، بينما كانت مشاركتهم ضعيفة في العلوم العقلية والعلوم الأخرى، وكانت تلك السّمة تخصّ جميع عناصر المجتمع الأندلسي بدون استثناء وليس البربر فحسب، إلاّ أنّ اللافت للنظر هو تلك المشاركة النوعية للبربر التي حجبت النقص المسجّل على مستوى الكمّ.

---

[1] - ابن حزم،طوق الحمامة، ص91.

[2] - خليل إبراهيم السامرائي وآخرون، نفس المرجع، ص205-206.

[3] - صاعد الأندلسي، نفس المصدر، ص89- 90/ زهير حميدان، أعلام الحضارة العربية الإسلامية في العلوم الأساسية والتطبيقية، منشورات وزارة الثقافة- دمشق، 1996، المجلّد 5، ص254- 255.



الفصل الثاني:

الحركة الفكرية في الأندلس على عهد ملوك الطوائف

(422– 484 هـ/1031– 1091 م)

1 - عوامل ازدهار الحركة العلمية في عصر الطوائف.
2 - العوامل التقليدية وأثرها على الحركة الفكرية في عصر الطوائف.
3 - تعدد المراكز الثقافية في الأندلس وتشجيع الأسر الحاكمة للعلم والمعرفة.
4 - مظاهر الحركة الفكرية في عصر الطوائف.
5 - إسهام البربر في الحركة العلمية على عهد ملوك الطوائف.

ظهرت بوادر الاستقلال عن السلطة المركزية بالأندلس بشكل واضح مع ظهور فتنة نهاية القرن 5هـ/11م، حيث برزت إلى الوجود أوائل دول الطوائف[1]، لتتسع بعد ذلك بسنوات معدودات دائرة الانفصال، التي أدّت إلى تفكك دولة الخلافة وانقسامها إلى وحدات متعدّدة، على أساس عرقي (عرب- بربر- صقالبة) ، منفصلة عن بعضها، ومتناحرة فيما بينها، أصطلح على تسميتها بممالك أو دول الطوائف.

وقد وثب على السلطة في هذه الدويلات أشخاص سبق لهم أن مارسوا وظائف سامية في العهد السابق، كخطة الوزارة أو قيادة الجيش أو منصب شيخ القضاة[2]، أو من أولئك الذين جمعوا بين المال والحسب، فأبو الحزم بن جهور على سبيل المثال كان أغنى الناس بقرطبة، فضلا عن شغله لمنصب القضاء بها، الأمر الذي أهله لأن يصبح رئيسا لمجلس الشورى في حكومة الجماعة، كما كان بنو عبّاد يملكون ثلث أراضي إشبيلية، وعلى هؤلاء وقع الاختيار لتسيير شؤون الإمارة.[3]

ورغم وجود الخلافة التي أصبحت جدّ محلية، لا يتعدّى أثرها قرطبة وضواحيها، فقد تتابعت ظاهرة قيام الدويلات بكلّ أنحاء الأندلس، وبقيت هذه الأخيرة تدين بالولاء الرسمي لسلطة قرطبة، ولم يتخذ استقلالها الطابع المحلي بشكل رسمي إلاّ بعد سقوط الخلافة الأموية نهائيا سنة 422هـ/1031م، وقيام بني جهور بأمر قرطبة[4]، كواحدة من دويلات الطوائف على هذا العهد بالأندلس.

وعلى النقيض من التفكك السياسي الذي حلّ بالأندلس في زمن الطوائف فقد نشطت الحركة العلمية، وحفلت بغزارة الإنتاج الفكري، حيث برزت المؤلفات في كلّ فنون العلم، من شعر وأدب وأخبار وطب وفلسفة وعلوم أخرى.

ولنا أن نتساءل عن العوامل التي ساعدت على هذا النبوغ العلمي والمعرفي في ظلّ هذه الازدواجية والمفارقة العجيبة بين التقهقر السياسي والازدهار الفكري.

---

[1] - فقد قامت على سبيل المثال دولة بني القاسم في البونت سنة 400هـ/1009م، ودولة بني خزرون في أركش سنة 402هـ/1011م، ودولة بني رزين في السهلة في نفس السنة، ثم دولة بني زيري بغرناطة سنة 403هـ/1012م. المستشرق زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، أخرجه الدكتور زكي محمد حسن وآخرون، دار الرائد العربي- بيروت، 1400هـ-1980م، صص 86-88.

[2] - Bartolomé Bennassar, op, cit ,Tome1,p106.

[3] - حمدان حجاجي، محاضرات في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، منشورات زرياب- الجزائر، 1993، ص9.

[4] - بسطت هذه الإمارة نفوذها على جيان وأبّذة وبيّاسة والمدور وأرجوانة وأندوجر. محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس- دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط2، 1389هـ-1969م، ص20-30.

1. عوامل ازدهار الحركة العلمية في عصر الطوائف:

كثيرة هي العوامل التي أعطت للحركة العلمية في هذا العهد دفعا قويا، حتى وصل تطور المعرفة بالأندلس إلى قمّته في القرن 5هـ/11م، وأبرز هذه العوامل:

1.1. الميراث الثقافي المشرقي والتأسيس لحركة فكرية أندلسية محلّية:

تأثرت الأندلس بمختلف تراكمات المعرفة الوافدة من المشرق، لاسيما على عهدي الخليفتين عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر، وهو ما ساعدها على إنتاج حركة ثقافية وفكرية ذاتية أسّست من خلالها لمعرفة أندلسية أصيلة تتمتع بخصوصياتها، وبطابعها المحلي خلال القرن 5هـ/11م، حتى سمّى ذلك بعض العلماء المشارقة بالتعصّب الأندلسي.[1]

ذلك أنّ علماء الأندلس خلال هذا العصر وصلوا إلى ما يؤهّلهم لترك التقليد المعرفي المشرقي، ولا يعني هذا الذي قاموا به إحداث قطيعة مع جذورهم الثقافية والحضارية، بل هو إثبات للذات وافتخار بما وصلوا إليه من نضج ونبوغ وإنتاج مستقل، عبّروا عنه بوعي جماعي في شكل حركة شمولية ، تجسّدت في أعمال ابن بسّام من خلال مؤلفه " الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة "، الذي سجّل فيه أشعار معاصريه من الشعراء، وأروع ما جادت به قرائح الأدباء من نثر في الأندلس ، وفي هذا المنحى ألف ابن حيّان- باعتباره مؤرّخا وشاهدا على عصر الطوائف- كتابه الرّائع " المتين "، الذي أشاد به المستشرقون، واعتبروا صاحبه أعظم مؤرّخ أندلسي[2]، كما يمكن أن نذكر شخصية الجغرافي أبي عبيد البكري التي برزت في مؤلفه " المسالك والممالك "، حيث وصف فيه جغرافية الأندلس والممالك المسيحية وصفا دقيقا، جعل كتابته تتميز بقيمة ثقافية كبيرة، ولعلّ أهم ما يجب التنويه به من افتخار الأندلسيين ببلدهم وثقافتهم تلك الرسائل التي تحدّثت عن تفوّقهم، وأبرزها رسالة ابن حزم[3] ورسالة الشقندي.[4]

---

[1] - امحمد بن عبود، مباحث في التاريخ الأندلسي ومصادره، منشورات عكاظ، تطوان، 1987، ص220. M'hammad Benaboud, L'Historiographie D'Al-Andalus Durant La Période Des Etats-Taifas, In Revus de L'Occident Musulman et de la Mediterranée, Numero 40, 1985, pp123-141..

[2] - ومن هؤلاء المستشرقين: سانشيس البورنوث وبونس بويكيس. أمحمد بن عبود، المرجع نفسه، ص49- 50 وص80 الهامش62.

[3] - المقري، نفس المصدر، ج3 ص156-179.

[4] - نفسه، ج3 ص186-222.

2.1. ظاهرتاتفرّق علماء قرطبة وكتبها على أصقاع الأندلس:

سبق الحديث عنهما في الفصل السابق كنتيجة من نتائج فتنة القرن 5هـ/11م، حيث ستساهم هاتين الظاهرتين رفقة عوامل أخرى في دفع الحركة العلمية في سائر مدن الأندلس على عهد ملوك الطوائف.[1]

3.1. رفع الحظر عن الدراسات القديمة:

لا يختلف اثنان حول مسألة التطور الذي عرفته الدراسات الفلسفية في زمن الحكم المستنصر، تلك الدراسات التي سرعان ما انتكست وغيّبت، لتوضع في دائرة العلوم المحظورة في زمن المنصور بن أبي عامر، الذي تصرّف بشأنها وفق ما تقتضيه المصلحة السياسية، فأرضى الفقهاء والعامّة ليثبّت سلطانه، ويؤمّن دولته من كلّ معارضة قد تصيبها في الصميم.

ولمّا كانت الفتنة التي أعقبت زوال الوجود العامري وظهور دول الطوائف، ارتفع الحجر عن العلوم القديمة، ويعزى فضل معرفتنا لذلك إلى القاضي صاعد الأندلسي، صاحب كتاب "طبقات الأمم"، الذي عايش هذه الفترة، وتعرّف إلى العديد من علمائها، فهو ينقل إلينا صورة حيّة عن هذه المرحلة الانتقالية في وصفه لخراب مكتبة الحكم بقوله: "وانتشرت تلك الكتب بأقطار الأندلس، ووجد في خلالها أعلاق من العلوم القديمة، وكانت أفلتت من أيدي الممتحنين بخزانة الحكم أيام المنصور بن أبي عامر، وأظهر أيضا كلّ من كان عنده من الرّعية رغبة في شيء منها ما كان لديه، فلم تزل الرّغبة ترتفع من حينئذ في طلب العلم القديم شيئا فشيئا وقواعد الطوائف تتمصّر قليلا قليلا إلى وقتنا هذا، فالحال بحمد الله تعالى أفضل ما كانت بالأندلس في إباحة تلك العلوم والأعراض عن تحجير طلبها ".[2]

ويدلّ هذا النّص على شيء من التسامح فسح المجال لحرّية التفكير، إلاّ أنّ الخطر الأجنبي كان يمثّل العقبة الكئود في وجه هذه الحرّية، ويمكن أن نلمح هذا في قوله: " إلىّ أنّ زهد الملوك في هذه العلوم وغيرها، واشتغال الخواطر بما دهم الثغور

---

[1] - ينظر: الفصل الأول من المذكرة، ص 41-42.
[2] - صاعد، نفس المصدر، ص88-89.

من طلب المشركين عاما من أطرافها ..قلل طلاّب العلم وصيّرهم أفرادا بالأندلس ".[1]

ويفهم ممّا تقدّم أنّ نسبة الإقبال على هذه العلوم، كانت ذات علاقة بالاستقرار السياسي والأمني للمنطقة، ذلك أنّ أكثر مدن الأندلس احتضانا لهذه الدراسات وهما: طليطلة وسرقسطة كانتا على مقربة من الخطر الخارجي.

كما يمكن أن نلحظ بوضوح هذا التسامح في كثرة عدد المشتغلين بهذه العلوم خلال عصر الطوائف، ومن أهمّ الأسماء اللاّمعة التي برزت في هذا المجال:

أبو الحسن علي بن محمد بن سيّدة المرسي الأعمى[2] (ت458هـ/1066م) ، الذي اهتمّ بعلم المنطق اهتماما طويلا، وألف فيه تأليفا كثيرا، ذهب فيه مذهب متى بن يونس[3].

وابن السيّد البطليوسي عبد الله بن محمد (444-521هـ/1052-1127م) ، الذي ألف في الفلسفة كتابا بعنوان:" الحدائق في المطالب الفلسفية العالية العويصة "، وعنه قال أسين بلاسيوس:" إنّه لا يمكن اعتباره مجرّد كتاب سهل الاستعمال، يعين جمهور غير المتخصّصين في الفلسفة على معرفة المبادئ الفلسفية، بل له أهمّية أخرى تكمن في أنّه يعرض علينا صورة صادقة إلى حدّ كبير للحالة التي كانت عليها المعارف الفلسفية في إسبانيا الإسلامية في الفترة التي ألف فيها، فضلا عن نقله لفقرات بنصّها من محاورة تيماوس لأفلاطون، وعلاوة على ذلك فإنّه يعتبر أوّل محاولة للتوفيق بين الشريعة الإسلامية والفكر اليوناني"[4].

---

[1] - صاعد، المصدر نفسه، ص89.

[2] - ابن خير، نفس المصدر، ص317/ الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك، مختصر كتاب نكت الهميان في نكت العميان، اختصره عبد الإله بن عثمان الشايع، قرأه وقدمه عبد العزيز بن محمد السدحان، دار الصميعي للنشر والتوزيع – الرياض، ط1، 1420هـ- 1999م، ص61.

[3] - نفسه، ص99/ السيوطي، بغية الوعاة، ج2 ص143/ ابن خلكان، نفس المصدر، ج3 ص330-331/ ابن كثير أبو الفداء، البداية والنهاية، مكتبة المعارف – بيروت، (د.ت)، ج12 ص95/ عمر رضا كحالة، نفس المرجع، ج7 ص36/ كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، تعريب: عبد الحليم النجار وآخرين ، دار المعارف- مصر، ط4، (د.ت)، ج5 ص351.

[4] - بالنثيا، نفس المرجع، ص334-335.

وقد خصّص ابن السيّد هذا الكتاب للإجابة عن سبع مسائل منها قول الحكماء: إنّ صفات الباري تعالى لا يصحّ أن يوصف بها إلاّ عن طريق السّلب، وقولهم: إنّ الباري تعالى لا يعرف إلاّ نفسه. وما البرهان على بقاء النفس الناطقة بعد الموت.؟[1]

وكان أبو الوليد هشام بن هشام بن خالد الكناني المعروف بابن الوقشي الطليطلي " من أهل الفكر الصحيح والنظر الناقد والتحقق بصناعة الهندسة والمنطق" [2]، ويعود الفضل لأبي الحكم عمرو بن عبد الرحمن بن أحمد بن علي الكرماني القرطبي (ت458هـ/1066م) في إدخال رسائل" إخوان الصّفا " إلى الأندلس[3]، وقد لقيت هذه الرسائل إقبالا عظيما من أهلها.[4]

كما كان أبو عثمان سعيد بن فتحون بن مكرم المعروف بالحمّار السرقسطي، من المتحققين بعلم الهندسة والمنطق والموسيقى، متصرّفا في سائر علوم الفلسفة، وله رسالة حسنة في المدخل إلى علوم الفلسفة سمّاها " شجرة الحكمة"[5]، وعن هذه الرسالة قال أبو محمد علي بن حزم الظاهري: " وأمّا الفلسفة فإنّي رأيت فيها رسائل مجموعة، وعيونا مؤلفة لسعيد بن فتحون السرقسطي المعروف بالحمّار دالة على تمكّنه من هذه الصناعة ".[6]

وقد عني ابن حزم بعلم المنطق، وكان من أشدّ الناس اهتماما به في عصره، وتحمّل في سبيل ذلك اتهام الفقهاء له بقراءة كتب تؤدي إلى الإلحاد، وألف كتبا في مراتب العلوم والمنطق، ضاعت معظمها ولم يبق منها إلاّ القليل، بسبب إحراق كتبه بأمر من المعتضد ملك إشبيلية، الذي أرضى فقهاء المالكية وعلى رأسهم أبو الوليد

---

[1] - ابن السيّد البطليوسي الأندلسي، الحدائق في المطالب العالية الفلسفية العويصة، تحقيق: محمد رضوان الدّاية، دار الفكر- دمشق،ط1، 1408هـ- 1988م، ص33-34.

[2] - صاعد، المصدر نفسه، ص96/ ألبير حبيب مطلق، الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، 1967، ص269.

[3] - صاعد، نفسه، ص92/ إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة- بيروت، ط6، 1981م، ص57.

[4] - بالنثيا، المصدر نفسه، ص17/ سعد إسماعيل شلبي، البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر عصر ملوك الطوائف، دار نهضة مصر للطبع والنشر- القاهرة، (د.ت)، ص46.

[5] - صاعد، نفسه، ص90.

[6] - المقري، المصدر نفسه،ج3 ص175/ ابن حزم وابن سعيد والشقندي، فضائل الأندلس وأهلها، تحقيق: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد،ط1، 1968، ص18.

الباجي، فلم يكن تصرّفه هذا اضطهادا علميا لابن حزم كفيلسوف بقدر ما هو اضطهاد سياسي[1].

وقد ألف في المنطق كتابه " التقريب لحدّ المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية "، الذي ردّ فيه على من أنكروا المنطق والعلوم الفلسفية، حيث قال: " ولقد رأيت طوائف من الخاسرين شاهدتهم أيّام عنفوان طلبنا، وقبل تمكن قوانا في المعارف، وأوّل مداخلتنا صنوفا من ذوي الآراء المختلفة، كانوا يقطعون بظنونهم الفاسدة من غير يقين أنتجه بحث موثوق به، على أنّ الفلسفة وحدود المنطق منافية للشريعة "[2]، وبعد أن أثبت عدم تنافي الفلسفة مع الشريعة، أكّد على أنّ المنطق منها خاصّة يمكن أن يتخذ معيارا لتقويم آراء الشريعة وتصحيحها.

ولابن حزم كتاب " الأخلاق والسّير في مداواة النفوس"، وفيه مسحة فلسفية، حيث دوّن فيه ملاحظات أو اعترافات تتصل بسيرة حياته بقصد التعليم والتربية، وقد أورد ذلك بأسلوب وعظي حكمي تعرّض فيه لرذائل النفس وأخلاق البشر[3] ، ومن أمثلة ما ذكره في ذلك:" من جالس النّاس لم يعدم همّا يؤلم نفسه، وإنّما يندم عليه في معاده، وغيظا ينضج كبده، وذلاّ ينكس همّته، فما الظن بعد بمن خالطهم وداخلهم ؟ والعز والراحة والسرور والسلامة في الانفراد عنهم، ولكن اجعلهم كالنار تدفأ بها ولا تخالطها ليلة ".[4]

وقد تسرّبت الفلسفة إلى علوم أخرى وجدت في ثناياها ومنها التصوّف، الذي كان في الأندلس مزيجا من تعاليم الإسلام وتعاليم الأفلاطونية الحديثة[5]، وسيظهر ويتجلّى بوضوح الاتجاه الفلسفي في الشعر في عصر الطوائف.

ومن هنا شاعت الفلسفة بين خواص العلماء والمفكرين، ومن تتلمذوا على أيديهم وأخذوا عنهم، وما تركوه لنا من إنتاج فلسفي يؤكّد بما لا يدع مجالا للشكّ أنّ الفلسفة كانت تعيش أحسن أيّامها في الأندلس على عصر ملوك الطوائف.

4.1. التنافس بين ملوك الطوائف في اجتذاب العلماء والأدباء إلى بلاطاتهم:

---

[1] - سعد إسماعيل شلبي، المرجع نفسه، ص48.

[2] - ابن حزم، رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق: إحسان عبّاس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ط1، 1980، ج1 ص115-116.

[3] - بالنثيا، المرجع نفسه، ص217-218.

[4] - ابن حزم، نفسه، ج1 ص348.

[5] - أحمد أمين، نفس المرجع، ج3 ص193.

إنّ المتأمّل لمجريات الأحداث في عصر الطوائف يدرك حقيقة مفادها اتساع دائرة الصّراع، الذي انتقل من صراع سياسي وعسكري إلى صراع حضاري فكري، وكان الهدف من وراء ذلك طلب الشهرة والتميّز والعظمة والأبّهة لكلّ ملك على نظرائه من الملوك.

وبالعودة إلى السّيرة الذاتية لكلّ واحد منهم تتجلى لنا ظاهرة المنافسة في صنوف العلم والمعرفة، وذلك من خلال حرصهم على جلب العلماء إلى بلاطاتهم، وإنفاقهم الأموال في سبيل الظفر بالأسماء اللاّمعة من العلماء والأدباء، وقد وجد الكثير من أهل العلم والمعرفة ضالته في هذه المنافسة، فتنقّلوا بين البلاطات من مدينة لأخرى، للاستفادة من الامتيازات التي قد توجد هنا ولا توجد هناك، كالشعور بالأمن والحماية، أو الظفر بأحد المناصب السّامية، أو لوفرة العطاء على أقلّ تقدير، وغير ذلك من الامتيازات التي كان يحظى بها هؤلاء، ومن الأمثلة على ذلك:

* أبو الحسن علي بن عبد الغني الفهري الكفيف المعروف بالحصري القروي المقرئ والشاعر المشهور (ت488هـ/1095م)، الذي دخل الأندلس بعد سنة 450هـ، " والأدب يومئذ نافق السّوق، معمور الطريق، فتهادته ملوك الطوائف، تهادي الرياض النسيم، وتنافسوا فيه تنافس الديار في الأنس المقيم ".[1]

* وأبو عبيد البكري (ت487هـ/1094م)، الذي اشتهر بتصانيفه الكثيرة في اللغة والأدب والجغرافية، وقد ذكر ابن خاقان أنّه " كان كلّ ملك من ملوك الأندلس يتهاداه تهادي المقلّ للكرى، والآذان للبشرى ".[2]

* والأديب أبو مروان عبد الملك بن غصن الخشني الحِجاري (ت454هـ/1062م)، الذي قال عنه صاحب المسهب:" إنّه كان أحد أعلامها - الأندلس - في الأدب والتاريخ والتآليف الرّائقة التي تبهر الألباب ، وكان ملوك

---

[1] - ابن بسام، نفس المصدر، ج4 ص148-149/ الحميدي، نفس المصدر، ص307-308/ ابن بشكوال، نفس المصدر، ج2 ص345-346/ ابن خلكان، نفس المصدر، ج3 ص331-332/ ابن العماد الحنبلي، نفس المصدر، ج3 ص385/ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج4 ص1808-1809/ الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك، مختصر كتاب نكت الهميان ...، ص65/ حاجي خليفة، نفس المرجع، ج2 ص1337/ البغدادي إسماعيل باشا، إيضاح المكنون، ج3 ص110/ نفس المؤلف، هدية العارفين، ج1 ص693/ الزركلي، نفس المرجع، ج4 ص300-301/ عمر رضا كحالة، نفس المرجع، ج7 ص125.

[2] - ابن خاقان الفتح، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، تحقيق وتعليق: حسين يوسف خربوش، مكتبة المنار للطباعة والنشر والتوزيع- اليرموك، ط1، 1409هـ- 1989م، ج3 ص615-620/ ابن بسام، نفسه، ج2 ص144-148.

الطوائف يتهادونه تهادي الريحان يوم السباسب، ويلحفونه أثواب الكرامة من كلّ جانب ".[1]

ومن خلال هذه الأمثلة، فإنّنا نلاحظ تهافت ملوك الطوائف وسعيهم الحثيث في اجتذاب العلماء النابغين والأدباء البارعين والشعراء المقدّمين، وقد بلغ بهم التنافس حدّا جعل كلّ بلاط من بلاطاتهم يتخصّص في لون معيّن من ألوان العلم والمعرفة والفن، " فالمتوكل صاحب بطليوس امتاز بالعلم الغزير، بينما امتاز ابن ذي النون صاحب طليطلة بالبذخ البالغ، وفاق ابن رزين صاحب السهلة أنداده في الموسيقى، واختصّ المقتدر بن هود صاحب سرقسطة بالعلوم، وبذّ* ابن طاهر صاحب مرسية أقرانه بالنثر الجميل المسجوع، أمّا الشعر فكان أمرا مشتركا بينهم جميعا يلقى منهم كلّ رعاية، ولكن عناية بني عبّاد أصحاب إشبيلية الجميلة به كانت أعظم وأشمل".[2]

وهكذا صار لكلّ بلاط تخصّص في مجال معيّن من العلم والمعرفة، واشتركوا جميعا في احتضان الشعر والشعراء كظاهرة عامّة، ولم تمنع حياة البذخ في القصور والعمائر التي شيّدها بني ذي النون من تشجيعهم للحركة العلمية بإمارتهم، فقد أحاط المأمون نفسه بكثير من العلماء، تخصّصوا في شتّى العلوم التجريبية من رياضيات وطب وفلك وزراعة فضلا عن الفلسفة والمنطق، وقد خرّجت طليطلة أعلاما بارزين في كلّ الميادين العلمية وفاقت جاراتها من الممالك في مجال العلوم التطبيقية.

2. العوامل التقليدية وأثرها على الحركة الفكرية بالأندلس في عهد الطوائف:

1.2. المكتبات:

انتشرت الكتب التي كانت بخزائن قرطبة عقب أحداث الفتنة، وتوزّعت على سائر أنحاء الأندلس، وعندها تنافس محبّو العلم والمعرفة في اقتناء ما استطاعوا منها، حتى بات الاهتمام بالمكتبات في هذا العصر لا يتعلق بقرطبة وحدها، بل تعدّاها ليشمل باقي المدن الأندلسية، ومن أهمّ المكتبات التي يجب التنويه بها في هذه الفترة:

---

[1] - ابن سعيد، نفس المصدر، ج2 ص33.

* - بذّ: من البذ وهو الغلبة والقهر والإذلال، ويقال بذ فلان أقرانه إذا غلبهم. ابن فارس أبو الحسين أحمد القزويني، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل- بيروت، 1420هـ- 1999م، ط2، ج1 ص177/ وقيل: إنّ العرب تقول بذ يبذ بذا إذا خرج شيء على الأخر في حسن أو عمل كائنا ما كان. الفراهيدي الخليل بن أحمد، العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د.ت)، ج8 ص177.

[2] - بالنثيا، المرجع نفسه، ص78.

📖 **مكتبة أبي الوليد محمد بن يحي الغافقي القرطبي المعروف بابن الموصول (ت433هـ/1041م):** وقد كان هذا الرجل " أديبا كاتبا جمّاعا لدفاتر العلم من لدن صباه، منتقيا لكرائمها، بصيرا بخيارها ... مؤثرا لها على كلّ لذة، حتّى اجتمع عنده ما لم يجتمع مثله لأحد بالأندلس بعد الحكم الخليفة، وكان يمتلك الكثير من الكتب بخط أبي علي القالي، ونوادر ابن الأعرابي بخط أبي موسى الحامض وغير ذلك"[1] ، وقد بيعت بعد موته تركة خزائنه بأثمان غالية، وقوّمت الورقة في بعضها بربع مثقال.*

📖 **مكتبة أبي جعفر أحمد بن عبّاس وزير الفتى زهير العامري (ت429هـ/1037م):** الذي كان جامعا للدواوين العلمية، معنيّا بها، مقتنيا للجيّد منها، مغاليا فيها، نفّاعا من خصّه بها، لا يستخرج منها شيئا لفرط بخله بها، إلاّ لسبيلها، حتّى أثرى كثيرا من الورّاقين و التجّار معه فيها، وجمع منها ما لم يكن عند ملك، وقد حكى ورّاقه أنّه حصّلها قبل مقتله بسنة، فبلغت المجلدات في التحصيل أربعمائة ألف وأمّا الدفاتر المحزومة فلم يقف على عددها لكثرتها.[2]

📖 **مكتبة المظفر بن الأفطس صاحب بطليوس:** كان هذا الأمير جمّاعة للكتب وقد تزينت خزانته بموسوعته الكبرى التي ألفها في خمسين مجلدا[3]، وهو يحتوي على الأخبار والسّير والتاريخ والآداب المتخيّرة والطرف المستملحة والنكت البديعة والغرائب الملوكية، ولم يكن يصلح لكبره إلاّ لخزائن الملوك، سمّاه بالتذكرة، واشتهر بكتاب المظفر[4]، أو المظفري[5]، ويضعه ابن حزم - في رسالته التي ردّ فيها على ابن الرّبيب القيرواني- ضمن كتب التاريخ ويضاهيه بكتاب المتين لابن حيّان في الكبر، ويذكر أنّه يتضمّن تاريخا على السنين، وفنون آداب كثيرة.[6]

---

[1] - ابن الأبار، التكملة، ج1 ص312.

* **المثقال**: وزنه درهم وثلاثة أسباع درهم. مقدمة ابن خلدون، ج1 ص323، وفيها أيضا: المثقال من الذهب وزنه اثنتان وسبعون حبّة من الشعير. ص325، ومن ثمّ فإنّ ربع المثقال من الذهب يساوي ما وزنه سبعة عشر حبة ونصف حبّة من الشعير.

[2] - ابن بسام، المصدر نفسه، ج1 ص413/ ابن الخطيب، الإحاطة، ج1 ص125/ ابن عذاري، نفس المصدر، ج3 ص293.

[3] -ويرى ابن سعيد أنّ كتابه " المظفري" في الأدب والتاريخ كان في نحو مائة مجلد، ورثها بعده ابنه المتوكّل. المغرب في حلى المغرب، ج1 ص364/ سحر السيد عبد العزيز سالم، تاريخ بطليوس الإسلامية وغرب الأندلس في العصر الإسلامي، التاريخ السياسي، مؤسسة شباب الجامعة- الاسكندرية، 1989، ج1 ص426.

[4] - ابن بسام، المصدر نفسه، ج2 ص387.

[5] - المقري، نفس المصدر، ج1 ص442.

[6] - نفسه، ج3 ص181/ ابن حزم وابن سعيد والشقندي، نفس المصدر، ص23.

🕮 **مكتبة الفقيه أبي محمد علي بن حزم الظاهري (ت456هـ/1064م):** ذكر ابنه أبو رافع الفضل بن علي أنه اجتمع عنده بخط أبيه من تأليفه نحو أربعمائة مجلد، تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة[1] ،في مختلف فروع العلم والمعرفة كعلم الحديث والمصنّفات والمسندات وغيرها، فقد كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام وأوسعهم معرفة، مع توسّعه في علم اللسان والبلاغة والشعر والسّير والأخبار والفلسفة والمنطق.

ومن خلال ما تقدّم، يتّضح لنا أنّ المكتبات في هذا العصر لم تختلف على ما كانت عليه في عصر الخلافة الأموية والدولة العامرية، وغاية ما هنالك أنّ نطاقها اتّسع ولم يعد مقتصرا على قرطبة باعتبارها مركز السلطة، بل تعدّاها ليعمّ مدن الأندلس الكبرى، التي أصبحت تمثل هي الأخرى مراكز جديدة للسلطة والفكر معا.

2.2. الرحلات العلمية(الهجرات) في هذا العصر:

من أهمّ العوامل التي ساعدت على دفع الحركة العلمية بالأندلس ، إلى الأمام الرحلات التي كانت من وإلى الأندلس، على مدى العهود السّابقة حتّى هذا العهد، وذلك بما حملته من جديد في إدخال الكتب المشرقية، التي أثرت حلقات التدريس وأغنت المكتبة الأندلسية عامّة، كما أحدثت قفزة نوعية نقلت الأندلسيين من دراسة وشرح كتب المشارقة والردّ عليها أو اختصارها، إلى التأليف المستقل عن المشرق في مختلف العلوم الشرعية والدراسات الأدبية والفلسفية والأخبار والعلوم التطبيقية.

فرغم ما كانت عليه حال الأندلس من تمزّق سياسي في عصر الطوائف، إلاّ أنّها كانت تشكّل قبلة وملاذا للعديد من العلماء بسبب ظروفهم الخاصّة، أو نتيجة لتشابه الظروف العامّة التي كانت تمرّ بها مناطق أخرى من العالم الإسلامي، كالاجتياح الهلالي للقيروان سنة 441هـ/1049م، الذي قضى على عمرانها على عهد المُعِزّ بن باديس بن زيري الصنهاجي، والهجمات المتتالية للنورمان على جزيرة صقلية، فكانت الهجرة نحو الإسكندرية والأندلس بحثا عن الأمن والاستقرار.[2]

---

[1] - ابن بشكوال، نفس المصدر، ج2 ص333/ المقري، نفسه، ج2 ص78.
[2] - ألبير حبيب مطلق، المرجع نفسه، ص295-296.

الهجرة إلى الأندلس: ومن أهمّ الأسماء اللامعة في عالم الفكر التي دخلت الأندلس في هذه الحقبة:

* أبو الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني ثمّ الاستراباذي[1] (ت431هـ/1039م)، الذي وفد إلى الأندلس سنة 406هـ/1015م، ثمّ جال أقطارها واتصل بمجاهد العامري، وكان إماما في العربية متمكّنا في علم الأدب، مذكورا بالتقدّم في علم المنطق، وقد أملى بالأندلس في " شرح كتاب الجمل" لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزّجاجي[2]، وروى الوزير أبو بكر محمد بن هشام المصحفي عنه كتاب " شرح أبيات الغريب المصنّف " من تأليف أبي محمد يوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي، وقرأ عليه كتاب " الجمهرة في اللغة " لأبي بكر محمد بن الحسين بن دريد[3]، وقد شهد له علماء الأندلس ومؤرّخوها بتقدّمه في العلم، فقال فيه أبو مروان ابن حيّان: " ولم يدخل الأندلس أكمل من أبي الفتوح في علمه وأدبه " ، وقال ابن زيدون: " لقيته بغرناطة، فأخذت عنه أخبار المشارقة، وحكايات كثيرة، وكان غزير الأدب، قويّ الحفظ في اللغة، نازعا إلى علم الأوائل من المنطق والنجوم والحكمة، له بذلك قوّة ظاهرة".[4]

* أبو عمرو عثمان بن الضاط[5]، الذي قدم قرطبة سنة 436هـ/1044م، وطاف بسائر بلاد الأندلس نحو العامين، وعاد ثانية إلى قرطبة، وكان حافظا للحديث وطرقه، وأسماء رجاله ورواته، منسوبا إلى معرفته وفهمه، يملي الحديث من حفظه، ويتكلم على أسانيده ومعانيه، عارفا باللغة والإعراب، ذاكرا للغريب والآداب ، ممّن

---

[1] - إستراباذ: بكسر الألف بلدة من بلاد مازندان بين سارية وجرجان. السمعاني أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، الأنساب، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، دار الفكر- بيروت – ط1، 1998م، ص130/ ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي الكرم الجزري، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر- بيروت - 1400هـ- 1980م، ص51/ وقال: الكتاني محمد بن جعفر الإدريسي، أستراباذ بفتح الهمزة بلدة كبيرة مشهورة من أعمال طبرستان بين سارية وجرجان. الرسالة المستطرفة في بيان كتب السنة المشرفة، تحقيق: محمد المنتصر محمد الزمزمي الكتاني، دار البشائر الإسلامية- بيروت –ط4، 1406هـ- 1986م، ص144.

[2] - الحميدي، نفس المصدر، ص181-182/ ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج1 ص114-115/ ابن بسام، المصدر نفسه، ج4 ص79-80/ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج2 ص773-774/ السيوطي، نفس المصدر، ج1 ص482.

[3] - ابن خير، نفس المصدر، ص306 وص311.

[4] - ابن الخطيب، نفس المصدر، ج1 ص253.

[5] - أبو عمرو عثمان بن أبي بكر بن حمّود بن أحمد الصدفي السفاقسي ويعرف بابن الضاط (ت442هـ/1050م). الحميدي، المصدر نفسه، ص295-296/ الضبي، نفس المصدر، ص359- 360/ ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج2 ص327- 330/ الزركلي، نفس المرجع، ج4 ص204.

عني بالرّواية، وشهر بالفهم والدّراية[1]، ومن آثاره: " رحلة إلى المشرق" و"عوالي الحديث" و" الاقتصاد في القراءات السبع".[2]

هجرة الأندلسيين نحو المشرق: تراجعت الهجرة من الأندلس نحو المشرق على عهد الطوائف مقارنة بالعهود السابقة، ويمكن ملاحظة ذلك في تراجم الأعلام التي نقلتها لنا المصادر، حيث اختفى خبر الرّحلة في معظم من ترجم لهم في هذه الفترة، ذلك أنّ طلاّب العلم بالأندلس أصبح في مقدورهم الوصول إلى منابع الثقافة والفكر- التي كانت حكرا على مراكز الثقافة بالمشرق – بعقر دارهم في قرطبة ومثيلاتها من المدن، التي تحوّلت إلى مراكز إشعاع تحتضن العلم وترعى طالبه، وساعد على نجاح هذه العملية وجود جيل من العلماء متميّز في مختلف صنوف العلم والمعرفة، شكّل قبلة للمتعلمين وخفّف عنهم عناء السفر، الذي أصبح في الغالب يتمّ بالتنقّل داخل الجزيرة، إلاّ أنّ هذا لم يمنع من وجود عدد من الأندلسيين شدّوا الرّحال إلى الحجّ أو التّجارة، فسمعوا بالمشرق أثناء إقامتهم التي قد تدوم لسنوات، وساهموا في إدخال المزيد من الكتب ومن ثمّ إثراء المكتبة الأندلسية بجديد الإصدارات المشرقية، ومن أهمّ هذه الشخصيات:

* أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس العذري المعروف بابن الدلائي:[3](ت478هـ/1085م) ، الذي رحل مع أبويه إلى المشرق سنة 407هـ/1016م، ودخل مكّة ومكث بها أعواما، وانصرف عنها إلى الحجا زسنة 416هـ/1025م ، فسمع من شيوخها ومن الشيوخ القادمين عليها من العراق وخراسان والشام، وكان معتنيا بالحديث ونقله وروايته وضبطه، مع ثقته وجلالة قدره وعلوّ إسناده.[4]

* أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيّوب بن وارث التجيبي الباجي المالكي الحافظ:[5](ت474هـ/1082م)، الذي رحل إلى المشرق سنة 426هـ/1034م أو نحوها، فأقام بالحجاز ثلاثة أعوام، ثمّ رحل إلى بغداد وأقام بها ثلاثا أخرى يتدارس

---

[1] - ابن بشكوال، نفسه، ص327- 328.

[2] - عمر رضا كحالة، نفس المرجع، ج6 ص251.

[3] - الحميدي، المصدر نفسه، ص137-140/ الضبي، المصدر نفسه، ص167-168/ ابن العماد الحنبلي، نفس المصدر، ج3 ص357/ الزركلي، المرجع نفسه، ج1 ص185/ عمر رضا كحالة، المرجع نفسه، ج2 ص92/ البغدادي إسماعيل باشا، هدية العارفين، ج5 ص80.

[4] - ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج1 ص70-71.

[5] - الضبي، نفسه، ص261-262/ ابن بشكوال، نفسه، ج1 ص175-177/ ابن كثير أبو الفداء، البداية والنهاية، ج12 ص98/ ابن العماد الحنبلي، نفسه، ج3 ص344-345/ ابن خلكان، نفس المصدر، ج2 ص408-409.

الفقه ويكتب الحديث، وعاد إلى الأندلس بعد حوالي ثلاثة عشر عاما، وقد نال حظا وافرا من العلم[1]، وله تواليف كثيرة تدلّ على سعة علمه ومعرفته.[2]

3.2. التعليم:

قام حكّام الأندلس بإرساء قواعد نهضة علمية انطلاقا من الاهتمام بالتعليم، فجلبوا المعلمين والعلماء والشعراء المشارقة إلى الأندلس، وشجّعوهم ماديّا ومعنويّا من أجل نقل الإشعاع الفكري المشرقي إلى بلادهم، ودفع الحضارة الأندلسية إلى الازدهار.

وكان النظام التربوي في الأندلس يختلف عن باقي الأقطار الإسلامية في المشرق والمغرب، فيما يقدّم للأطفال أوّلا وما يتبعه لاحقا، بحيث كان يعتمد على دعامتين أساسيتين هما: الدّراسات اللغوية والدينية، فإذا فرغ منهما الطفل انتقل إلى التخصّص الذي يرغب فيه.

وقد ذهب القاضي أبو بكر بن العربي (468-543هـ/1076-1184م) في آرائه في التربية، وبخاصّة في عصري ملوك الطوائف والمرابطين في كتاب رحلته، إلى أنّ مذهب أهل الأندلس يقضي"بتقديم تعليم العربية والشعر على سائر العلوم، لأنّ الشعر ديوان العرب، ثمّ ينتقل منه إلى الحساب فيتمرّن فيه حتى يرى القوانين، ثمّ ينتقل إلى درس القرآن فإنّه يتيسّر عليه بهذه المقدّمة.[3]

أمّا أهل المشرق والمغرب وإفريقية، فقد أخذوا بنصيحة عبد الحميد الكاتب في رسالته الشهيرة إلى الكتّاب، حيث قال: " وابدءوا بعلم كتاب الله عزّ و جلّ، والفرائض، ثم العربية فإنّها ثقاف ألسنتكم، ثمّ أجيدوا الخط فإنّه حلية كتبكم، وارووا الأشعار واعرفوا غريبها ومعانيها، وأيّام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها، فإنّ ذلك

---

[1] - الضبي، نفسه، ص261- 262/ ابن بشكوال، نفسه، ج2 ص175-177.

[2] - من مؤلّفاته:" إحكام الفصول في أحكام الأصول" و" التسديد في معرفة التوحيد" و" اختلاف الموطآت " وغيرها. ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج3 ص1388/ الزركلي، نفسه، ج3 ص125/ عمر رضا كحالة، نفسه، ج4 ص261/ حاجي خليفة، نفس المرجع، ج1 ص19-20-419-555 وج2 ص1907.

[3] - ابن خلدون، نفس المصدر، ج1 ص742/ ابن الأزرق الأندلسي أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد الأصبحي، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: علي سامي النشار، دار السلام – القاهرة، ط1، 1429هـ-2008م، ج2 ص768/ القنوجي صديق بن حسن الهندي، أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978، ج1 ص113.

معين على ما تسمو إليه هممكم ، ولا تضيّعوا النظر في الحساب فإنّه قوام كتاب الخراج...".[1]

وأمّا ابن حزم فقد رسم في رسالة مراتب العلوم منهج التدريس وفق ما كان يراه هو، فجعل بداية تعليم الطفل في الخامسة من عمره، ويتدرّج في مراحل الطلب صعودا، من المرحلة الأولى إلى المرحلة السابعة، حيث يبدأ بالخط ويليه النحو، ثم ينتقل إلى علم العدد ومنه إلى المنطق والعلوم الطبيعية، وبعدها يأخذ علم الأخبار فالقضايا الفكرية, ليصل إلى آخر محطة آلا وهي علم الشريعة، ولم يبيّن ما إذا كانت هذه المراحل متدرّجة متعاقبة أو مترافقة متداخلة[2].

ويرى هنري بيريس" أنّ التغيير الذي طرأ على التعليم في الأندلس أثناء القرن 5هـ/11م يكمن في إعطاء العلوم العقلية المكان الأوّل، دون استبعاد فروع المعرفة التي أساسها القرآن والسنّة النبويّة الصحيحة، فهم يفكرون في الإنسان قبل الدين، والهدف من هذه التربية تنمية كلّ القدرات على نحو منسجم".[3]

وسيؤدّي هذا إلى ظهور النزعة الإنسانية أو المذهب الإنساني، بحيث سيفتح التعليم المجال إلى العلوم الإنسانية التي تعين على تكوين روح إنساني في نفوس الشباب منذ نعومة أظافرهم، بما فيها من شعراء الجاهلية والمخضرمين، لتتواصل بدراسة المحدثين وصولا إلى العصر العباسي.

وكان التعليم منتشرا في كلّ مكان، فالضياع والقرى بها مدارس ابتدائية، والمراكز الهامّة بها مدارس ابتدائية وثانوية، أمّا المدن الكبرى مثل إشبيلية وقرطبة وطليطلة وسرقسطة فكانت تضمّ كلّ أنواع التعليم، من الابتدائي إلى التعليم العالي.[4]

ولم يكن المدرّسون يتقاضون أجرا، وإنّما يتلقون في الغالب إعانات مالية وعينية بسيطة عموما، يدفعها لهم الحاكم أو الأمير، أمّا الدّولة فلم تكن تنفق على التعليم، وليست لها أيّة صلة بمناهجه[5]، وإذا كان ملوك الطوائف شجّعوا الدراسات

---

[1] - ابن خلدون، نفسه، ج1 ص308/ ابن الأزرق، نفسه، ج1 ص243/ القلقشندي، نفس المصدر، ج1 ص119.
[2] - ابن حزم، رسائل ابن حزم، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت –ط1، 1983، ج4 ص27-29.
[3] - هنري بيريس، الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، دار المعارف- القاهرة، ط1، 1408هـ- 1988م، ص30.
[4] - نفسه، ص31.
[5] - المرجع والصفحة نفسها.

الأدبية، فليس من المؤكّد أنّهم اضطلعوا بدفع رواتب المدرّسين، ليقوموا بتعليم أبناء الفقراء مجّانا على نحو ما فعل الحكم الثاني.[1]

وكانت العلوم المتاحة للطالب الأندلسي في مرحلة عمره المتوسّطة على عهد الطوائف مقسّمة إلى مجالات ثلاث رئيسة وهي، الدّراسات الدّينية والدّراسات اللغوية والدّراسات العلمية، وعادة ما كان النشاط العلمي للطالب يختتم بالرّحلة، ثمّ الحصول على الإجازة التي كان يمنحها الأساتذة كشهادة على مثابرة واجتهاد الطالب، سواء من الأندلس أو من البلاد المشرقية.

وإذا كان بعض العلماء قد اشتهروا في التأليف على الرّغم من عملهم في التدريس كابن سيّدة وابن السيّد، فإنّ هناك عدد من الأساتذة الذين طارت شهرتهم بسبب اشتغالهم بالتدريس، حيث تخرّج على أيديهم أكبر عدد من طلاّب هذا العصر، ولعلّ أكثرهم شهرة أربعة هم:

* ابن الإفليلي القرطبي[2] (ت441هـ/1049م)، الذي كان متصدّرا في علم الأدب يقرأ عليه، ويختلف فيه إليه، وكان مع علمه بالنحو واللغة يتكلم في معاني الشعر وأقسام البلاغة والنقد لهما[3]، وقد تخرّج على يديه تلامذة كثيرون منهم: أبو مروان الطبني، وابن سراج، وأبو الخطاب العلاء بن أبي المغيرة بن حزم.[4]

* أبو مروان عبد الملك بن سراج[5] (ت489هـ/1096م)، كان هذا الرجل أحد أوعية العلم، وقد وصفه الحجاري بـ" أصمعي الأندلس"[6]، ونظرا للقدرة الفائقة التي تميّز بها في تذليل الصعاب وإيصال الفهم إلى طلبته، فقد " شدّ إليه الأقتاب وأنضاء الرّكاب في الاقتباس منه بحضرة قرطبة"[7]، ويؤكّد ابن بشكوال ذلك بقوله: "إنّ

---

[1] - ابن عذاري، نفس المصدر، ج2 ص240/ هنري بيريس، نفسه، ص32.

[2] - أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن زكرياء الزهري المعروف بابن الإفليلي. الحميدي، نفس المصدر، ص150-151/ الضبي، نفس المصدر، ص181/ ابن بشكوال، نفس المصدر، ج1 ص90-91/ ابن خلكان، نفس المصدر، ج1 ص51/ ابن العماد الحنبلي، نفس المصدر، ج3 ص266/ ياقوت الحموي، نفس المصدر، ج1 ص123-125/ السيوطي، نفس المصدر، ج1 ص426/ الزركلي، نفس المرجع، ج1 ص61/ عمر رضا كحالة، نفس المرجع، ج1 ص94.

[3] - الحميدي، نفسه، ص150.

[4] - نفسه، ص151/ ابن بشكوال، نفسه، ج1 ص90-92.

[5] - الضبي، نفسه، ص331/ ابن العماد الحنبلي، نفسه، ج3 ص392-393/ الزركلي، نفسه، ج4 ص159.

[6] - ابن سعيد، نفس المصدر، ج1 ص116.

[7] - ابن بسام، نفس المصدر، ج1 ص513.

الرّحلة في وقته كانت إليه، ومدار أصحاب الآداب واللغات عليه "[1]، أمّا ابن خير فقد سرد قائمة طويلة من كتب الشعر، درسها عليه تلميذه أبو علي الغساني.[2]

* الأعلم الشنتمري[3] (ت476هـ/1083م)، الذي أخذ الناس عنه كثيرا، وكان تلامذته كثيرون، وأشهرهم: أبو علي الغساني[4]، ومن مؤلفات الأعلم العديدة نذكر: "شرح الشعراء الستة " و" شرح ديوان الحماسة " و"شرح كتاب الجمل للزّجاجي " وغيرها.[5]

* أبو إسحاق إبراهيم بن لب بن إدريس التجيبي المعروف بالقويدس الطليطلي (ت450هـ/1058م)، كان متقدّما في علم العدد والفرائض والهندسة، وقعد للتعليم بذلك زمنا طويلا، وكان قبل تدريسه لهذه العلوم مدرّسا للأدب والنّحو في سقيفة جامع طليطلة، حيث تعرّف بأبي الوليد الوقشي، " فذكر له حرصه على علم الهندسة، فقال له: خذ فيه إن شئت، فقرأ عليه كتاب إقليدس وأحكمه، وتدرّج منه إلى قراءة غيره، فبرع في ذلك واجتمع النّاس إليه، وأخذ في إقرائه وترك العربية إلى أن توفي".[6]

3. تعدّد المراكز الثقافية في الأندلس وتشجيع الأسر الحاكمة للعلم والمعرفة:

رغم التجزئة السياسية التي آلت إليها الأندلس بعد فتنة القرن 5هـ/11م، وما ترتب عنها من نتائج وخيمة على الوجود الإسلامي بالجزيرة، فقد صاحب ذلك تعدّد في مراكز الثقافة والفكر، بحيث أصبحت قرطبة مجرّد إمارة ولم تعد وحدها ملاذ العلم والعلماء، بل تقاسمت هذا الدّور مع إمارات الأندلس الأخرى، التي نافستها سياسيا وحضاريا، وحرص ملوكها على الظهور بمظهر الرّعاة للعلم، والدّعاة إلى المعرفة، فتباهى كلّ منهم بنفسه ومملكته، وخلعوا على أنفسهم ألقابا شبيهة بتلك التي تسمّى بها خلفاء بني العبّاس في بغداد، حتى قال فيهم أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت463هـ/1071م): [من البسيط]

---

[1] - الصلة، ج2 ص295.
[2] - فهرسة ابن خير، ص357.
[3] - هو أبو الحجاج يوسف بن عيسى بن سليمان النحوي المعروف بالأعلم الشنتمري (410-476هـ/1019-1083م)، كان عالما باللغة ومعاني الأشعار. ابن خلكان، نفسه، ج7 ص81/ ابن العماد الحنبلي، نفسه، ج3 ص403/ ياقوت الحموي، نفسه، ج6 ص2848/ البغدادي إسماعيل باشا، هدية العارفين، ج2 ص551/ كارل بروكلمان، نفس المرجع، ج5 ص352.
[4] - ابن بشكوال، نفسه، ج2 ص524.
[5] - الزركلي، المرجع نفسه، ج8 ص233/ عمر رضا كحالة، المرجع نفسه، ج13 ص302.
[6] - ابن الأبار، نفس المصدر، ج1 ص118.

مِمّا يُزَهِّدُنِي فِي أَرْضِ أَنْدَلُسٍ ... سَمَاعُ مُقْتَدِرٍ فيها و مُعْتَضِدِ

أَلْقَابُ مَمْلَكَةٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا ... كَالهِرِّ يَحْكِي انْتِفَاخًا صَوْلَةَ الأَسَدِ [1]

وقد أوجد هذا التنافس مناخا ملائما للكثير من العلماء والأدباء الذين تحرّروا من حتمية الاستقرار في قرطبة، فطلبوا رزقهم في غيرها بالتنقل والتجوال من بلاط لآخر[2]، وهناك من أنعمت عليه الأيام بدعوة فوقية من أحد الأمراء، لتميّزه وشهرته، فأصبح في تعداد المحظوظين في بلاط صاحبه كالجغرافي المشهور أبو عبيد البكري، والأديب عبد الملك بن غصن الحجاري، والأديب علي بن عبد الغني الحصري وابن زيدون وغيرهم.

ولم يختلف هذا العصر عن سابقه في التأليف للأمراء، كما فعل المؤرّخ أبو مروان بن حيان، الذي أهدى كتابه الموسوم" المتين " إلى الأمير يحي بن ذي النون، والأديب أبو عامر بن مسلمة، الذي صنّف للمعتضد " حديقة الارتياح في صفة حقيقة الرّاح "، وهو كتاب اشتمل على شعر ونثر دلّ على جودة عنايته وكثرة روايته إلى غير ذلك من نظمه ونثره.[3]

وقد استغنى طلاب العلم في هذا العصر نسبيا عن شدّ الرّحال والارتحال في سبيل طلب العلم، بعد أن أصبح الكثير من المشتغلين بالتعليم متنقلين بين الحواضر الأندلسية.

✐ **إشبيلية وقرطبة تحت حكم بني عبّاد:** اتصفت الأسرة العبّادية بالعلم والأدب ومشاركة الشعراء والبلغاء في صنعة الشعر بداية بمؤسّسها القاضي محمد بن إسماعيل اللخمي (ت433هـ/1042م)[4]، ومن بعده ابنه المعتضد (ت461هـ/1069م)، الذي حرص على اجتذاب الشعراء إلى بلاطه، فألحق ابن عمّار بديوان الشعراء،

---

[1] - ابن رشيق، ديوان ابن رشيق القيرواني، تقديم وشرح: صلاح الدين الهواري، دار الجيل– بيروت –ط1، 1995، ص66/ عبد الواحد المراكشي، نفس المصدر، ص59/ ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج2 ص861-866/ المقرّي، نفس المصدر، ج1 ص213.

[2] - Bartolomé Bennassar, op.cit, p112.

[3] - ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة - بيروت - 1417هـ- 1997م، ج3 ص105-106.

[4] - ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج2 ص411 / النباهي، نفس المصدر، ص124- 125.

ونزل في كنفه ابن زيدون، الذي صار من خواصه، " فخصّه بسفاراته في مهمّ رسائله إلى ملوك عصره".[1]

واشتهر البيت العبّادي أكثر في عهد الملك الشاعر المعتمد بن عبّاد (431- 488هـ/1040- 1095م)، الذي لم يكن في ملوك الأندلس أشعر منه[2]، وكان شديد الرّغبة في اجتذاب أهل الأدب والشعر" حتّى أنّه لم يجتمع بباب أحد من ملوك عصره من أعيان الشعراء وأفاضل الأدباء ما كان يجتمع ببابه"[3]، فكانوا يحظون بكلّ مظاهر الحفاوة والرّعاية، وكان ابن اللّبانة وعبد الجليل بن وهبون وابن حمديس وأبو العرب الصقليّ وأبو البحر عبد الصّمد من أخصّ الشعراء المنادمين له، ووجد بإشبيلية عالمان من كبار علماء اللغة هما: أبو الحجّاج الأعلم الشنتمري، وأبو عبيد البكري، كما استقرّ بها سعيد بن عبد الله بن دحيم (ت429هـ/1037م) أستاذا للغة والنحو[4]، وفي قرطبة كان مدار حلقات علم اللغة على حلقة ابن الإفليلي وحلقة ابن سرّاج.

✎ **سرقسطة (بنو هود):** اتصفت أسرة هذه المملكة بصفات علمية، خدمت بها العلم ونشطت حركته في مجال العلوم التجريبية، وكان على رأسها المقتدر بن هود (ت474هـ/1081م)، ومن بعده ابنه يوسف المؤتمن (ت478هـ/1085م)، الذي صنّف في الرياضيات كتابين هما: " الاستكمال" و" المناظر".[5]

وقد ظهر بمملكتهم نوابغ في الرياضيات والفلك والفلسفة، منهم الكاتب: أبو الفضل حسداي بن يوسف بن حسداي، الذي برز في علوم الأوائل والفلسفة، وبلغ مرتبة رفيعة في البلاغة بإتقانه لعلوم العربية، جعلته ينال الوزارة لدى بني هود[6]، و أبو بكر محمد بن باجة[7]، الذي اشتهر إلى جانب تضلعه في الفلسفة بعلوم الرياضيات والفلك والطب والموسيقى، كما انتقل إلى أفقهم – بعد عودته من رحلته

[1] - ابن بسّام، نفسه، ج1 ص339/ ابن تغري بردي، نفس المصدر، ج5 ص90.
[2] - ابن الأبّار، الحلّة السيراء، ج2 ص55.
[3] - المقري، المصدر نفسه، ج4 ص372/ ابن خاقان، القلائد، ج1 ص51-52/ ابن خلّكان، المصدر نفسه، ج5 ص24/ بالنثيا، نفس المرجع، ص88-89.
[4] - ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج1 ص189.
[5] - المقري، نفسه، ج1 ص441/ إحسان عبّاس، نفس المرجع، ص75-76/ بالنثيا، نفسه، ص454.
[6] - ابن بسّام، المصدر نفسه، ج5 ص457-458.
[7] - أبو بكر بن الصائغ محمد بن يحي الشهير بابن باجة (ت533هـ/1139م)، ويعرف عند الأوروبيين باسم Avempace. ابن أبي أصيبعة، نفس المصدر، ص472- 474/ بالنثيا، نفسه، ص122/ روم لاندو، نفس المصدر، ص229/ قدري حافظ طوقان، نفس المصدر، ص383- 387.

إلى المشرق - الفقيه أبو الوليد الباجي بدعوة من المقتدر، الذي" كان يباهي ملوك عصره بوجود أبي الوليد في بلاطه، وإيثاره لحضرته على غيره ".[1]

✍ **طليطلة (بنو ذي النون):** قامت هذه الأسرة بتنشيط الحركة العلمية، وخاصة ما تعلق منها بالعلوم التجريبية، فازدهرت حال العلوم عندهم – لا سيما - على عهد المأمون يحي (ت467هـ/1074م)[2]، الذي اجتمع في بلاطه عدد من الأدباء والعلماء، ومن أهمّ هذه الشخصيات: الطبيب الصيدلي عبد الرحمن بن محمد بن وافد اللخمي (398- كان حيّا سنة 468هـ/1007- 1075م)، الذي اشتهر في الطب والزراعة[3]، والطبيب أبو جعفر أحمد بن خميس بن عامر (ت454هـ/1062م)، الذي كان إلى جانب الطب معتنيا بالهندسة والنّجوم[4]، وعالم الفلك اليهودي إبراهيم بن يحي النقاش المعروف بولد الزّرقيال، الذي كانت له مكانة متقدّمة في بلاط المأمون، وفي مملكته صمّم أفضل وأكمل إسطرلاب عرف في العالم حتّى ذلك الحين، وبوفاة المأمون انتقل إلى قرطبة بحثا عن الاستقرار، وهناك أتمّ إنجاز الصفيحة الكونية التي بدأ العمل فيها في طليطلة، وقضّى بقية حياته بقرطبة حتّى وافته المنيّة سنة 494هـ/1100م.[5]

وفي طليطلة عاش عالم الزراعة ابن بصّال، الذي صنّف للمأمون كتابا في الزراعة أسماه " القصد والبيان "[6]، والقاضي صاعد بن أحمد الطليطلي (ت463هـ/1071م)الذي تفنّن في علوم مختلفة كالفلك والطب والرياضيات، وكان أوّل من أرّخ للعلوم بمعزل عن التاريخ العام بتأليفه لكتاب " طبقات الأمم "[7]، وفي مجال الأدب والشعر حظي محمد بن شرف القيرواني بمكانة مميّزة لدى المأمون، إذ كان

---

[1] - ابن خاقان، نفسه، ج3 ص600.

[2] - ابن بسام، المصدر نفسه، ج7 ص149-151/ ابن سعيد، المغرب، ج2 ص13-14/ Anwar G.Chegne, op,cit, p64-65.

[3] - صاعد، نفس المصدر، ص105-106/ ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص456/ عمر رضا كحالة، نفس المرجع، ج5 ص181/ André Clot, L'Espagne Musulmane VIII – XV Siècle, Librairie Académique Perrin, France,1999; p260.

[4] - صاعد، نفسه، ص96 و ص107/ ابن أبي أصيبعة، نفسه، ص446/سعد بن عبد الله البشري، نفس المرجع، ص146.

[5] - صاعد، نفسه، ص97/ عبد المجيد نعنعي، ص261-265/ Rachel Arie, op, p167.

[6] - أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن بصال الطليطلي (من أعلام القرن 5هـ/11م). المقري، المصدر نفسه، ج3 ص151/ ابن بصال، كتاب الفلاحة، نقد وعرض الكتب، نشره وترجمه وعلّق عليه خوسيه ماريا مياس بيكروسا ومحمد عزيمان، منشورات معهد مولاي الحسن- تطوان، 1955، في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، م5، العدد1-2، السنة 1377هـ- 1957م، ص280.

[7] - الضبي، نفس المصدر، ص280/ ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج1 ص200-201/ الزركلي، نفس المصدر، ج3 ص186/ عمر رضا كحالة، نفسه، ج4 ص317/ Rachel Arie,op, cit, p167.

يرأس جميع شعراء وكتاب المملكة، ويتقدّم عليهم في الحفلات والمناسبات الرّسمية، التي كانت تقام في بلاط طليطلة[1]، كما برز أبو بكر بن أرفع رأسه (ت441هـ/1049م) في فنّ الموشّحات - بوصفه لجمل وحسن بلاده – وزادت شهرته حينما أدناه المأمون منه وجعله أحد شعراء بلاطه الرسميين، فنظم له قصائد يمدحه فيها.[2]

✐ بطليوس (بنو الأفطس): اعتنى حكّام هذه المملكة بالعلم وأهله، وممّا يؤثر عن المظفر أبي بكر محمد بن عبد الله بن مسلمة ابن الأفطس (ت461هـ/1068م)،[3] أنّه " كان يعقد في بلاطه مجالس العلم والمذاكرة، ويأخذ مع العلماء في مدارسة الأدب والفنون، والمعارف المختلفة إحياء للعلوم وتنويرا للأذهان".[4]

واستمرّ ازدهار الحركة العلمية في عهد ابنه المتوكل (ت488هـ/1095م)، حتى وصفت أيامه وأيام أبيه " بالأعياد والمواسم وأنّ بلاطهما في بطليوس كان ملجأ وملاذا آوى إليه كلّ ذي علم وأدب "[5]، ومن هؤلاء: الوزير الكاتب أبو محمد عبد المجيد بن عبدون، الذي خلد بني الأفطس وملكهم الغابر بقصيدة رثائية، وقد أورد ابن بسّام فصولا من غرائب نثره ونظمه[6]، والأديب أبو بكر محمد بن عبد الملك بن قزمان، الذي عيّنه المتوكّل وزيرا كاتبا لبلاغته وبيانه، فكان أحد أعلام بلاط بني الأفطس[7]، كما كان للأديب أبي عبد الله محمد بن أيمن مكانة عالية في بلاط المتوكّل، وقد وصفه ابن بسّام بأنّه: " أعجوبة الدّهر، وفريد العصر، وفارس ميدان النظم والنثر، اشتهر في حملة الأقلام اشتهار البدر في السماء، وتلاعب بغرائب الكلام تلاعب الأفعال بالأسماء ".[8]

---

[1] - ابن بسّام، المصدر نفسه، ج7 ص139.

[2] - ابن سعيد المغربي، المصدر نفسه، ج2 ص18/ المقري، المصدر نفسه، ج4 ص134-135/ المقري، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، نشر صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية المتحدة، الرباط، 1398هـ- 1978م، ج2 ص207.

[3] - المقري، نفسه، ج3 ص380-381/ عمر رضا كحالة، المصدر نفسه، ج10 ص246/ Anwar G. Chegne, op, cit, p65.

[4] - بالنثيا، المرجع نفسه، ص118.

[5] - عبد الواحد المراكشي، نفس المصدر، ص62/ ابن خاقان، المصدر نفسه، ج1 ص120/ ابن سعيد، نفسه، ج1 ص364/ إحسان عبّاس، المرجع نفسه، ص72.

[6] - ابن بسّام، نفسه، ج4 ص668-727/ ابن خاقان، نفسه، ج2 ص417-428/ ابن سعيد، نفسه، ج1 ص374-376.

[7] - ابن بسّام، نفسه، ج4 ص774- 786/ ابن خاقان، نفسه، ج2 ص555-557/ ابن سعيد، نفسه، ج1 ص99-100.

[8] - ابن بسام، نفسه، ج4 ص652.

✍ **المرية (بنو صمادح):** أسدت هذه المملكة رغم صغر رقعتها الجغرافية خدمة جليلة للحركة العلمية في الأندلس خلال عهد الطوائف، ويعتبر عصر المعتصم بن صمادح (ت484هـ/1091م) العصر الذهبي للعلوم والآداب في المرية، فقد كان من أهل الأدب والشعر، كما كان بلاطه قبلة للعلماء والأدباء، يتدارسون العلم بين يديه، ويتناظرون في شتى مسائله.[1]

ومن أعظم الشعراء الذين آوتهم هذه الإمارة: أبو عبد محمد بن حدّاد، الذي تقلّد الوزارة لعلوّ مكانته، وعرف بمدحه لابن صمادح بأروع قصائده، وقد غلبت هذه المدائح الصمادحية على كلّ شعره[2]، وكان الشاعر أبو عبد الله محمد بن عبادة المعروف بابن القزّاز من شعراء المرية البارعين في نظم الموشّحات، التي كثر استعمالها عند أهل الأندلس[3]، وفضلا عن الشعراء وجد في هذه المملكة بعض المشتغلين في الرياضيات كالحسن بن عبد الرحمن المعروف بابن الجلاّب، وأبي الحسن مختار بن عبد الرحمن بن مختار بن شهر الرّعيني، وفي الحديث كأبي العبّاس أحمد بن قاسم المحدّث.[4]

✍ **دانية (مجاهد العامري):** كان مجاهد العامري (ت436هـ/1044م) عالما بالقراءات واللغة، الأمر الذي دفعه إلى تشجيع العلم وإكرام أهله، فقد أنشأ جامعة حقيقية للقراءات القرآنية[5]، وبذل في سبيل ذلك الرّغائب لاستمالة الأدباء والعلماء[6]، ونتيجة لذلك رحل إليه القرّاء واللغويون ووجدوا في بلاطه كلّ تكريم، ومن بين هؤلاء العلاّمة الكبير أبو عمرو الدّاني، الذي كان من أقطاب القرّاء، وقد تعدّدت مصنّفاته

---

[1] - ابن خاقان، المصدر نفسه، ج1 ص146/ ابن الأبار، الحلّة، ج2 ص82/ ابن سعيد، المصدر نفسه، ج2 ص196/ بالنثيا، المرجع نفسه، ص110/ إحسان عباس، المرجع نفسه، ص71-72.

[2] - السيد عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الإسلامية، قاعدة أسطول الأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر- بيروت، ط1، 1969، ص177/سعد بن عبد البشري، نفس المرجع، ص149-150.

[3] - ابن سعيد، نفسه، ج2 ص134-136/ عبد المجيد نعنعي، المرجع نفسه، هامش ص242-243.

[4] -ابن سعيد، نفسه، ج2 ص83.

[5] - نفسه، ج2 ص401/ ابن عذاري، نفس المصدر، ج3 ص156/ - Bartolomé Benassar, op, cit, p106.

[6] - الحميدي، نفس المصدر، ص344/ الضبي، نفس المصدر، ص413/ المقري، المصدر نفسه، ج3 ص84 وص190.

التي عوّل العلماء عليها وبخاصّة كتاب التيسير[1]، كما قصده اللغوي ابن سيّدة، وابن عبد البرّ النّمري وكان أحد كبار فقهاء المالكية في عصره وواحد دهره[2]، والعالم الرياضي الفلكي أبو القاسم أحمد بن عبد الله المعروف بابن الصقار، وقد استقرّ بدانية إلى وفاته[3]، وفي جزيرة ميورقة التي كانت تحت حكمه حلّ ابن حزم الأندلسي، وبين يدي وزيره الكاتب أبي العبّاس أحمد بن رشيق نشأت المناظرة بين ابن حزم وأبي الوليد الباجي في الفقه وعلوم الدين.[4]

✎ **غرناطة (بنو زيري بن مناد):** لم تعرف هذه المملكة نشاطا علميا كذاك الذي كانت تحفل به بقية الممالك الأندلسية في عهد الطوائف، ذلك أنّ هذه الأسرة كانت فقيرة إلى العلم باستثناء الأمير عبد الله ، الذي تعود شهرته أكثر إلى مذكراته التي كتبها في منفاه بأغمات، الموسومة ب " كتاب التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة"[5]، فقد خرج عنها عدد من الشعراء منهم الشاعر خلف بن فرج الإلبيري المعروف بالسميسر، الذي عبّر عن نقمته على البربر وكره مقامه بينهم في غرناطة بقوله: [من البسيط]

رأيت آدم في نومي فقلت له أبا البرية إنّ الناس قد حكموا

أنّ البربر نسل منك قلت إذا حواء طالقة إن صحّ ما زعموا[6]

ورغم ذلك فقد عرف البلاط الغرناطي في هذا العهد بعض الشخصيات العلمية البارزة كالوزير اليهودي إسماعيل بن نغرالة، الذي كان بارعا في الأدب والشعر، ماهرا في الكتابة، وجمع إلى ذلك مهارة واسعة في علوم الأوائل، فكانت له مشاركة في الهندسة والمنطق، مع عنايته بالكتب وجمعها، وبعد وفاته أعقبه على الوزارة ابنه يوسف[7]، وتسلط اليهود على غرناطة فثار الشاعر أبو إسحاق الإلبيري

---

[1] - ابن خلدون، نفس المصدر، ج1 ص552.
[2] - ابن بشكوال، نفس المصدر، ج2 ص521.
[3] - صاعد الأندلسي، نفس المصدر، ص91-92.
[4] - ابن الأبار، المصدر نفسه، ج2 ص128 وفي التكملة، ج4 ص154-155/ محمد عبد الله عنان، نفس المرجع، ص198/ إحسان عبّاس، المرجع نفسه، ص73-74/ Bartolomé Benassar, op, cit, p106
[5] - النباهي، نفس المصدر، ص128.
[6] - المقري، المصدر نفسه، ج3 ص412/ ياقوت الحموي، معجم البلدان، م1 ص293.
[7] - ابن الخطيب، نفس المصدر، ج1 ص242-243/ ابن عذاري، المصدر نفسه، ج3 ص264.

على اليهود بقصيدة طويلة[1]، ألهب فيها حماس المسلمين وحميّتهم، فأوقعوا باليهود وقتلوا كبيرهم وزير باديس بن حبّوس وقضوا على نفوذ اليهود في تلك الدولة.

4. مظاهر الحركة العلمية في عصر الطوائف:

استفادت الحركة العلمية في هذا العصر بما تحقق من إنجازات سابقة, ويعود الفضل فيها بخاصة إلى عهد الخلافة الأموية، وقد شكلت المادة المتوفرة آنذاك تراكما معرفيا كان بمثابة أرضية صلبة, سترتكز عليه دعائم الفكر والثقافة الأندلسية لاحقا, نحو انطلاقة نوعية أكثر تميّزا من العهد السابق، ولم تنقطع أواصر الاتصال بالمشرق عن طريق جديد إصداراته في مختلف العلوم والمعرفة، ويذكر ابن عبد الملك المراكشي في ترجمته لعبد الملك بن زهر، أنّه " جلب معه بعد عودته من المشرق دواوين من فنون العلم[2]، كما أدخل تاجر عراقي كتاب " القانون " لابن سينا، وقدّمه هدية لأبي العلاء بن زهر، ولم يكن وقع إليه هذا الكتاب من قبل، ومن الغريب أنّه عندما تأمّله ذمّه وأطرحه أرضا ولم يدخله خزانة كتبه.[3]

كما وردت إلى الأندلس كتب الثعالبي وعلى رأسها " يتيمة الدهر", وديوان المتنبي ومقامات الحريري ، ومؤلّفات المعرّي، ومنها: كتاب " الفائق", و" الصّاهل والشّاحج " و" رسالة الغفران " و" رسالة الجن " ومن الشعر:"سقط الزّند" وشرحه المسمّى "ضوء السّقط" واللزوميات وكتاب الاستغفار وغيرها من الكتب التي لم تصل إلينا.[4]

وإذا كانت الأندلس منفتحة على الثقافة المشرقية، فإنّها شهدت تميّزا جسّدته شخصيات فكرية أضفت على إنتاجها العلمي الطابع الشخصي المحلي، مؤكّدة بذلك على استقلالية الثقافة الأندلسية في القرن 5هـ/11م، ومن أبرز الوجوه التي تركت بصماتها في مجال التأليف حينئذ:

أ)-في الآداب وعلوم اللغة: شهدت الدراسات النحوية واللغوية حركة نشيطة خلال هذا العصر، حيث قام عدد من الأندلسيين بشرح كتاب الجمل للزّجاجي ومن هذه

---

[1] - وقد نشر ابن الخطيب هذه القصيدة بأكملها، في كتابه أعمال الأعلام، ص231-233/ محمد عبد الله عنان، نفس المرجع، ص135-136/ .Rachel Arie,op, cit, p168

[2] - الذيل والتكملة، السفر5، القسم1، ص37.

[3] - ابن أبي أصيبعة، نفس المصدر، ص474.

[4] - إحسان عبّاس، المرجع نفسه، ص58.

الشروح كتاب " إصلاح الخلل الواقع في كتاب الجمل " لابن السيّد البطليوسي[1] ، وفي ميدان اللغة نذكر على سبيل المثال مؤلفات أبي عبيد البكري، ومنها كتاب" التنبيه على أوهام أبي علي البغدادي في كتابه " النوادر" وكتاب " الأمثال " وشرحه المسمّى" فصل المقال في شرح كتاب الأمثال " وكتاب " النّبات ".[2]

وفي مجال المعاجم صنّف ابن سيّدة كتاب " المحكم والمحيط الأعظم"[3] ، الذي اعتبره السّيوطي أعظم كتاب ألف في اللغة بعد عصر الصّحاح[4]، كما شرح الأندلسيون الدواوين والمختارات الشعرية، ومن أهمّ هذه الشروح شرح ديوان شعر المتنبّي لأبي القاسم إبراهيم بن محمد المعروف بابن الإفليلي، الذي قال عنه ابن حزم: "وهو حسن جدّا "[5]، وشرح ابن سيّدة لديوان الحماسة، في كتابه " الأنيق في شرح الحماسة "[6]، ولابن السيّد البطليوسي شرح على سقط الزّند لأبي العلاء المعرّي، قال فيه ابن خلّكان: " وهو أجود من شرح أبي العلاء نفسه صاحب الدّيوان الذي سمّاه " ضوء السّقط ".[7]

وفي ميدان البلاغة والنقد الأدبي صنّف ابن حزم كتبا أهمّها " التعقب على ابن الإفليلي في شرحه لديوان المتنبي"[8]، وفيما يتعلق بالشعر والنثر الفنّي فقد بدا تأثير المتنبّي والمعرّي في الشعر الأندلسي واضحا من حيث جزالة وفخامة شعرهما، وما ظهر فيه من آثار التفلسف، واستطاعت فئة محدودة من الأندلسيين من أمثال ابن وهبون وابن السيد البطليوسي وأبي عامر الشنتريني أن تقفو إلى الجانب الفلسفي في الشعر بصياغة بعض الأفكار الفلسفية شعرا كقول ابن السّيد في علم الله للجزئيات: [مخلع البسيط]

يَاوَاصِفًا رَبَّهُ بِجَهْلٍ   لَمْ يُقْدُرِ الحَقَّ قَدْرِهِ

[1] - ابن خير، نفس المصدر، ص308/ ابن خلكان، نفس المصدر، ج3 ص96.
[2] - ابن خير، نفسه، ص293- 303- 308- 336.
[3] - نفسه، ص317/ الصفدي، مختصر كتاب نكت الهميان، ص61.
[4] - السيوطي جلال الدين، المزهر في علوم اللغة والأدب، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ- 1998م، ج1 ص76.
[5] - المقري، المصدر نفسه، ج3 ص173/ ابن حزم وابن سعيد والشقندي، نفس المصدر، ص16/ السيوطي، بغية الوعاة، ج1 ص426.
[6] - ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج2 ص335/ ابن خير، نفسه، ص318/ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج4 ص1648-1650.
[7] - وفيات الأعيان، ج2 ص282.
[8] - الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج18 ص197.

كَيْفَ يَفُوتُ الإِلَهَ عِلْمٌ بِسِرِّ مَخْلُوقِهِ وَجَهْرِهِ
وَهُوَ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَكُلُّهُ كَائِنٌ بِأَمْرِهِ[1]

وأبرز كاتب ظهر في عصر الطوائف هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون المخزومي القرطبي (ت463هـ/1070م)، الذي كادت رسائله النثرية أن تكون شعرا، نلمس فيها روح العالم ورحابة أفقه وفيض معرفته.[2]

أمّا أهمّ مصادر الأدب والتراث الأندلسي في عصر الطوائف فهو كتاب " الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة " لمؤلفه ابن بسّام الشنتريني[3](ت542هـ/1147م)، الذي دافع فيه عن الأندلس معتزّا بأمجادها وأراد بذلك تخليد تراثها، والانتصار للخصوصية الأندلسية في ميادين الثقافة والفكر والأدب.

ب)- العلوم الدينية: شهدت هي الأخرى حركة تأليف واسعة في مختلف فروع علوم الشريعة، ففي علم القراءات تأسّست مدرسة القراءات الأندلسية في القرن 5هـ/11م على يد علماء كبار أبرزهم: أبو محمد مكّي بن أبي طالب القيسي القيرواني (ت437هـ/1045م)[4]، الذي كان كثير التآليف في هذا الفنّ، ويعتبر كتاب التبصرة في القراءات وهو خمسة أجزاء من أشهر تآليفه وكتاب الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه في ثلاث مجلّدات وغيرها[5]، أمّا أبو عمرو عثمان بن سعيد المعروف بابن الصيرفي (ت444هـ/1052م) فقد بلغت مؤلّفاته مائة وعشرين كتابا، منها " التيسير" و" الإبارة" و" جامع البيان في القراءات السبع وطرقها المشهورة والغريبة " وغيرها[6] ، وكان أبو

---

1 - ابن السيّد البطليوسي، نفس المصدر، ص122/ إحسان عبّاس، المرجع نفسه، ص127-128.
2 - مصطفى الشكعة، نفس المرجع، ص608.
3 - ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج4 ص1667 / ابن سعيد، نفس المصدر، ج1 ص417-418/ المقري، المصدر نفسه، ج3 ص458.
4 - الأدنه وي، نفس المصدر، ج1 ص114-115/ ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج2 ص488-490/ الذهبي، المصدر نفسه، ج17 ص591-592/ البغدادي إسماعيل باشا، هدية العارفين، ج2 ص470-471/ الزركلي، نفس المرجع، ج7 ص286.
5 - ابن خلكان، المصدر نفسه، ج5 ص275-276/ ياقوت الحموي، نفسه، ج6 ص2712-2714/ طه عبد المقصود أبو عبيّة، نفس المرجع، ج2 ص697-698.
6 - ابن تغري بردي، نفس المصدر، ج5 ص54/ ابن العماد الحنبلي، نفس المصدر، ج3 ص272/ ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج4 ص1603-1604/ الزركلي، المرجع نفسه، ج4 ص206/ عمر رضا كحالة، نفس المرجع، ج6 ص254/ البغدادي إسماعيل باشا، المرجع نفسه، ج1 ص653/ حاجي خليفة، نفس المرجع، ج1 ص135-355-493-520-538 وج2 ص1617-1773-1809-1812-1904.

أبو عبد الله محمد بن شريح الرّعيني الإشبيلي (ت476هـ/1083م) رأسا في القراءات.[1]

وفي مجال علم الحديث ألف الأندلسيون في هذا العصر كتب العوالي (عوالي المحدّثين)، ومنها "العوالي" لابن عبد البرّ القرطبي[2]، وفي الجمع بين صحيحي البخاري ومسلم برزت مؤلّفات كثيرة منها " مسند الحميدي" صاحب جذوة المقتبس[3]، وفي الجرح والتعديل ألف أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي كتاب " التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الصحيح"[4]، وفي تاريخ الرواة كثرت مؤلفات ابن عبد البرّ وأهمّها " التقصّي لمسند الموطّأ "[5] و" الاستغناء في أسماء المشهورين من حملة العلم بالكنى" في مجلّد ضخم و" الاستيعاب في معرفة الأصحاب" وفيه ثلاثة آلاف وخمسمائة ترجمة.[6]

وفي مجال الفقه المالكي ألفت الكثير من المؤلفات، وتناولت أغلبها الموطأ والمدوّنة (مدوّنة سحنون بن سعيد التنّوخي المتوفى سنة 420هـ/1029م) شرحا واختصارا، وأهمّها " التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد"، الذي يقع في سبعين جزءا، وقد رتبه على أسماء شيوخ مالك على حروف المعجم، وعنه قال أبو محمد بن حزم:" وهو كتاب لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله، فكيف أحسن منه"[7]، ومن أهمّ ما ألفه أبو الوليد الباجي في شرح الموطّأ " المعاني في شرح الموطّأ " في عشرين مجلّدا، وهو عديم النظر كما قال الذهبي.[8]

أمّا ما يتصل بكتب النوازل، فإنّ كتاب " الإعلام بنوازل الأحكام" للشيخ أبي الأصبغ عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي البيّاني القرطبي (ت486هـ/1093م)، يعتبر

---

[1] - صلّى ليلة بالمعتضد فوقف في الرّعد على قوله تعالى: [كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ] الرّعد الآية:17، فقال كنت أظن ما بعده صفة للأمثال، وما فهمته إلاّ من وقفك، ثمّ أمر له بخلعة وفرس وجارية وألف دينار. الذهبي، المصدر نفسه، ج18 ص555.

[2] - عياض بن موسى اليحصبي أبو الفضل، الغنية، ص163.

[3] - ابن خير، المصدر نفسه، ص121 و 195.

[4] - المقري، المصدر نفسه، ج2 ص69/ ابن خير، نفسه ، ص180/ الكتاني محمد بن جعفر، سنن الرسالة، ص207.

[5] - القاضي عياض، نفسه، ص43/ الكتاني محمد بن جعفر، نفسه، ص15.

[6] - نفسه، ص121-122-128/ ابن خير، نفسه، ص182.

[7] - الحميدي، نفس المصدر، ص356/ ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج2 ص522/ الذهبي، المصدر نفسه، ج18 ص157.

[8] - نفسه، ج18 ص538/ ابن خير، المصدر نفسه، ص121.

من أهمّ ما ألفه الأندلسيون في هذا التخصّص، وعليه كان يعوّل الحكّام[1]، وفي أصول الفقه فإنّ أبرز عالم أندلسي مالكي بدون منازع خلال هذا العصر هو أبو الوليد الباجي، الذي ألّف كتاب " إحكام الفصول في أحكام الفصول" و" كتاب الإشارة في أصول الفقه " وغيرها.[2]

وتجدر الإشارة إلى أنّ المذاهب الأخرى كانت حاضرة في مجال التأليف ، وخاصّة المذهب الظاهري من خلال مؤلّفات ابن حزم، وهي كثيرة ومتنوّعة، فقد فيها مذاهب المالكية والشافعية وردّ فيها على فرق التقليد، ويعدّ كتابه " المحلّى " أهمّ كتاب طبّق فيه ظاهريته، وهو عبارة عن موسوعة فقهية شرح فيها باختصار كتابه "المجلّى".[3]

ج)- العلوم الأخرى: لم يقصّر أهل الأندلس في الدراسات العلمية المتعلقة بالفلك والرياضيات والطّب والصّيدلة والزّراعة والجغرافية والتّاريخ وغيرها، حيث كانت حاضرة حضورا قويّا، فقد أسهم تلاميذ المجريطي ومنهم الكرماني (ت458هـ/1065م) وأبو مسلم بن خلدون (ت449هـ/1057م) وأبو الحسن علي بن سليمان الزهراوي وغيرهم في تطوير الدّراسات العلمية البحتة بما أضافوه إلى التراث الأندلسي من كتب قيّمة[4]، ويعدّ أبو إسحاق الزرقالي (ت480هـ/1087م) أبرز عالم فلكي أنجبته الأندلس بعد المجريطي، بما قدّمه من اختراعات ومصنّفات فلكية.[5]

وفي مجال الطب لمعت أسماء عديدة، وكان لأسرة بني زهر درجة السّبق في ممارستها للطب بالأندلس على مدى قرنين و نصف من الزّمان، ويعدّ أبو مروان عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر الإيادي الإشبيلي (ت470هـ/1077م) واحدا من

---

[1] - ابن بشكوال، نفسه، ج2 ص349/ النباهي، نفس المصدر، ص127-129/ عمر رضا كحالة، المرجع نفسه، ج8 ص25.
[2] - ابن خير، نفسه، ص122.
[3] - الحميدي، نفسه، ص302/ الضبي، نفس المصدر، ص364/ المقري، المصدر نفسه، ج2 ص79.
[4] - صاعد الأندلسي، نفس المصدر، ص92-93/ ابن أبي أصيبعة، نفس المصدر، ص444-446.
[5] - بالنثيا، نفس المرجع، ص450-453.

هذه الأسرة[1]، ومن الكتب التي تبرز الخصوصية الأندلسية في دراسة الأدوية والنباتات كتاب" أعيان النباتات والشجريات الأندلسية " لأبي عبيد البكري.[2]

وفي الزراعة ألف ابن بصّال كتاب الفلاحة، الذي اعتبره المقرّي عملا علميّا مميّزا " شهدت له التجربة بفضله "[3]، وتناوله المستشرق الإسباني خوسيه ماريا مياس فاليكروسا في بحث له بعنوان " علماء الفلاحة الأندلسيون " ، وممّا ذكره: "أنّ هذا الكتاب يمتاز بكون مؤلفه يتحدّث فيه عن تجاربه الخاصّة لا في إسبانيا وحدها، بل كذلك في بلاد المشرق حيث قام برحلات كثيرة ".[4]

وفي مجال الكتابة الجغرافية تميّز عهد الطوائف بمؤلّفين لأبي عبيد البكري، أوّلهما: " معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع "، وهو معجم لغوي جغرافي يصف فيه جزيرة العرب، ويتألف الكتاب من سبعمائة وأربع وثمانين بابا، وقد رتبه ترتيبا هجائيا أندلسيا[5]، أما الكتاب الثاني فهو" المسالك والممالك"، الذي تحدّث فيه عن كلّ مملكة بتفصيل، فيصفها ويذكر حدودها وطرقها ومسافاتها، ويأتي بشيء من تاريخها وعادات أهلها وخصائصهم[6]، إلى جانب مؤلف أبي العبّاس أحمد بن عمر بن أنس العذري المعروف بابن الدلائي (393- 478هـ/1002- 1085م) ، الموسوم ب:" ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك"، الذي قسّمه إلى فصول، وكلّ فصل يدور حول كورة من كور الأندلس وأقاليمها وأجزائها.[7]

وفي الكتابات التاريخية لا يوجد نظير لابن حيّان، فهو أعظم مؤرّخ أنجبته الأندلس، حيث أرّخ لعصر الطوائف الذي كان شاهدا عليه كتابه " المتين " وكتاب " البطشة الكبرى"[8]، الذي خصّصه لنكبة بني جهور أمراء قرطبة على يد المعتمد بن

---

[1] - ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص474.

[2] - نفسه، ص459/ حسين مؤنس، الجغرافية والجغرافيون في الأندلس من البداية إلى الحجاري، في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد 7و8، مدريد 1959-1960، ص120/ عمر رضا كحالة، المرجع نفسه، ج6 ص75.

[3] - نفح الطيب، ج3 ص151.

[4] - Jose M. Millas Vallicrosa : Los Geoponos Hispano- araes, In Revista del Instituto Egipcio de Estudios Islamicos En Madrid, Volumen IV, Madrid, 1956, p.126-127.

[5] - أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ضبط وتحقيق: مصطفى السقا، دار النشر: عالم الكتب، بيروت، ط3، 1403هـ، ج1 ص4/ حسين مؤنس، المرجع نفسه، ص120-128.

[6] - نفسه، ص132-133.

[7] - نفسه، ص79- 94.

[8] - محمود علي مكي، مقدّمة تحقيقه للمقتبس، ص68-76 وص80-82.

بن عبّاد ملك إشبيلية سنة 462هـ/1070م، كما صنّف ابن حزم كتابه " نقط العروس في تواريخ الخلفاء "، وفي تاريخ الأديان صنّف كتابه" الفصل في الملل والأهواء والنّحل "[1] وغير ذلك من المؤلفات القيّمة التي تشهد على خصوبة الإنتاج الفكري خلال هذه الحقبة من تاريخ الأندلس الإسلامية.

وجملة القول، أنّ الحركة العلمية في الأندلس خلال عصر الطوائف تميّزت بالطابع الشمولي في مجال التأليف، حيث مسّت مختلف العلوم وفروع المعرفة، كما تميّزت بمشاركة كلّ المدن الأندلسية في دفع عجلة الحركة الثقافية والفكرية في الجزيرة، ممّا أدّى إلى غزارة الإنتاج المحلي، الذي نتج عنه بروز الخصوصية الأندلسية واستقلاليتها عن المشرق.

وبالرّغم من التناقض الذي بدا واضحا بين الوضعية الثقافية والأوضاع السّياسية والاقتصادية والاجتماعية، فإنّ ملوك الطوائف كانت لهم اليد الطولى في إنعاش الحركة العلمية بتشجيعهم المادّي والمعنوي لكلّ المثقفين ببلادهم.

5. إسهام البربر في الحركة العلمية على عهد ملوك الطوائف:(422- 484 هـ/ 1031- 1091م)

أدّت مختلف العوامل التي سبق الحديث عنها خلال هذا العهد إلى بروز البربر كغيرهم من الأقليات بالأندلس وتميّزهم في كثير من العلوم، ومن أهمّ الفروع العلمية التي شاركوا فيها مايلي:

1.5. العلوم الدينية:

أ)- الفقه: كثيرة هي الشخصيات البربرية التي برزت في مجال الفقه خلال هذه الفترة، ومن أبرزها:

[1] - الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج18 ص195.

* الفقيه أحمد بن إبراهيم بن أبي زيد اللواتي المرسي (كان حيّا سنة 423هـ/1031م)، الذي رحل إلى المشرق وسمع بمصر من القاضي أبي محمد عبد الوهّاب بن علي البغدادي[1] بجامع الفسطاط.[2]

* الفقيه أبو الحسين يحي بن إبراهيم بن أبي زيد اللواتي، وهو أخو أحمد السّابق الذكر، وقد رافقه في رحلته العلمية إلى مصر وسمع معه من القاضي أبي محمد عبد الوهاب بن علي البغدادي، وأجاز لهما كتبه كلها وما رواه سنة 423هـ/1031م.[3]

* أحمد بن إسماعيل بن دُلَيْم أبو عمر القاضي الجزيري (كان حيّا سنة 440هـ/1048م)[4]، الذي كان يملك من المؤهلات العلمية ما جعله يحوز على منصب القضاء بجزيرة ميورقة، وهو منصب عادة ما يمنح لأصحاب الأحكام المتمكنين في الفقه، الذي يؤهلهم للفصل فيما يعرض عليهم من مسائل وفقا لأحكام الشريعة الإسلامية.

* أبو عمر عثمان بن عبد الله بن إسماعيل بن دليم البجاني، وهو ابن أخي أحمد بن إسماعيل السالف الذكر، وأصله من جزيرة ميورقة وقيل من الجزيرة الخضراء (مات قريبا من 434 أو نحوها).[5]

* أبو علي حسين بن محمد بن سلمون المسيلي (ت431هـ/1039م)، الذي ولي الشورى بقرطبة وكان حسن التفقه، وقد نوظر عليه في المسائل وكان لا يحسن سواها.[6]

* الفقيه أبو القاسم خلف بن أحمد بن جعفر الجراوي المري (ت475هـ/1082م)، الذي تولّى الخطابة بالمرية مدّة من الزّمن غير معلومة، ثمّ أقعد عنها[1].

---

[1] - فقيه مالكي انتهت إليه رياسة المذهب وأديب وشاعر رحل إلى مصر. ابن الأبار، التكملة، ج1 ص22-23/ ابن العماد الحنبلي، نفس المصدر، ج3 ص223.

[2] - ابن الأبار، نفسه، ج1 ص22/ ابن عبد الملك المراكشي، نفس المصدر،س1ق1ص66.

[3] - ابن الأبار، المصدر والصفحة نفسها.

[4] - ابن بشكوال، نفس المصدر، ج1 ص57-58/ ابن ماكولا علي بن هبة الله بن أبي نصر، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والألقاب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ، ج3 ص330.

[5] - ذكر الحميدي أنّه كان من الفقهاء المذكورين. نفس المصدر، ص297/ الضبي، نفس المصدر، ص360/ ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج2 ص325/ ابن ماكولا، المصدر والصفحة نفسها.

[6] - ابن بشكوال، نفسه، ج1 ص134.

* أبو بكر محمد بن عبد الله بن عيسى بن أبي زمنين المري الإلبيري (ت428هـ/1036م)، وهو أخو الإمام أبي عبد الله، وكان فقيها فاضلا، ولي قضاء البيرة، ولأجله ألف أخوه كتاب الأحكام المسمّى ب" المنتخب " ، وتوفي بالبيرة وهو قاض[2]، وذكر ابن الزبير أخ ثالث لهما وهو عبد الله بن عيسى بن محمد بن أبي زمنين المري ولم يزد على ذلك.[3]

* أبو محمد عبد الله بن أحمد بن الحاج الهواري، من أهل جزيرة شقر، ويعرف بابن حقاظ (403-474هـ/1012-1081م)، الذي روى عن أبي الوليد الباجي ولازمه، وتفقه به، وأجاز له أبو عمر بن الحذّاء، وكان يميل إلى مذهب الباجي في جواز مباشرة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم الكتاب بيده، في حديث كتاب المقاضاة في الحديبية كما جاء في ظاهر بعض رواياتها[4]، حيث كان يعتقد أنّ رسول □ صلّى الله عليه وسلم كتب، لكنّه تاب عن ذلك وأعلن أنّ رسول □ صلّى الله عليه وسلّم ما كتب قطّ حرفا، وعليه ألقى الله تعالى بعد أن شاهد حلما أفزعه.[5]

* أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن جماح الكتامي السبتي (توفي في حدود 470هـ/1077م)، الذي اتخذ من شرق الأندلس مستقرّا له، وكان من أهل الحفظ والمعرفة بالفقه وعلم التوحيد والاعتقاد، وكان القاضي أبو الوليد الباجي يستخلفه إذا سافر لتدريس أصحابه.[6]

* الفقيه أبو مروان عبيد الله بن محمد بن قاسم الكزني (من أعلام القرن 5هـ/11م)، الذي روى عن أبي عبيد القاسم بن خلف الجبير الفقيه وغيره.[7]

---

1 - نفسه، ج1 ص151.

2 - ابن فرحون، نفس المصدر، ص366/ ابن الأبار، نفسه، ج1 ص303.

3 - صلة الصلة، ج3 ص89.

4 - روى البخاري فقال: [حدّثنا يحي بن بُكَير حدثنا الليث عن عُقيل عن بن شهاب قال أخبرنا عُروة بن الزبير: أنّه سمع مروان والمِسْوَرَ بن مَخْزَمَة رضي الله عنهما، يخبران عن أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، قال: لمّا ككتب سُهَيل بن عمرو يومئذ، كان فيما اشترط سهيل بن عمرو على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه لا يأتيك منّا أحد وإن كان على دينك إلاّ رددته إلينا وخلّيت بيننا وبينه، فكره المؤمنون ذلك وامتعضوا منه، وأبى سهيل إلاّ ذلك، فكاتبه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم على ذلك]. البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة- بيروت، ط3، 1407هـ- 1987م، ج2 ص967، الحديث رقم 2564.

5 - ابن الأبّار، المصدر نفسه، ج2 ص245/ المقري، نفس المصدر، ج2 ص72-73.

6 - اين بشكوال، المصدر نفسه، ج1 ص248/ ابن الزبير، المصدر نفسه، ج3 ص154.

7 - ابن بشكوال، نفسه، ج1 ص249.

* أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن هرثمة بن ذكوان القرطبي (395-435هـ/1004-1043م)، وهو ابن قاضي القضاة أبي العبّاس بن ذكوان الذي تقدّمت ترجمته، ويذكر أنّ أبا الحزم بن جهور قلده أحكام القضاء بإجماع أهل قرطبة، ثمّ صرف عنه، وكان من أهل العلم والحفظ والنباهة والذكاء والفهم.[1]

* أبو عمران موسى بن عيسى بن أبي حاج واسمه يحج الغفجومي الفاسي (368-430هـ/978-1038م)، الذي دخل الأندلس طلبا للعلم فسمع بقرطبة من شيوخها، ثمّ رحل إلى المشرق وحجّ حججا، وسمع خلال رحلته بمكة ومصر والقيروان وبغداد، فجمع حفظ المذهب المالكي[2]، ثمّ عاد ودارس الفقه، ومن آثاره كتاب" الفهرست " و"التعاليق على المدوّنة ".[3]

* أبو الحسين يحي بن إبراهيم بن أبي زيد اللواتي المقرئ، المعروف بابن البيّان المرسي (406-496هـ/1015-1102م)، الذي أخذ بمصر كتاب" التلقين " عن القاضي أبي محمد عبد الوهاب، وهو كتاب في فروع الفقه المالكي، وفي آخر عمره اختلط فروى عن أشخاص لم يلقهم ولا كاتبوه.[4]

* أبو محمد عبد الله بن خلوف بن موسى الزواغي، المعروف بابن أبي العظام (ت443هـ/1051م)، وكان صاحب أحكام الجهة ببجانة.[5]

* عبد الوهاب بن محمد بن عبد القدّوس بن يوسف بن أحمد (من أعلام النصف الثاني من القرن 5هـ/11م)، وهو من بني عبد الوهاب أحد فروع صنهاجة بأشونة، الذين قال عنهم ابن حزم: "وقد خملوا، فما بقي منهم من يعرف إلاّ رجل له رحلة حج وطلب العلم، وهو اليوم خطيب جامع قرطبة، ثم ذكر اسمه.[6]

[1] - عياض، ترتيب المدارك، ص336-337/ ابن بشكوال، نفسه، ج2 ص412/ ابن سعيد، نفس المصدر، ج1 ص70.
[2] - ابن بشكوال، نفسه، ج2 ص475-476/ ابن العماد الحنبلي، المصدر نفسه، ج3 ص247.
[3] - الزركلي، نفس المرجع، ج7 ص326.
[4] - ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج2 ص516.
[5] - نفسه، ج1 صص230-231.
[6] - جمهرة أنساب العرب، ص502.

* أبو عبد الله محمد بن عبد الأعلى بن هاشم، ويعرف بابن الغليظ[1] (من أعلام النصف الثاني من القرن 5هـ/11م)، الذي كان من أهل العلم والأدب والرواية، فأمكنه ذلك من ولاية قضاء مالقة.[2]

* أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين الإلبيري (ت460هـ/1067م) ذكره الملاحي[3]، فقال: " ولي الأحكام وكان فقيها نبيها ".[4]

ب)- علم الحديث: من أبرز علماء البربر الذين تخصّصوا في هذا العلم خلال الفترة المذكورة، نجد الشخصيات التالية:

* أبو عمر أحمد بن إسماعيل بن دليم القاضي الجزيري الميورقي، الذي روى عن الفقيه المحدّث محمد بن الخلاّص اليماني، قال: نا محمد بن القاسم، قال: حدّثني محمد بن زبّان، عن الحارث بن مسكين[5]، عن أبي القاسم عن مالك، قال: قال رجل لعبد الله بن عمر[6]: إنّي قتلت نفسا فهل لي من توبة ؟ فقال: أكثر من شرب الماء البارد.[7]

* أبو عمر عثمان بن عبد الله بن إسماعيل بن دليم البجاني الجزيري، الذي روى عن أبي عمر يوسف بن أفلح، وكان قد سمع منه سنة 393هـ/1002م[8]، وروى الحميدي عنه[9]، أمّا ابن بشكوال فقد ذكره بأقلّ من هذا، ولم يذكر أحدا من شيوخه[10].

---

[1] - بنو الغليظ ينتمون في صنهاجة. نفسه، ص501.
[2] - الحميدي، المصدر نفسه، ص76/ الضبي، المصدر نفسه، ص90/ ابن بشكوال، نفسه، ج2 ص423.
[3] - أبو القاسم محمد بن عبد الواحد الغافقي المعروف بالملاحي (ت619هـ/1222م)، وهو صاحب كتاب "تاريخ علماء البيرة ". ابن الخطيب، الإحاطة، ج3 ص135-136/ ابن سعيد، المصدر نفسه، ج2 ص126/ الصفدي، نفس المصدر، ج4 ص50.
[4] - ابن الخطيب، نفسه، ج3 ص132.
[5] - أبو عمر الحارث بن مسكين بن محمد الأموي المصري (ت250هـ/864م)، فقيه مالكي ومحدّث، امتحنه المأمون في محنة القرآن فسجنه بالعراق، فلمّا ولي المتوكل أفرج عنه، فعاد إلى مصر وتولّى القضاء بها. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ج8 ص216/ السيوطي، طبقات الحفاظ، ص228/ الصفدي، نفسه، ج11 ص197-198.
[6] - صحابي معروف أفتى الناس في الإسلام 60 سنة، وله في كتب الحديث 2630 حديثا، من بينها 270 في صحيح البخاري. أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل - بيروت،ط1، 1412 - 1992، ج4 ص181-187/ الزركلي، المرجع نفسه، ج4 ص108.
[7] - الحميدي، المصدر نفسه، ص48/ ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج1 ص57-58.
[8] - ابن الأبّار، المصدر نفسه، ج3 ص166-167.
[9] - جذوة المقتبس، ص297/ الضبي، المصدر نفسه، ص360.
[10] - ابن بشكوال، نفسه، ج2 ص325.

* أبو القاسم خلف بن أحمد بن جعفر الجراوي المري، روى بالمشرق وشهد له بالرّواية غير واحد من شيوخ ابن بشكوال، الذي قال عنه: " وكان معتنيا بالعلم رواية له".[1]

* أبو محمد عبد الله بن أبي دليم البلنسي، الذي روى عنه أبو داود المقرئ، ومن جملة ما سمع منه أحاديث خراش بن عبد الله في سنة 436هـ/1044م.[2]

* منحل بن زيد النفزي الشاطبي (من أعلام النصف الثاني من القرن 5هـ/11م)، صاحب أبا عمر بن عبد البرّ (ت463هـ/1070م)، وأخذ عنه وحدّث وروى عنه غير واحد.[3]

* أبو مروان عبيد الله بن محمد بن قاسم الكزني، الذي حدّث عنه أبو عمر بن عبد البرّ، وقال: " كان من ثقات النّاس وعقلائهم.[4]

* أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن هرثمة بن ذكوان القرطبي، الذي كانت له عناية بالعلم، وشغف باقتناء الكتب وسماع الحديث.[5]

* أبو عمران موسى بن عيسى بن أبي حاج واسمه يحج الغفجومي الفاسي، الذي دخل الأندلس فسمع بقرطبة عن عدد من شيوخها، ليصبح بعدها متضلعا بحفظ حديث النبيّ صلى الله عليه وسلم والمعرفة بمعانيه، وعلى معرفة كبيرة بالرّجال والمعدّلين منهم والمجرّحين، ممّا أهّله إلى إسماع الحديث ببغداد أثناء رحلته إلى المشرق.[6]

* عبد الوهاب بن محمد بن عبد القدّوس بن يوسف بن أحمد الأشوني، وكان معاصرا لابن حزم، الذي ذكر أنّ له رحلة حجّ فيها، وطلب العلم وكانت الرّواية ممّا جمعه في رحلته هذه.[7]

* عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الصنهاجي القرطبي المعروف بابن اللبّان، اختصّ بالفقيه العالم أبي عبد الله محمد بن عتّاب، الذي كان بصيرا بالحديث وطرقه،

---

1 - نفسه، ج1 ص151.
2 - ابن الأبّار، نفسه، ج2 ص241.
3 - ابن الزبير، نفس المصدر، ج3 ص70.
4 - ابن بشكوال، نفسه، ج1 ص249.
5 - نفسه، ج2 ص412/ عياض، نفس المصدر، ص336-337.
6 - ابن بشكول، المصدر نفسه، ج2 ص475-476.
7 - جمهرة أنساب العرب، ص526.

فكان يرفع بذكره كثيرا، ووصفه ابن بشكوال بالنباهة والمعرفة واليقظة وكمال الأدوات، ثمّ ذكر أنّه روى عن ابن عتاب وغيره.[1]

ج)- القرآن الكريم: كان البربر يحرصون على تعليم أبنائهم القرآن الكريم على امتداد عهود الدّولة الإسلامية بالأندلس، وقد أحرزت طائفة منهم حظا من علوم القرآن خلال هذا العصر، ومن هؤلاء نجد الشخصيات التالية:

* أبو جعفر أحمد بن سليمان بن أحمد المكناسي الطنجي، ويعرف بابن أبي الرّبيع (توفي قبل 440هـ/1048م)، الذي سكن الأندلس ، وكانت له رحلة إلى المشرق أخذ فيها القراءة عن أبي أحمد السّامري وغيره، وأقرأ الناس ببجانة والمرية.[2]

* أبو القاسم خلفة بن تامصّلت بن يحي البرغواطي ، الذي دخل قرطبة سنة467هـ/1074م على أيّام المأمون يحي بن ذي النون، وكان هذا الرجل عالما بالقراءات، وقد روى عن أبي عبد الله محمد بن عبد الجبّار الطرسوسي، عن أبيه كتابه في القراءات.[3]

* أبو عمران موسى بن عيسى بن أبي حاج واسمه يحج الغفجومي الفاسي الدّاخل إلى قرطبة، وكان يقرأ القرآن بالسّبعة ويجوّدها.[4]

* أبو الحسين يحي بن إبراهيم بن أبي زيد اللواتي، المعروف بابن البيان المرسي، شيخ الأندلس في القراءات[5]، أقرأ الناس القرآن وعمّر وأسنّ، ومن آثاره كتاب " النّبذ النّامية في القراءات الثمانية".[6]

* عبد الوهاب بن محمد بن عبد القدّوس بن يوسف بن أحمد، وهو صاحب رحلة حجّ فيها ودارس فيها القرآن، ولمّا عاد إلى الأندلس تولى الخطابة والإقراء بجامع قرطبة[7].

---

[1] - الصّلة، ج2 ص281.
[2] - ابن بشكوال، نفسه، ج1 ص86.
[3] - ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج1 ص159.
[4] - نفسه، ج2 ص475/ ابن العماد الحنبلي، نفس المصدر، ج3 ص247.
[5] - ابن بشكوال، نفسه، ج2 ص516/ الزركلي، المرجع نفسه، ج8 ص134/ عمر رضا كحالة، نفس المرجع، ج13 ص181.
[6] - حاجي خليفة، نفس المرجع، ج2 ص1923.
[7] - ابن حزم، المصدر نفسه، ص526.

*أبو عمران موسى بن سليمان اللخمي الدّاموسي[1] المري (ت494هـ/1100م)، وكان مقرئا فاضلا، عالما بالقراءات، أخذها عن أبي العبّاس أحمد بن أبي الرّبيع المقرئ، وأقرأ الناس بالحمل عنه.[2]

* أبو محمد عبد الله بن خلوف بن موسى الزواغي المعروف بابن العظام، الذي كان صاحب صلاة الفريضة ببجّانة، كما كان من أهل التلاوة والاجتهاد في العبادة.[3]

* سليمان بن منحل الهّزي، الذي كان إلى جانب تصدّره في الفقه خطيبا.[4]

هذه هي النخبة من علماء البربر التي استطعت رصدها في هذا الجرد خلال عهد الطوائف، وتبقى الملاحظة نفسها تنطبق على مشاركتهم العلمية في العلوم الشرعية، التي انخفضت نوعا ما مقارنة بالعدد الإجمالي لمشاركتهم في العهد السّابق، مع تواصل الفقه في الصدارة يليه علم الحديث ثمّ علوم القرآن.

2.5. الآداب وعلوم اللغة:

أ)- النثر: من أبرز الشخصيات الأدبية البربرية التي كانت حاضرة بقوّة في هذا المجال بالأندلس على عهد الطوائف:

* الفضل بن أحمد بن محمد بن درّاج القسطلي (كان حيّا بعيد 440هـ/1048م)، الذي وصفه الحميدي بالأديب البليغ، وقال: إنّه يجري في رسائله على طريقة أبيه.[5]

* عبد الله بن بُلقّين بن باديس بن حبّوس بن ماكسن بن زيري بن منّاد الصنهاجي الغرناطي[6] (447- توفي بعد 487هـ/1055- بعد 1094م) الذي حاز حظا

---

[1] - الداموسي نسبة إلى داموس، وهي بلدة بالمغرب من بلاد البربر من البر الأعظم قرب جزائر بني مزغنّاي. ياقوت الحموي، معجم البلدان، م2 ص284.

[2] - ابن بشكوال، نفسه، ج2 ص476/ ياقوت الحموي، المصدر والصفحة نفسها.

[3] - ابن بشكوال، نفسه، ج1 ص230-231.

[4] - نفسه، ج1 ص175.

[5] - ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج2 ص368.

[6] - ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص153-154/ مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار والأستاذ عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة- الدار لبيضاء، ط1، 1399هـ- 1979، ص71/ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص232-236/ قاسم الطويل مريم ، مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر، مكتبة الوحدة العربية- الدار البيضاء، دار الكتب العلمية- بيروت، 1994، صص222-227.

وافرا من البلاغة والمعرفة، كما كان حسن الخطّ، فقد وجدت بغرناطة ربعة مصحف بخطّه في نهاية الصّنعة والإتقان.[1]

ويبدو أنّ الأمير عبد الله كان واسع الاطلاع كما يتبيّن من تمكّنه من العربية وآدابها في مذكراته الموسومة بكتاب التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري بغرناطة، حيث يقتبس عددا كبيرا من الآيات والأحاديث النبويّة والأمثال والأشعار والحكم في مجالات شتى، ويرى الدكتور أمين توفيق الطيبي في مقدّمة تحقيقه لكتاب التبيان أنّه ربّما كان يشير إلى نفسه حينما كان يروي أنّه قيل لرجل: " من أين لك هذا العلم؟ فقال: قلبا عقولا ولساناسؤولا ".[2]

*أبو المعلّى بدّيْر ويقال بيدير بن حُ بلقة بن ماكسن بن حبّوس بن زيري بن مزّاد الصنهاجي الغرناطي، ابن أخي حبّوس بن ماكسن، الذي عرف بإقباله على قراءة الكتب ومجالسة الفقهاء[3]، وقد روى عن أبي الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني[4]، وكان وكان بدّير رئيسا محبّا في العلم وأهله، ذا حظ صالح من الأدب واستمالة منتحليه.[5]

* ابن رزين الهواري[6]، الذي أشاد الفتح بن خاقان به فقال: "وله نظم ونثر ما ما قصّر عن الغاية، ولا أقصر عن تلقّي الرّاية، ولقد أثبت منها نبذ تروق شموسا، وتكاد تُشرَب كؤوسا"[7]، أمّا ابن دحية، فيعتبره من طبقة الشعراء البارزين في عصره، عصره، ويستشفّ ذلك من قوله:" وذو الرياستين زاد عليهم بأدب أبهى من الرّوض الأريض ومنظوم بديع من القريض".[8]

ورغم هذه المكانة التي كان يتمتع بها في مجال الأدب، فضلا عما كان يقيمه من مجالس للأنس والشراب على عادته، في منيته المسمّاة ب" منية العيون"

---

[1] - ابن الخطيب، الإحاطة، ج3 ص289.
[2] - الأمير عبد الله بن بلقين بن زيري، " كتاب التبيان "، تحقيق وتقديم وتعليق: أمين توفيق الطيبي، منشورات عكاظ- الرباط، 1995، مقدمة المحقق ص42 وص177.
[3] - ابن بلقين، المصدر نفسه، ص 65.
[4] - كان إماما في العربية متمكّنا في علم الأدب. الحميدي، نفس المصدر، ص182/ ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج1 ص114-115/ عمر رضا كحالة ، المرجع نفسه، ج3 ص102.
[5] - ابن عبد الملك المراكشي، نفس المصدر،س8 ق2 ص421-422.
[6] - الحاجب ذو الرياستين أبو مروان عبد الملك بن رزين الهواري (ت496هـ/1102م). ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2 ص108-115/ ابن سعيد، نفس المصدر، ج2 ص428-429/ ابن بسّام، نفس المصدر، ج5 ص109-125/ ابن عذاري، نفس المصدر، ج3 ص309/ ابن دحية الكلبي، نفس المصدر، ص47-49/ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص206-207.
[7] - ابن خاقان، نفس المصدر، ج1 ص158.
[8] - ابن دحية الكلبي، نفسه، ص47.

بشنتمرية، إلاّ أنّه عرف بطبعه الغريب في معاملته للشعراء، حيث " كان يتشطط على ندّامه ولا يرتبط في مجلس مدامه، فربّما غدا إنعامه بؤسا وانقلب ابتسامه عبوسا".[1]

ويعتبر عبد الملك بن رزين أطول ملوك الطوائف عهدا، حيث حكم مدّة ستين عاما (436-496هـ/1044-1102م)، ولعلّ أهمّ الأسباب التي جعلته يتوخّى السقوط المبكّر كسائر الإمارات الأندلسية المعاصرة له، مناعة إمارته بحكم تضاريسها الوعرة، فضلا عن تجنّبه دائرة الصّراعات والفتن التي عمّت معظم أجزاء الأندلس حينئذ.[2]

وقد نقل إلينا ابن بسّام نسخة رّقعة من نثره، بعث بها إلى ابن طاهر[3] كانت غاية في البلاغة، وجمال في العبارة، وسلاسة في الأسلوب، ودقّة اللفظة التي كان يتخيّرها وينتقيها انتقاء، يخطب فيها وداده ويستميل فؤاده ليحلّ بمملكته، وممّا خاطبه به في هذه الرّقعة، في فصل منها:

" وأنا أعرض عليك –أعزّك □- ما هو الأوفق لي، والأحق بي، عن عزيمة مكينة، ورغبة وكيدة، من التنقل إلى جهتي، والاختلاط بي وبلحمتي، فأستوفي الحظ من مؤانستك، واستنفد الوسع في تكرمتك، وآقاسمك خاصّ ضياعي، ومعلوم أملاكي ورباعي، وإن شقّ عليك الكون بجهتي- جهتك- لبرد هوائها، وبعد أنحائها، فهذه شنتمرية أقف طاعتها عليك، وأصرف أمرها إليك، وعندي من العون على الارتحال، ما يقتضيه لك رفيع الحال، ولك الفضل في مراجعتي بما يستقرّ عليه رأيك، ويأتي به إيجابك، مكرما مواصلا، إن شاء الله ".[4]

* والد عبد الله الحجاري، وهو إبراهيم بن وَزَمّر الحجاري، الذي كان أديب مدينة الفرج بوادي الحجارة، والمصنّف للمأمون بن ذي النون " كتاب مغنطيس الأفكار فيما تحتوي عليه مدينة الفرج من النظم والنثر والأخبار ".[5]

---

[1] - ابن خاقان، نفسه، ج1 ص158.
[2] - كمال السيّد أبو مصطفى، بحوث في تاريخ وحضارة الأندلس في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة- الإسكندرية، 1993، ص25.
[3] - محمد بن أحمد بن إسحاق بن طاهر، ذي الوزارتين الأجلّ الكاتب الماهر وصاحب المظالم بمرسية. ابن بسّام، المصدر نفسه، ج5 ص24-28.
[4] - نفسه، ج5 ص114.
[5] - ابن الخطيب، الإحاطة، ج3 ص328-329/ حسين مؤنس، نفس المرجع، ص147-148.

* المتوكل على الله أبو محمد عمر بن المظفر بن الأفطس (ت487هـ/1094م)، وهو بطليوسي مكناسي الأصل، من مكناسة الجوف[1]، وكان هذا الرجل أديبا بارعا الخط حافظا للغة، لسنا فصيحا، وقد وصف ابن خاقان نثره بأنّه " نثر تسري رقته سُرى النسيم ".[2]

ومن نثره المزري بالدرّ ما كتب به إلى المعتمد شافعا، وهو:

" ما يسفر لي – أيّدك الله – وجهُ مُطالعَتك، ويَعِنُّ لي سبب مراسلتك، إلاّ وأجد الزّمان قد أقبل بعد إعراضه، وأمدّ حبل انتفاضه، وأرى المُنى تُلقي إليّ عِنانها، وتدني من يديّ إحسانها، فإنّك العِمَادُ الذي أعتدّه جبلا ألوذ بحَقوه، ومَنهلا أكرَعُ في صفوه، ومُعَظمًا أعاطيه بقسْطِه، وأناجيه على شَحَطِهِ، ولمّا كان "فُلانٌ " – أبقاه الله – قد سبقت به المعرفة القديمة، وسلفت معه الأذمّة الكريمة، وأتاني ثناؤه بالغيب عليك أرسالا، كأنّما هبّ صبًا أو شمالا، لزمني أن أعلمك بمكانه من الانقطاع إلى جهتك، والتحيّز إلى فئتك، وأن أشفع له عندك شفاعة حسنة، أدرك معها لَدَيْكَ كرم الشفيع، ويحوز بها منك شرف العارفة والصّنيع، وهي منّة طوّقته إيّاها، وأطلعته بروضها وربَاها، ثم اعترض عليه فيها، وقد شهرَ مُلاكُهُ لها ولنواحيها، ويعيذ الله مجدك أن يكون ما وهبت مُرْتَجَعًا، أو ما أوليت مُنتزَعًا، وأنا أرقبُ لها الإسعافَ والقبُولَ، كما يرتقب الظمآن الورود والوصول، وإن مننت أيّدك الله بالمراجعة الجميلة البديعة، وقرنتها بأحوالك المصونة الرّفيعة، اقتضيت الشكر من شاكر، كنَوْرٍ زاهِرٍ، وعَمَلٍ باكِرٍ إن شاء الله تعالى ".[3]

ومن خلال رسالته هذه يتضح لنا أنّ المتوكل بن الأفطس كان أديبا متضلعا، ومتمكّنا من لسان العرب، فهو يتصرّف في الأدب تصرّف من له كعب في هذه الصّنعة، فيحسن توظيف ملكة اللغة التي أوتيها، ويسوق ما أورده بأسلوب رفيع يجاري فيه بلاغة البلغاء وفصاحة الفصحاء.

* الأديب الأمير أرقم بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن عامر بن مطرّف بن موسى بن ذي النون، ويعرف بالمضراس وهو أخو

---

[1] - ابن سعيد، المصدر نفسه، ج1 ص364-365/ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص185/ ابن خاقان، المصدر نفسه، ج1 ص120-145.
[2] - نفسه، ج1 ص120.
[3] - ابن خاقان، المصدر نفسه، ج1 ص141-142.

إسماعيل بن ذي النون، وقد تميّز على أسرة بني ذي النون بنظمه وتولعه بالأدب[1]، وكان المأمون ابن أخيه ينفيه ويبغضه ويحسده على أدبه، ففرّ إلى الثغر الأعلى لمملكته[2]، إلى أراضي النصارى حيث بقي في ضيافتهم إلى أن قتل غيلة بفعل مؤامرة دبّرها ابن أخيه يحي المأمون.

* إسماعيل الظافر بن عبد الرحمن بن سليمان بن ذي النون، الذي كان يمتلك ثقافة واسعة ورفيعة جعلته في مستوى عصره المزدهر ، وقد وضع كتابا شبيها ب " زهر الأدب " للحصري، إنّما لم يصلنا للأسف شيء منه، ولا بلغنا تعليق أو نقد لما فيه.[3]

* الأديب العالم المظفر أبو بكر محمد بن عبد الله بن مسلمة المعروف بابن الأفطس (ت461هـ/1068م)، الذي كان أديب ملوك عصره بغير مدافع ولا منازع، وله التصنيف الرّائق والتأليف الفائق المترجم بالتذكرة والمشتهر اسمه أيضا بكتاب " المظفر" في خمسين مجلدة[4]، وهو يختصّ في جانب كبير منه بعلم الأدب، حيث اشتمل على الآداب المتخيّرة والطرف المستملحة والنكت البديعة والغرائب الملوكية.

* محمد بن عبد الأعلى بن هاشم، المعروف بابن الغليظ القرطبي، الذي وصفته كتب التراجم والطبقات بصفة العلم وجعلته من أهل الأدب.[5]

* أبو عمر عثمان بن عبد الله بن إسماعيل بن دليم البجّاني (مات قريبا من 434هـ/1042م أو نحوها)، الذي ذكره الحميدي وقال:"كان من الأدباء الصّالحين".[6]

* عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الصنهاجي القرطبي، يعرف بابن اللّبّان (ت نحو 480هـ/1087م)، الذي كان حسن الخط، وقد كتب للقاضي أبي بكر بن أدهم.[7]

---

[1] - المقري، نفس المصدر ، ج4 ص133/ عبد المجيد نعنعي ، نفس المرجع، ص126.
[2] - ابن سعيد، المصدر نفسه، ج2 ص14.
[3] - عبد المجيد نعنعي، نفسه، ص91.
[4] - ابن بسّام، المصدر نفسه، ج4 ص640/ ابن عذاري، نفس المصدر، ج3 ص236-237/ المقري، المصدر نفسه، ج3 ص380/ ابن الأبّار، الحلّة، ج2 ص97/ إحسان عبّاس، نفس المرجع، ص72/ محمد عبد الله عنان ، نفس المرجع، ص429.
[5] - الحميدي، نفس المصدر، ص76/ الضبي، نفس المصدر، ص90/ ابن بشكول، نفس المصدر، ج2 ص423.
[6] - جذوة المقتبس، ص297/ الضبي، نفسه، ص360/ ابن بشكول، نفسه، ج2 ص325.
[7] - نفسه، ج2 ص281.

ب)- الشعر: كثيرة هي الأسماء التي اشتهرت في ميدان الشعر خلال عصر الطوائف من العنصر البربري في فضاء الأندلس الشاسع، ومن أهمّ الشخصيات التي رصدتها لنا كتب التراجم ما يلي:

* الفضل بن أحمد بن محمد بن درّاج القسطلي، وكان شاعرا يجري في الشعر والرّسائل على طريقة أبيه، ومن شعره في إقبال الدّولة بن الموفق: [من الخفيف]

وَإِذَا مَا خُطُوبُ دَهْرٍ أَنَاخَتْ ... وَأَطَلَّتْ كَأَنَّهَا الجِنُّ تَسْعَى
كَلأَتْنَا مِنْ نَائِلِ ابنِ أَيَادِي ... مَلِكٍ يَكْلأُ الأَنَامَ وَيَرعَى
مَلِكٍ إِنْ دَعَاهُ لِلنَّصْرِ يَوْمًا ... مُسْتَضَامٌ كَفَاهُ نَصْرًا وَمَنْعَا
أَوْ عَرَاهُ السَّلِيبُ صِفْرًا يَدَاهُ ... جَمَعَ الرِّزْقَ مِن نَدَاهُ وَأَوْعَى[1]

* ذو الرياستين عبد الملك بن رزين الهواري، الذي يعتبر من الشعراء البارزين في عصر الطوائف، وهو يقف في المقام الأول – إذا ما استثنينا ابن عبّاد - مقارنة بأمراء عصره في هذا الفنّ، وهذا ما ذهب إليه ابن دحية الكلبي بقوله: " وزاد عليهم بأدب أبهى من الروض الأريض، ومنظوم بديع من القريض"[2]، وقد ساقت كتب التراجم نتفا من شعره وهو كثير وجيّد، يؤكّد حقيقة تمكّنه بعيدا عن كلّ إطراء ومجاملة، ومن ذلك مثلا قوله مفتخرا بقومه: [من البسيط]

سَلُوتُ أَهْلَ رَزِينٍ غَيْرَ مُحْتَفِلٍ ... وَهُمْ عَلَى مَا عَلِمْتُمْ أَفْضَلَ الأُمَمِ
قَوْمٌ إِذَا حُورِبُوا أَفْنَوا وَإِنْ سُئِلُوا ... أَغْنَوا وَإِن سُوبِقُوا حَازُوا مَدَى الكَرَمِ[3]

وله في وصف إحدى روضاته، قوله: [الطويل]

وَرَوْضٌ كَسَاهُ الطَّلُّ وَشْيًا مُجَدَّدًا ... فَأَضْحَى مُقِيمًا لِلنُّفُوسِ وَمُقْعِدَا
إِذَا صَافَحَتْهُ الرِّيحُ خِلْتَ غُصُونَهُ ... رَوَاقِصَ فِي خُضْرٍ مِنَ العَصْفِ مُيَّدَا
إِذا مَا انْسِكَابُ المَاءِ عَايَنْتَ خِلْتَهُ ... وَقَدْ كَسَّرَتْهُ رَاحَةُ الرِّيحِ مِبْرَدَا
وَإِنْ سَكَنَتْ عَنْهُ حَسِبْتَ صَفَاءَهُ ... حُسَامًا صَقِيلاً صَافِيَ المَتْنِ جُرِّدَا[1]

---

[1] - الحميدي، المصدر نفسه، ص320/ الضبي، المصدر نفسه، ص387/ ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج2 ص369.
[2] - المطرب، ص47.
[3] - ابن الأبّار، المصدر نفسه، ج2 ص111/ ابن بسّام، المصدر نفسه، ج5 ص119.

* أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن وزمّر الحجاري الصنهاجي، الذي كان أديبا وشاعرا، ومن شعره في كتابه " الحديقة في البديع "، قوله: [السريع]

وَشَادِنٍ يُنْصِفُ مِنْ نَفْسِهِ   أَمَّنَنِي مِنْ سَطْوَةِ الدَّهْرِ
يَنُمُّ لِلشُّرْبِ عَلَى حِزْبِهِ   وَيَصْرِفُ الذَّنْبَ عَلَى الخَمْرِ

وقد قصد إقبال الدولة ملك دانية ومدحه، ومن شعره في أبي بكر بن عبد العزيز مدبّر أمر بلنسية، قوله: [الكامل]

رَدُّوا عَلَيَّ رِكَابَهُمْ بِالأَجْرَعِ   حَتَّى يَقْضِي الشَّوْقُ حَقَّ مُوَدِّعِ
وَأَبُثُّهُمْ مَا قَدْ أَثَارُوا مِنْ جَوًى   لِفِرَاقِهِمْ وَلْيَسْتَطِرُوا مِنْ أَدْمُعِ [2]

* أمّ العلاء بنت يوسف الحجارية البربرية، التي كانت شاعرة متميّزة، قال عنها صاحب المسهب: "إنّها ممّن تفخر به بلدها وقبيلها "[3]، وذكرها المقرّي نقلا عن صاحب المغرب، وقال إنّها من أهل المائة الخامسة، ومن شعرها: [الوافر]

كُلُّ مَا يَصْدُرُ مِنْكُمْ حَسَنْ   وَبِعَلْيَاكُمْ تَحَلَّى الزَّمَنْ
تَعْطِفُ العَيْنُ على مَنْظَرِكُمْ   وَبِذِكْرَاكُمْ تَلَذُّ الأُذُنْ
مَنْ يَعِشْ دُونَكُمْ في عُمْرِهِ   فَهُوَ في نَيْلِ الأَمَانِي يُغْبَنْ [4]

* الأديب أبو إسحاق إبراهيم بن وزمّر الصنهاجي الحجاري، وهو جدّ صاحب المسهب، و كان له ولع بالآداب، خدم به المأمون بن ذي النون، ومن شعره قوله: [الطويل]

أَلَا إِنَّها واللهِ إِحْدَى الكَبَائِرِ   تَعُقُّونَ أَسْلَافًا لَكُمْ بِالمَآثِرِ
مَتَى كَانَ مِنْكُمْ مَنْ يَجُودُ بِقَاصِدٍ   مَتَى كَانَ مِنْكُمْ مَنْ يَهَشُّ لِشَاعِرِ [5]

* وكان والد عبد الله الحجاري وهو إبراهيم بن وزمّر الحجاري أديبا وشاعرا، وإن لم يؤثر عنه شعرا، ذلك أنّ كتابه " مغناطيس الأفكار فيما تحتوي عليه مدينة الفرج من النظم والنثر والأخبار "[6]، الذي ألفه للمأمون بن ذي النون، يدلّ على

---

[1] - ابن خاقان، المصدر نفسه، ج1 ص161/ ابن الأبّار، المصدر والصفحة نفسها/ ابن بسّام، المصدر والصفحة نفسها/ ابن سعيد، المصدر نفسه، ج2 ص428/ المقري، المصدر نفسه، ج1 ص669.
[2] - ابن سعيد، المصدر نفسه، ج2 ص34.
[3] - نفسه، ج2 ص38.
[4] - المقري، المصدر نفسه، ج4 ص169.
[5] - ابن سعيد، نفسه، ج2 ص33-34.
[6] - ابن الخطيب، الإحاطة، ج3 ص328-329.

تضمّنه مادةشعرية كثيرة، ولا يستبعد أنّ بعضا منها كان من نظم صاحبه، إذ لا يعقل أن يكتب في القريض لو لم يكن على علاقة متينة به، وما من شك أنّ إزالة هذا اللبس موجودة في طيّات مؤلفه، الذي ضاع ولم يصل إلينا سوى اسمه.

* أبو محمد المتوكّل بن المظفر بن الأفطس، وكان من شعراء الجلة والأعيان، متمكّنا من النّظم تمكّنه من النثر، وقد أوردت المصادر بعض أشعاره[1]، ومن ذلك مثلا ما ذكره ابن بسّام، قال: " أخبرني الوزير أبو طالب بن غانم، قال: لا أنسى والله خط المتوكّل بهذين البيتين في ورقة بقلة الكرنب، وقد كتب إليّ بهما من بعض البساتين: [مخلع البسيط]

انْهَضْ أبَا طَالِبٍ إليْنَا وَاسْقُطْ سُقُوطَ النَّدَى عَلَيْنَا

فَنَحْنُ عِقْدٌ بِغَيْرِ وُسْطَى مَا لَمْ تَكُنْ حَاضِرًا لَدَيْنَا"[2]

* أبو الطيب عبد المنعم بن منّ الله بن أبي بحر الهواري القيرواني (ت493هـ/1099م)، الذي ذكره ابن بشكوال وقال: " دخل إلى الأندلس بشرقيها وكان شاعرا "[3]، ولم يزد على ذلك.

* الأمير أرقم بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن عامر بن مطرّف بن موسى بن ذي النون، كان صاحب أدب وله من الشعر حظ، قرأ في قرطبة على الرّمادي الشّاعر، وقد نفاه بنو ذي النون من نسبهم لأنّه كان ابن أمة مهينة، واقعها أبو الظافر في حال سكره. وممّا قاله مرتجلا في منفاه: [الطويل]

لئِنْ طِبْتُمْ نَفْسًا بِتَرْكِي دِيَارَكُمْ فَنَفْسِي عَنْكُمْ بِالتَّفَرُّقِ أَطْيَبُ

إذا لَمْ يَكُنْ لِي جَانِبٌ في دِيَارِكُمْ فَمَا العُذْرُ لِي أَنْ لا يَكُونَ تَجَنُّبُ

زَعَمْتُمْ أنّي لسْتُ فَرْعًا لأصْلِكُمْ فَهَلاّ عَلِمْتُمْ أنّنِي عَنْهُ أرْغَبُ

وحَسْبِي إذا مَا البِيضُ لمْ تَرْعَ نِسْبَةً بِأنّي إلى سَيْفِي ورُمْحِي أُنْسَبُ[4]

---

[1] - القلائد، ج1 ص132-145.
[2] - الذخيرة في محاسن الجزيرة، المصدر نفسه، ج4 ص652/ ابن خاقان، نفسه، ج1 ص144/ ابن الأبّار، المصدر نفسه، ج2 ص107/ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص185.
[3] - ابن بشكوال، نفس المصدر، ج2 ص315.
[4] - المقري، المصدر نفسه، ج4 ص133-134.

ولكي يتخلص منه ابن أخيه المأمون بعث إلى النصارى، الذين كان يقيم في مملكتهم من دسّ إليهم بأنّه جاسوس من قبل ابن أخيه ليتكشّف على بلادهم فقتلوه، فاستراح المأمون، وقال: الحمد لله هذه نعمة من جهتين فقد عدوّ ووجوب ثار نطلب به.[1]

* إسماعيل الظافر بن عبد الرحمن بن سليمان بن ذي النون، وكان يحفظ الوافر من أشعار القدماء، سواء من عاصروا الجاهلية أو الذين عاشوا .خلال ظهور الإسلام، وكان محبّا للشعر، ينظم الجيّد منه من آن لآخر، وقد قصد بلاطه شعراء كثيرون، ينشدون قصائدهم في حضرته، وينعمون بالوافر من منحه وعطاياه.[2]

* أبو بكر المظفر بن الأفطس، الذي كان له معرفة بالقريض جعلته ينفرد برأيه في من يستحق التنويه به كشاعر، وممّا يؤثر عنه أنّه كان يقول: " من لم يكن شعره مثل شعر المتنبّي أو شعر المعرّي فليسكت ".[3]

وإن تعجب فعجبا أن يكون المظفر صاحب التأليف المشهور باسمه، وقد زكّته المصادر التاريخية، كقول ابن حيّان: " لم يكن في ملوك الأندلس من يفوقه في أدب ومعرفة "[4]، ومثل ذلك قول المقرّي: " ولم تشغله الحروب ولا المملكة عن همّة الأدب "[5]، ورغم ذلك لم تورد المصادر المعاصرة له ولا التي جاءت بعد عصره أيّا من أشعاره.

وليس ثمّة شكّ أنّه كان على أقلّ تقدير ممّن لهم حظ من الشعر، وفي اعتقادي أنّ الكثير من إبداعاته كانت ستتكشف لنا,لو أنّ مؤلفه لم يفقد ووصل إلينا كغيره من المصادر التي عاصرت عهده، بل كان سيفيدنا - حتما - بالمزيد من المعلومات التي ربّما أغفلتها هذه المصادر.

ج)- علوم اللغة: لم تشر المصادر التي أرّخت لعهد الطوائف إلى البربر الذين اشتغلوا بالنّحو والبلاغة وغيرها من علوم اللغة، كما فصّلت في ذلك بالنسبة لعهد الخلافة الأموية، ولعلّ ذلك يعزى لكون الأدب والشعر جزء من علوم اللغة، بل إنّهما

---

[1] - ابن سعيد، المصدر نفسه، ج2 ص14.
[2] - عبد المجيد نعنعي ، نفس المرجع، ص91.
[3] - ابن بسّام، المصدر نفسه، ج4 ص641.
[4] - المقري، المصدر نفسه، ج3 ص380.
[5] - نفسه، ج3 ص194.

لا يصلحان ولا يستقيمان ما لم يستقم لسان المرء ويسلم من اللحن في اللغة، ولا يتأتى ذلك إلاّ لمن كان على علم بالنّحو والبلاغة والبيان والعروض وعلوم اللغة التي تفضي به إلى النثر الرّائق والنظم البديع.

ومن الشخصيات البربرية القليلة التي ساقت المصادر خبرها إلينا على هذا العهد:

* أبو محمد المتوكّل بن الأفطس، الذي كان حافظا للغة، وقد ذكر ابن عبد الملك المراكشي أنّه وقف على بطاقة بخط أبي علي الغسّاني أدرجها في ذكر المِعَا، أثناء ما جاء من المقصور على فِعَل، من كتاب أبي علي البغدادي في " المقصور والممدود " بخط أبي شجاع ونصّها: " وروى بعضهم المؤمن يأكل في مِعًا واحدة، والكافر يأكل في سبعة أمعاء "[1]، فقال مِعًا واحدة فأنّث، وقال سبعة بالتّاء فذكّر، جمع بين اللغتين، أفادنيه المتوكّل على الله أيّده الله ".[2]

* وكان إبراهيم بن وزمّر الحجاري والد عبد الله الحجاري حافظا للغة[3] ، كما كان إسماعيل الظافر بن عبد الرحمن بن سليمان بن ذي النون يعرف العربية ويمتلك ناصية البلاغة فيها.[4]

3.5. العلوم العقلية وعلوم أخرى:

لم تعرف هذه العلوم بالمقارنة مع العلوم الدينية والعلوم اللغوية إلاّ القليل من المشاركة على مرّ فترات التواجد الإسلامي بالأندلس من لدن قيام الدولة الأموية بها إلى زوال دولة الإسلام بشبه الجزيرة ككلّ، ولم يشذّ البربر عن هذه الظاهرة العامّة- كما سبقت الإشارة إلى ذلك- من حيث مساهمتهم التي لم تزد عن بضعة أفراد، ومن هؤلاء:

---

[1] - ابن عبد البرّ النمري أبو عمر يوسف بن عبد الله، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية- المغرب، 1387هـ، ج18 ص55/وقال الفرّاء جاء في الحديث "مِعًى واحدة "وواحد أعجب إليّ ، وأكثر كلام العرب تذكّره وربّما أنثوه كأنّه واحد دلّ على جمع. ابن الجوزي عبد الرحمن أبو الفرج، كشف المشكل من حديث الصحيحين، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض، 1418هـ- 1997م، ج1 ص419-421/ أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 2001م، ج3 ص159/ لسان العرب، ج15 ص288.

[2] - الذيل والتكملة، س5 ق2 ص466.

[3] - ابن خاقان، المصدر نفسه، ج1 ص120.

[4] - عبد المجيد نعنعي، المرجع نفسه، ص91.

* أبو تمّام غالب بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن نَهْيْك الهواري الأشوني (376- 440هـ/986- 1048م)، الذي كانت فنون الحساب أغلب عليه مع مشاركته في غيره.[1]

* عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبّوس بن ماكسن بن زيري بن منّاد الصنهاجي، الذي أرّخ لغرناطة من خلال " كتاب التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة "، على عهد ملوك الطوائف باعتباره أحد ملوكها الذين شاركوا في صنع أحداثها، وهذا ما جعله يسيطر على المادّة التي نقلها إلينا ويتحكّم فيها بدقّة، فهو يختار المعلومات ذات الصّلة بالأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية، التي تميّز بها هذا الكتاب عن غيره[2] ، فهي كثير من المعلومات التي ساقها إلينا كان أقرب إلى الدقة والواقعية، ومثال ذلك روايته لمعركة الزلاّقة، حيث كان بعيدا عن المبالغة التي سقطت فيها عدد من الرّوايات، وذلك بحكم وجوده في قلب الحدث ومشاركته في هذه المعركة.

والواقع أنّ كتاب التبيان تأليف طبعه البعد الشخصي، الذي جعله فريدا من نوعه في العالمين الإسلامي والأوربي على حدّ سواء، فهو عمل سابق لعصره فيما سيعرف لاحقا بالمذكرات، وقد احتوى على مادّة سخيّة وعميقة وصحيحة، حول غرناطة والأندلس في القرن 5هـ/11م، لا نجدها في غيره من المصادر، زاوج فيه صاحبه بين وصف الأحداث وتحليلها، وهو ما استحق من أجله الترجمة إلى ثلاث لغات هي الفرنسية والإنجليزية والإسبانية.

وإنّه لمن الضرورة بمكان أن نؤكّد على أنّ الأمير عبد الله، كتب مذكراته - التي كانت تشكل حاضره - في ماض قريب له، بعيدا عن غرناطة وعن الضغوط التي عادة ما تقيّد الأقلام، وهي داخل إطار العصر الذي تكتب عنه، بعد نفيه إلى أغمات بمراكش، فجاء ذلك على قدر كبير من التجرّد الذي تحقّه الموضوعية ويقلّ فيه حضور الذاتية، باعتبار المؤلف كان طرفا مباشرا في التاريخ الذي كتبه كشاهد على العصر في إطار المملكة التي حكمها وعلاقاتها بالممالك الأندلسية الأخرى.

---

[1] - ابن بشكوال، نفس المصدر، ج2 ص363.
[2] - امحمد بن عبّود، نفس المرجع، ص250.

*أبو إسحاق بن وزمّر الصنهاجي الحجاري، وكان ممّن ولع بعلوم التواريخ.[1]

* إبراهيم بن وزمّر الحجاري والد عبد الله الحجاري، الذي خصّص جانبا معتبرا من الأخبار في كتابه مغناطيس الأفكار، الذي أهداه إلى المأمون بن ذي النون.[2]

* إسماعيل المظفر بن عبد الرحمن بن ذي النون، الذي كان شديد الإلمام بتاريخ العرب، وافر العلم بأيّام قبائلهم وأخبار أوائلهم.[3]

* المظفر بن الأفطس، الذي اشتمل كتابه " المظفري "[4] على الكثير من الأخبار والسّير و التاريخ، وفي رسالته التي ردّ فيها على ابن الرّبيب القيرواني، يعتبر ابن حزم " المظفري " في مصاف كتب التاريخ باعتبار أنّه يقارنه ويضاهيه بكتاب " المتين "لابن حيّان، ويذكر أنّه يتضمّن تاريخا على السنين.[5]

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ عدد المختصّين في الأدب نثرا وشعرا قد زاد مقارنة بالعهد السّابق، في حين تناقص عدد المشتغلين باللغة والعلوم العقلية وعلوم أخرى مقارنة بكلّ الفترات السّابقة، وهذه ملاحظة يصعب تفسيرها، بينما اللافت للنظر في هذا العهد هو بروز أمراء البربر كعبد الملك بن رزين في الشعر والمتوكل بن الأفطس في اللغة وابنه المظفر وعبد الله بن بلقين في التأريخ.

---

[1] - ابن سعيد، نفس المصدر، ج2 ص33.
[2] - ابن الخطيب، الإحاطة، ج3 ص328-329.
[3] - عبد المجيد نعنعي، المرجع نفسه، ص91.
[4] - ابن الأبار، التكملة، ج1 ص315/ ابن سعيد، المصدر نفسه، ج1 ص364/ المقري، نفس المصدر، ج1 ص442 وج3 ص181 وص380 وج4 ص466/ Rachel Arie, op, cit, p168.
[5] -المقرّي، نفسه، ج3 ص181.



الفصل الثالث:

الحركة الفكرية في الأندلس على عهد المرابطين

(484– 539 هـ/1091– 1144 م)

1 - أوضاع الأندلس قبيل دخولها تحت راية المرابطين.
2 - موقف المرابطين من العلم.
3 - موقف المرابطين من التصوّف وعلم الكلام والفلسفة.
4 - عوامل ازدهار الحركة العلمية بالأندلس في العهد المرابطي.
5 - مظاهر الحركة العلمية في الأندلس على عهد المرابطين.
6 - إسهام البربر في الحركة العلمية بالأندلس المرابطية.

1- أوضاع الأندلس قبيل دخولها تحت راية المرابطين:

سقطت الخلافة الأموية سنة 422هـ/1031م، فآلت ممتلكاتها إلى تركة تقاسمها ملوك الطوائف، الذين كانوا يحكمون شعوبهم بقبضة من حديد، لتحصيل الجباية التي توفر لهم الأموال لقاء صرفها على الجند وملذات الحياة، ودفع إتاوات إلى ملوك النصارى اتقاء لشرّهم.

وقد سيطرت الصراعات على علاقاتهم، حتى أصبح الإسلام قاب قوسين أو أدنى من الاضمحلال، وتمكّن ألفونسو السادس(الأذفونش) من استغلال ذلك لصالحه، فأنشأ دولة موحّدة تضمّ مملكة ليون وكونتية قشتالة[1]، مدّ حدودها إلى الوادي الكبير بعد استيلائه على طليطلة في محرّم 478هـ/1085م.[2]

ونتيجة لهذه الأوضاع المتردّية صار معظم أمراء الطوائف يدفعون الجزية لألفونسو السّادس، وعندما انقطعت بهم الأسباب استنجدوا بإخوانهم المرابطين، الذين لازموا الثغور لدفع العدو[3]، ويعزى تأسيس دولتهم إلى قبيلة لمتونة الصنهاجية، التي عرفت أيضا باسم الملثمين.[4]

وتحرّك وفد من فقهاء الأندلس نحو مراكش، يحمل معه رسالة مكتوبة من المعتمد بن عبّاد إلى الأمير يوسف بن تاشفين، مؤرّخة في غرّة جمادى الأولى سنة 479هـ/1086م[5]، وقد نجح الوفد في إقناعه بمهمّة نجدة مسلمي الأندلس من التيار الصليبي الزّاحف الذي يتهدّدها، وعلى ضوء ذلك لبّى يوسف بن تاشفين دعوة الجهاد دون تردّد، فجاز إلى الجزيرة الخضراء حيث تلقاه المعتمد مرحّبا، لتتحد الجيوش الإسلامية تحت إمرته، وتنطلق إلى غرب بطليوس أين وقعت معركة

---

[1] - أبو عبيد البكري، كتاب المسالك والممالك، ج2 ص912/ الحميري، نفس المصدر، ص483 وص514.

[2] - نفسه، ص395/ المقري، نفس المصدر، ج4 ص352/ ابن الخطيب، نفس المصدر، ج4 ص304/ ليفي بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة: السيد عبد العزيز سالم، ومحمد صلاح الدين حلمي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1990، ص146.

[3] - José Angel Garcia de cortazar la Epoca Medieval, Historia de Espana Dirigida par Miguel Artola, Alianza Editorial, primera edicion: 1998, Madrid, p107.

[4] -سمّوا كذلك لاتخاذهم اللثام. ابن الأبار، الحلة، ج2 ص52/ الناصري السلاوي أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري و محمد الناصري ، دار الكتاب - الدار البيضاء، 1418هـ- 1997م، ج2 ص4/ يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة وتعليق: محمد عبد الله عنان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة، 1359هـ- 1940م، ج1 ص68.

[5] - ورد نص هذه الرسالة عند: مجهول الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة- الدار البيضاء، ط1، 1399هـ- 1979م، ص45-48/ سعدون عباس نصر الله، دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين، دار النهضة العربية للطباعة والنشر- بيروت، ط1، 1405هـ- 1985م، ص70-72.

الزلاّقة(sagrajas)[1] أو(sacralias) في المراجع النّصرانية، التي منّ الله فيها على المسلمين بنصر عظيم وافق يوم الجمعة 12 رجب 479هـ/23 أكتوبر 1086م[2]، واهتزت النفوس بهذا النصر مشرقا ومغربا، ولقب ابن تاشفين بعد هذه الوقيعة بأمير المسلمين[3]، وأوصى رؤساء الأندلس بجمع الكلمة ثم عاد إلى المغرب.

وتراجع الجيش القشتالي بعد هزيمته إلى مرسية وعلى مقربة منها قام ألفونسو السادس ببناء حصن لييط (Aledo)، وعزّزه بحامية من ثلاثة عشر ألف مقاتل، ولمّا أحسّ المعتمد بخطر وشيك الوقوع، استبق الأحداث وعبر بنفسه إلى المغرب طلبا للمساعدة، فجاوز الأمير يوسف الثاني جوازه الثاني سنة 481هـ/1088م[4]، وحاصر الحصن المذكور أربعة أشهر حتى أدركه الشتاء، فآثر الانسحاب تاركا وراءه حامية في الأندلس، وخوفا من استيلاء المسلمين على الحصن أمر ألفونسو بإخلائه وتهديمه[5].

ولم يستفد أمراء الطوائف من أخطاء الماضي القريب، وعادوا من جديد إلى تطبيق سياسة الحديد والنار مع شعوبهم، فأثقلوا كاهل الرّعية بالضرائب، حتى أتت أفواجا منهم – في حصن لييط – شاكين، وقد جعلوا فقهاءهم وسائط[6]، متهمين أمراءهم بالتعامل مع ألفونسو السادس وتقديمهم الجزية له، حتى بعد هزيمته في وقعة الزلاقة، واعتبر العلماء هذا المسلك منافيا للشرع الإسلامي[7] ، وأفتوا بجواز خلعهم وانتزاع الأمر من أيديهم[8]، وأن يبادر إلى خلعهم جميعا بقولهم: " إنّك إن تركتهم وأنت قادر عليهم، أعادوا بقية بلاد المسلمين إلى الروم، وكنت أنت المحاسب بين يدي "[9]، كما وردت فتاوى بعض علماء المشرق كأبي حامد الغزالي (450-

---

[1] - هنري بيريس، نفس المرجع، ص94/ Anwar G. Chegne,op, cit,p72. Pedro Aguado Bleye, Manual de Historia de Espana, vol.I, Madrid, 1963, p586. / شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب: محمد مزالي- البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، فيفري 1983، ج2 ص114.

[2] - مجهول الحلل، ص64/ الحميري، المصدر نفسه، ص287-288/ علي ابن أبي زرع الفاسي، ص149/ ج.س.كولان، الأندلس، لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية: إبراهيم خورشيد وآخرون، دار الكتاب اللبناني- بيروت، دار الكتاب المصري- القاهرة، ط1، 1980، ص132-133.

[3] - ابن أبي زرع، نفسه، ص149.

[4] - نفسه، ص152/ مجهول الحلل، ص66.

[5] - ابن أبي زرع، نفسه، ص153.

[6] - الأمير عبد الله بن بلقين، نفس المصدر، ص127.

[7] - امحمد بن عبود، جوانب من الواقع الأندلسي في القرن 5هـ، مطبعة النور- تطوان، 1987، ص189.

[8] - ابن خلدون، نفس المصدر، ج6 ص249.

[9] - ابن الكردبوس التوزري، تاريخ الأندلس وهو قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، دراسة وتحقيق: أحمد مختار العبادي، في صحيفة: معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلّد 13، 1965-1966، ص107.

505هـ/1058-1111م)، وأبي بكر الطرطوشي[1] (451- 520هـ/1059- 1126م) تؤيّد وتعزّز فتاوى علماء المغرب.

وعلى إثر ذلك جاوز يوسف جوازه الثالث إلى الأندلس سنة 483هـ/1090م[2]، فسلب الملك من الأمير عبد الله بن بلقين الغرناطي وأخيه تميم صاحب مالقة وبعث بهما إلى مراكش[3]، ثم عاد إلى المغرب تاركا مهمّة خلع ملوك الطوائف لعدد من قادته، فاستسلمت إشبيلية للمرابطين في رجب سنة 484هـ/سبتمبر1091م، وتقبّض على المعتمد بن عبّاد ونفي إلى أغمات[4] فأقام بها إلى أن مات، وتتابع القضاء على ملوك الطوائف الذين تساقطوا الواحد تلو الآخر.

وعبر يوسف بن تاشفين عبوره الرابع، الذي أخذ فيه البيعة لابنه أبي الحسن علي بقرطبة سنة 496هـ/1102م[5]، واشترط عليه أن ينشئ جيشا مرابطيا ثابتا قوامه سبعة عشر ألف فارس يوزّعه على سائر القواعد[6]، لاسيما منطقة شرق الأندلس، التي التي وجّه إليها ابن عائشة وسير بن أبي بكر للوقوف في وجه ردمير والبرهانس والقنبيطور بالإضافة إلى أسطول جنوه وبيشة.

وهكذا أذعنت الأندلس لسلطة المرابطين في بضع سنين، ولمّا كانت سنة 500هـ/1106م توفي يوسف بن تاشفين، فخلفه ابنه علي(500-537هـ/1106-1142م)، ثم أعقبه تاشفين بن علي(537-539هـ/1142- 1144م)، الذي شهد عهده فتنة ابن تومرت، التي شجّعت القضاة في الأندلس[7] على الثورة سعيا منهم للوصول إلى سلطة سلطة واهية، في وقت كان فيه الغرب الإسلامي في أمسّ الحاجة للوقوف في وجه الحلف المقدّس القائم بين الفاتيكان والممالك الإسبانية والتنظيمات الصليبية والعسكرية

---

[1] - أبو بكر ابن العربي، كتاب شواهد الجلة، دراسة وتحقيق: محمد يعلى، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي- مدريد، 1996م، ص302-303 وص329- 332/ Anwar G. Chegne, op, cit, p73.

[2] - ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص247/ ابن أبي زرع، المصدر نفسه، ص153/ مجهول الحلل، ص71/ ابن الكردبوس، المصدر والصفحة نفسها وفيه:"سنة 490 جاز أمير المسلمين إلى الأندلس الجواز الثالث" / الناصري السلاوي، المرجع نفسه، ج2 ص52 .

[3] - ابن أبي زرع، نفسه، ص154/ الناصري السلاوي، نفسه، ج2 ص53.

[4] - ابن خاقان، القلائد، ج1 ص95 و100/ ابن أبي زرع، نفسه، ص153/ عبد الواحد المراكشي، نفس المصدر، ص108/ ابن خلدون، المصدر نفسه، ج4 ص203/ ابن خلكان، نفس المصدر، ج7 ص123/ الناصري السلاوي، نفسه، ج2 ص54.

[5] - مجهول الحلل، ص78/ ابن أبي زرع، نفسه، ص156.

[6] - مجهول، نفسه، ص80.

[7] - ابن الخطيب، المصدر نفسه، ص248-264/ José Angel Garcia de Cortazar, op, cit; p110.

بالغرب المسيحي[1]، وظهرت تداعيات ذلك باستيلاء النصارى على المرية سنة 542هـ/1147م[2]، وطرطوشة في يوم الخميس 16شوال 543هـ/1148م[3]، وتلتها لاردة في العام الموالي.

ولم يستطع المرابطون مواجهة الثورة التي انتشرت كالنار في الهشيم على ثلاث جبهات، فعادت الأندلس إلى ما كانت عليه من فرقة وتجزئة آيّام الطوائف، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

2- موقف المرابطين من العلم:

قامت دولة المرابطين على أساس الجهاد في سبيل الله، وهي مسألة لا يختلف فيها اثنان، كما سعت إلى نشر الإسلام في إفريقيا الغربية، واجتهدت في تنقيته من الشوائب لتأسيس مجتمع يعيش بالإسلام وللإسلام، وفوق هذا وذاك تصدّت لتيار الاسترداد المسيحي الجارف على الأندلس، فصانت بيضة الإسلام وحمت الثغور، وحافظت على وحدة المغرب والأندلس طيلة فترة حكمها.

ورغم هذا الوجه المشرّف الذي ظهرت به، لم تسلم من انتقادات الأعداء، الذين كانت غايتهم النيل من سمعتها، وقد تجلّى ذلك بوضوح في نصوص الأقلام المأجورة التي تتزلف إلى الموحدين كابن القطان وعبد الواحد المراكشي، الذي اتّهم المرابطين بالتعصّب للمذهب المالكي وإهمال الكتاب والسنّة، فقال: " ولم يكن يقرب من أمير المسلمين ويحظى عنده إلاّ من علم علم الفروع، أعني فروع مذهب مالك، فنفقت في ذلك الزمان كتب المذهب، وعمل بمقتضاها ونبذ ما سواها، وكثر ذلك حتى نسي النظر في كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم...ودان أهل ذلك الزمان بتكفير كلّ من ظهر منه الخوض في شيء من علوم الكلام ".[4]

وقد وجدت هذه الاتهامات من يتلقفها من بعض رجالات الاستشراق، الذين استهدفوا الحركة العلمية في هذا العهد بسهام مسمومة، كان الدافع إليها التعصب

---

[1] - محمد الأمين بلغيث، الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين، أطروحة دكتوراه دولة غير منشورة- جامعة الجزائر، 1424هـ/2003م، ج1 ص92.
[2] - المقري، نفس المصدر، ج4 ص462/ ابن غالب الأندلسي، نفس المصدر، م1، ج2، ص284.
[3] - ابن الأبار، التكملة، ج1 ص59.
[4] - المعجب، ص131.

الديني والكراهية التي كادت تكون شخصية[1]، فهذا يوسف أشباخ يصرّح بأنّ المرابطين " اضطهدوا كلّ ما عنيت الدولة بتشجيعه من قبل، وطاردوا العلوم الفلسفية والكلامية التي تنكرها التعاليم المرابطية "[2]، كما ذهب ألفرد بال إلى اعتبار حكومة المرابطين مسئولة عن تدنّي الدراسات الدينية، وأنّها متواطئة مع الفقهاء بقوله: " وانحطاط الدراسات الدينية سواء فيما يتعلق بالعقيدة والشريعة، على يد الفقهاء المالكيين بمساندة حكومة المرابطين"[3]، أمّا دوزي فقد بالغ أشدّ المبالغة بوصفه فترة المرابطين بالأندلس بأنّها فترة متبربرة، وعندما تحدّث عن الشعر ذكر بأنّه " انتقل من القوّة وخلوّ البال والخفّة واللهو إلى الجبن والجفاف والحزن والتديّن، وكانت هذه الأزمان من السّوء بحيث أخذت ترتفع عن الأرض إلى السماء ".[4]

ويمكننا أن نتفهّم هذه الأحكام الجائرة الصّادرة عن مستشرقين حاقدين، إلاّ أنّه من الغريب أن نجد عددا من الدراسات العربية الحديثة، نحت نحوهم فلم تمحّص فيما استندت إليه من نصوص، وبدل أن تنصف المرابطين غمطت حقهم، ومن أمثلة ذلك ما قاله محمد عبد الله عنان: " لم تكن الدولة المرابطية بطبيعتها البدوية الخشنة، تميل إلى الأخذ بأساليب التمدّن الرّفيعة، أو تتجه إلى رعاية العلوم والآداب... ومن ثمّ فإنّه يمكن القول بأنّ الحركة الفكرية بالأندلس، لبثت خلال العهد المرابطي في حالة ركود نسبي، ولم تحظ باندفاع خاص، أو بازدهار يلفت النظر، بل يمكن أن يقال أيضا، إنّ ما عمدت إليه الحكومة المرابطية من مطاردة البحوث الكلامية والفلسفية، كان له أثره في صدّ الحركة الفكرية وفي تأخرها[5]، بينما حكم السعيد الورقي حكما قاسيا على الدولة المرابطية حينما نفى تشجيعها للحركة الفكرية، حيث قال: " والواقع أنّ الحياة الثقافية عامّة في ظلّ المرابطين لم تلق تشجيعا ذا بال من الحكّام"[6]، في حين يرى

---

[1] - محمود علي مكي، وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1424هـ-2004م، ص4.

[2] - يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان، ط2، مؤسسة الخانجي، القاهرة، 1958م، ص483.

[3] - ألفرد بال، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط3، 1987م، ص242.

[4] - بالنثيا، نفس المرجع، ص20/ حسين مؤنس، سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيّامهم في الأندلس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، المجلّد الثاني، 1954، ص57-57/ Levi- Provençal: Réflection sur l' Empire Almoravide au début du XII siècle, Cinquantenaire de la Faculté des lettres d'Alger, (1881-1931), Alger, 1932, p314.

[5] - محمد عبد الله عنان، نفس المرجع، ص438.

[6] - السعيد الورقي، في الأدب الأندلسي، الدار المصرية، الإسكندرية، (د.ت)، ص52.

جودت الرّكابي أنّ عجلة الحركة العلمية توقفت بمجيء المرابطين، لشدّة تعصبهم وتزمّتهم، فهم قوم لا يعرفون إلاّ الحرب وخشونتها، ولذلك لم تجد دولة الفكر والأدب في ظلّهم مرتعا خصبا.[1]

ولعلّ هذه الآراء استندت فيما أصدرته من أحكام على رسالة الشقندي التي فاضل فيها بين العدوتين الأندلسية والمغربية، حيث أنحى باللائمة والذمّ على أمراء المرابطين، فقال: " وبالله إلاّ سميت لي بمن تفخرون قبل هذه الدعوة المهدية: أبسقوت الحاجب، أم بصالح البرغواطي، أم بيوسف بن تاشفين، الذي لولا توسط ابن عبّاد لشعراء الأندلس في مدحه، ما أجروا له ذكرا، ولا رفعوا لملكه قدرا، وبعدما ذكروه بواسطة المعتمد، فإنّ المعتمد قال له، وقد أنشدوه: أيعلم أمير المسلمين ما قالوه ؟قال لا أعلم، ولكنّهم يطلبون الخبز".[2]

والمتأمّل بعين فكر في هذه الرسالة يدرك أنّه لا يمكن الاعتماد عليها للحكم على علاقة المرابطين بالشعر وتقديره وتذوّقه، ذلك أنّ صاحبها يفخر فيها بالأندلس على برّ العدوة المغربية، وفي موقف المفاخرة والمباهاة تهجين وتزيين، ومن ثمّ فإنّ الأمر لا يعدو أن يكون نادرة تقال على سبيل الضحك والتسلية، كما أنّها خاصة بيوسف بن تاشفين، الذي لم يكن يحسن العربية.[3]

ومع احترامي الكبير لهذا التحليل، فإنّني أميل إلى أنّ يوسف بن تاشفين جعل من الجهاد أولوية الأولويات، ومن ثمّ كان يرى أنّ أكثر ما يجري على ألسنة الشعراء نفاق لا يعبّر بصدق عن تصرّفات الكثير من الممدوحين، ولا يهمّ المادح من الشعراء إلاّ ما يحصل عليه لقاء ما ينظم من شعر يتكسّب به، وكأنّي بيوسف بن تاشفين يقيس الشعراء بمقياس القرآن في قوله تعالى: [**وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ**][4]، وإن كان القرآن استثنى طائفة المؤمنين من الشعراء الذين يعملون الصالحات، ويجري على ألسنتهم ذكر الله ويقومون بأعباء الجهاد ، وهذا النّوع قليل ما هم.

---

[1] - جودت الركابي، في الأدب الأندلسي، دار المعارف، القاهرة، 1970م، ص55.
[2] - المقري، نفس المصدر، ج3 ص191/ ابن حزم وابن سعيد والشقندي، نفس المصدر، ص33/ محمد عبد الله عنان، نفسه، ص439.
[3] - إحسان عبّاس، نفس المرجع، ص79.
[4] - سورة الشعراء، الآية 224-225-226.

وحتى إن سلّمنا بصدق ما قاله الشقندي عن الأمير يوسف بن تاشفين، فإنّ ذلك لا يصدق على خلفائه و على أمراء المغاربة الذين عاشوا في الأندلس وتشبّهوا بالأندلسيين في تقريب الشعراء والأدباء، وقد أشار الأستاذ غومس إلى هذه النقطة بقوله: "بيد أنّ الشعر الأندلسي لم يمت في عصر المرابطين، وكلّ ما حدث أنّه كيّف نفسه، بما يلائم الظروف الجديدة التي أحاطت به، بيد أنّه من الإنصاف أن نقرّر أنّ خلفاء يوسف بن تاشفين لم يلبثوا أن استسلموا لسلطان الثقافة الأندلسية القاهر، وأصبحوا أقرب إلى الأندلسيين منهم إلى الأفارقة، فحفلت دواوين إنشائهم بالناثرين والكتاب ممّن تخلفوا عن عصر الطوائف، ثمّ عدّ الأستاذ غومس بعض الكتاب والشعراء الذين عاشوا في ظلّ المرابطين".[1]

وردّا على تهجمات المستشرقين ومن تبعهم في تهكّمهم على الحياة الأدبية في عهد المرابطين، يذكر عبد الهادي التازي في تقديمه لكتاب " المن بالإمامة لابن صاحب الصلاة " أنّ ما يوجد ضمن هذا المخطوط من منظوم ومنثور أيّام الموحدين لممّا يؤكد أنّ تلك التهجمات كانت خاطئة، حيث أنّ هذا التراث – كما يعتقد – ليس إلاّ استمرارا لازدهار أدبي عرف الحياة في أحضان الدولة الذاهبة ".[2]

وإذا كان مجد شاعر البلاط أو الشاعر الذي يبلغ منصبا كبيرا في الدولة تقديرا لشعره قد ضاع، فإنّ سائر الشعراء لم يتغيّر بهم الحال كثيرا، فقد حفل عصر المرابطين بعدد كبير من الشعراء أبرزهم ابن خفاجة وابن الزقاق والأعمى التطيلي وابن بقي، وأنّ الموشح بلغ فيه الذروة، وأنّ الزّجل على يد ابن قزمان اكتمل صورة وموضوعا، ومن هذا يحقّ لنا أن نقول إنّنا في دراستنا للظاهرة الأدبية يجب أن لا نرى في تشجيع الأمراء للأدب سرّ العلّة الكبرى في ازدهاره.[3]

أمّا عصمت عبد اللطيف دندش، فقد ذكرت أنّه استقرّت في عقول العديد صورة غير واقعية عن العصر المرابطي، فصوّروا أمراءه بأنّهم أجلافا متعصّبين طغت جموعهم على الأندلس، فقضت على حضارتها، ووقفت في وجه الفلسفة،

---

[1] - إحسان عبّاس، المرجع نفسه، ص79-.

[2] - ابن صاحب الصلاة عبد الملك (594هـ/ 1198م)، تاريخ المنّ بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمّة وجعلهم الوارثين، تقديم عبد الهادي التازي، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1383هـ- 1964م، ص58.

[3] - إحسان عبّاس، المصدر نفسه، ص80.

ومنعت تدريس علم الكلام، كما اتهم فقهاء هذا العصر بالجمود وعدم التجديد[1]، والحقيقة التي لامناص من ذكرها هي أنّ كلّ علم نال حظه في البروز والظهور، بما في ذلك العلوم العقلية ، التي حظيت بالتشجيع ووصلت إلى درجة كبيرة من التخصّص والتجويد، حتى أنّنا نجد أنفسنا أمام عدد من العلماء[2]، والشاهد على صحّة ما ذكرته نصّ في غاية الدّقة والوضوح لعبد الواحد المراكشي، ورد فيه أنّ أمير المسلمين يوسف بن تاشفين " انقطع إليه من الجزيرة من أهل كلّ علم فحوله، حتى أشبهت حضرته حضرة بني العبّاس في صدر دولتهم".[3]

وفي ختام كلمتها عن موقف المرابطين من علم الكلام والفلسفة أشارت - بعد أن ذكرت عددا من الفلاسفة المنتمين للعصر المرابطي – إلى أنّ ابن طفيل (494-581هـ/1100- 1185م)[4] يجب أن تكون نسبته أكثر إلى عصر المرابطين منه إلى الموحدين، وحجتها في ذلك أنّه لم يلتحق بخدمة الآخرين إلاّ بعد أن تجاوز الخمسين من عمره، وكان قبل ذلك قد ألف كتبه في الفلسفة على عهد المرابطين، وعندما التحق بخدمة عبد المؤمن وأولاده كانت صفة الطبيب الوزير هي الغالبة على عمله.[5]

وإنّه من الأهمّية بمكان أن نشير في هذا المقام إلى رأي السيد عبد العزيز سالم الذي قال: " وهكذا ساهمت المرية في الحركة العلمية، وأنجبت عددا من كبار مفكري الأندلس، وكان عصر المرابطين هو العصر الذي ازدهرت فيه ازدهارا شمل كلّ مناحي الحياة فيها...فمن الناحية الأدبية نجد أنّ الدراسات الأدبية والعلمية خاصّة ما يتعلق منها بالدين كالتفسير والقراءات والحديث والتصوّف بلغت ذروتها في هذا العصر... وليس ذلك إلاّ دليلا حاسما للدّور الذي لعبه المرابطون في دفع عجلة الحضارة الأندلسية، وهو أمر كانوا يجحدونه حتى عهد قريب".[6]

---

[1] - عصمت عبد اللطيف دندش، أضواء جديدة على المرابطين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1991، ص83.
[2] - نفسه، ص84-85.
[3] - المعجب، ص123.
[4] - هو أبو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن طفيل القيسي الأندلسي. ابن الخطيب، الإحاطة، ج2 ص334-336/ عبد الواحد المراكشي، نفس المصدر، ص176-179/ إدورد فنديك، إكتفاء القنوع بما هو مطبوع، دار صادر، بيروت، 1896، ص193/ البغدادي إسماعيل باشا، هدية العارفين، ج6 ص98/ الزركلي، نفس المرجع، ج6 ص249 / قدري حافظ طوقان، المرجع السابق، ص389-393.
[5] - دندش، نفسه، ص97.
[6] - السيّد عبد العزيز سالم، نفس المرجع، ص185-186.

وخاتمة هذه الرّدود ما ذكره محمد إبراهيم الفيّومي، الذي عبّر عن موقفه بكلّ عقلانية قائلا: " أمّا ما نلاحظه على هذا الثبت الحافل من المفكّرين والعلماء الأندلسيين، الذين ازدهر بهم العصر المرابطي في مختلف ميادين العلوم والآداب، ومنهم عبقريات بارزة يزدان بها تاريخ الحركة العقلية والأندلسية، فيحمل على كثير من التأمّل، وإنّه ليغدو من الصعب إذا ما استعرضناه في شيء من الرؤية، أن نقول إنّ الحكم المرابطي قد جنى بأساليبه الرّجعية على سير الحركة الفكرية الأندلسية، وعاقها عن التقدّم والازدهار، وكلّ ما يمكن أن يقال في ذلك هو ما اتخذه المرابطون من إجراءات للحجر على الدراسات الكلامية والشرعية والفلسفية، وتوجيهها إلى وجهاتهم الخاصّة، ومطاردة كتب الأصول، قد يكون له أثره في سير هذه الدراسات، وإن كان لا يحق لنا أن نبالغ في تقدير هذا الأثر".[1]

وتعليقا على هذا الرأي ينبغي الإشارة إلى عبارة غامضة في حاجة إلى التوضيح دفعا للبس، ألا وهي " توجيه الدراسات وفقا لوجهاتهم الخاصّة "، والذي أراه أنّ هذا التوجيه هو الوجهة السّليمة والصّحيحة التي تنسجم مع الحق، الذي ساقهم إليه اجتهادهم بما يوافق الشرع، لأنّهم كانوا يزِنون الأمور بميزان الشرع.

والاستنتاج الذي يمكن الخروج به ممّا تقدّم، فأنّه بالعودة إلى كتب التراجم التي عاصرت حكم المرابطين، يتبيّن بالدّليل القاطع والحجّة الدّامغة، خلاف كلّ ما كان يروّج ضدّ هذه الدّولة من افتراءات لا يقبلها العقل، بحيث حفل عهدها بطلب العلم بكلّ صنوفه، وانتشر في ربوعها أئمّة القرآن وأهل الحديث والفقه والأدب وغيرهم، واشتهر منهم الكثير، وعنهم أخذ آلاف الطلاّب رغم قصر مدّة حكم هذه الدّولة.

3-موقف المرابطين من التصوّف وعلم الكلام والفلسفة:

كان المرابطون يعتبرون بساطة العيش والاجتهاد في طلب العلم والعمل على نشره والجهاد في سبيل الله تصوّفا سنّيا على آثر السلف الصّالح، وهو ما أثر عن عدد من الشخصيات البارزة في تاريخ هذه الدّولة، كالشيخ الفقيه وجاج بن زولو[2] وتلميذه

---

[1] - محمد إبراهيم الفيّومي، تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الجيل، بيروت، ط1، 1417هـ-1997م، ص166.

[2] - من أهل السوس الأقصى، ورحل إلى القيروان طلبا للعلم، وعقب عودته منها بنى دارا سمّاها دار المرابطين لطلبة العلم وقرّاء القرآن. ابن الزيّات يوسف بن يحي التادلي، التشوّف إلى رجال التصوّف، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1427هـ- 2007م، ص73-74.

عبد الله بن ياسين[1] وأمير المسلمين يوسف بن تاشفين وابنه علي، كما يعدّ الإمام أبو علي الصدفي أصدق مثال لهذا النوع من التصوّف، باعتباره جمع بين العلم والتعليم والجهاد.[2]

وبالموازاة مع هذا النوع من التصوّف ظهر تيار آخر مزج بين التصوّف والفلسفة وعلم الكلام[3]، وكان من أبرز وجوهه في عصر المرابطين بالأندلس: ابن العريف[4]، وابن برجان[5]، وأبو القاسم بن قسي.[6]

وقد وقف علماء العصر لهذا النوع من التصوّف بالمرصاد، وأنكروا عليهم أشياء كقولهم بالفيض أو الإشراق والحلول والعشق[7]، فابن العربي يصف " إطلاق الصّوفية العشق على الله تجاوز عظيم واعتداء كبير، ولولا إطلاقه تعالى المحبّة ما أطلقناها فكيف نتعدّاها إلى سواها من ألفاظ المجان وليس لهذا أصل في الشريعة"[8]، وأصبح كلّ ما له علاقة بالعلوم المذكورة يمثل شبهة قد تلصق الزّندقة والكفر بصاحبها، ومن هذا المنطلق أوصى الفقيه أبو الوليد الباجي ولديه قائلا :" إيّاكما وقراءة شيء من المنطق وكلام الفلاسفة، فإنّ ذلك مبني على الكفر والإلحاد والبعد عن الشريعة والإبعاد "، ويواصل كلامه إلى أن يقول: " لذلك أنكر جماعة العلماء

---

[1] - عبد الله بن ياسين بن مكو الجزولي المصمودي (ت451هـ/1059م)، الزعيم الأول للمرابطين وجامع شملهم وصاحب الدعوة الإصلاحية فيهم/ ابن خلدون، نفس المصدر، ج6 ص243-244/ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8 ص328-329/ ابن الوردي زين الدين عمر بن مظفر، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ- 1996م، ج1 ص345/ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج31 ص80-82/ القلقشندي، نفس المصدر، ج5 ص163 و184/ الناصري السلاوي، نفس المرجع، ج2 ص7-12/ الزركلي، المرجع نفسه، ج4 ص144.

[2] - أستشهد في موقعة قتندة سنة 514هـ- 1120م. القاضي عياض، الغنية، ص131.

[3] - قال ابن خلدون: " وما يجب أن يعتقد ممّا لايعتقد، وهذه هي العقائد الإيمانية في الذات والصّفات وأمور الحشر والنعيم والعذاب والقدر والحجاج عن هذه بالأدلّة العقلية هو علم الكلام". المقدّمة، ص550.

[4] - ستأتي ترجمته لاحقا ضمن علماء البربر في هذا الفصل.

[5] - أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن بن أبي الرجال اللخمي المعروف بابن برجان الإشبيلي (ت536هـ/1141م) شيخ الصوفية ومؤلف شرح الأسماء الحسنى وله تفسير القرآن لم يكتمل. ابن الأبار، نفس المصدر، ج3 ص21/ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج20 ص72-73/ ابن خلّكان: نفس المصدر، ط1، 1971، ج4 ص236-237/ ابن شاكر الكتبي محمد بن أحمد ، فوات الوفيات، تحقيق: علي محمد بن يعوض الله و عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 2000م، ج1 ص661/ الناصري السلاوي، نفسه، ج2 ص76-77.

[6] - أحمد بن قسي (ت546هـ/1151م)، مدّعي الهداية، صاحب كتاب "خلع النعلين"، ثار على المرابطين في آخر دولتهم، وعرفت ثورته بثورة المريدين. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص248-252/ علي بن خليفة الحسيني الشريف المساكني، فهرسة الشيخ علي بن خليفة المساكني (كان حيا سنة 1131هـ/ 1719م)، تحقيق: محمد محفوظ، دار الغرب الاسلامي – بيروت، ط1، 1992، ص41-42.

[7] - سعيد أعراب، مع القاضي أبي بكر بن العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1407هـ- 1987م، ص 154.

[8] - أبو بكر بن العربي محمد بن عبد الله، العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محب الدين الخطيب ومحمود مهدي الاستانبولي، دار الجيل- بيروت، ط2، 1407هـ- 1987م، ص16.

المتقدّمين والمتأخّرين قراءة كلامهم لمن لم يكن من أهل المنزلة والمعرفة به خوفا عليهم ممّا خوّ فتكما منه "[1]

وفي هذا الإطار نجح نفر من علماء قرطبة في إقناع أمير المسلمين علي بن يوسف في استصدار أمر بإحراق " إحياء علوم الدين "[2] سنة 503هـ/1109م، وقد ربط عبد الواحد المراكشي بين محاربة العلماء لعلم الكلام وقضية الإحراق[3]، في حين حين أعزى صاحب إسماعيل بن الأحمر ذلك إلى قول الفقهاء بما في الإحياء من الأحاديث الموضوعة التي لا أصل لها[4]، وذهب أبو القاسم محمد بن يوسف بن خلصون[5] في رسالة له إلى سرد رأي بعض علماء العصر المرابطي في كتب أبي حامد الغزالي، كالفقيه الحكيم أبي بكر بن الطفيل، والفقيه أبي الوليد بن رشد، الذي قال: " إنّ أبا حامد طمّ الوادي على القرى، ولم يلتزم طريقة في كتبه، فنراه مع الأشعرية أشعريا، ومع المعتزلة معتزليا، ومع الفلاسفة فيلسوفا، ومع الصّوفية صوفيا "، ثمّ أصدر حكمه بشأن ذلك فقال: والذي يجب على أهل العلم، أن ينهوا الجمهور عن كتبه، فإنّ الضرر فيها بالذّات، والمنفعة بالعرض".[6]

ويبيّن ابن خلصون أنّ كتب الغزالي في غير التصوّف كانت غاية في النّبل والنباهة، وأنّ الضرر بالعرض الذي ذكره ابن رشد إنّما يوجد في كتبه التي ذهب فيها مذهب التصوّف، ويشير إلى أنّ الفقيه أبا بكر الطرطوشي[7](ت520هـ/1126م) نبّه في كتابه " مراقي العارفين" على ذلك بقوله:" وقد دخل على السّالكين ضرر عظيم من كتب هذا الرجل الطوسي، فإنّه تشبّه بالصّوفية ولم يلحق بمذاهبهم، وخلط مذاهب

---

[1] - أبو الوليد الباجي سليمان بن خلف، النصيحة الولدية، وصية أبي الوليد الباجي لولديه، تحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد، دار الوطن- الرياض، ط1، 1417هـ، ص18.

[2] - ابن القطان المراكشي أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط1، 1990، ص70/ مجهول الحلل الموشية، ص104/ ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت، ط2، 1400هـ- 1980م، ج4 ص59/ محمد إبراهيم الفيومي، المرجع نفسه، ص186/ محمد محمود عبد الله بن بيّة، الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين، دار الأندلس الخضراء - جدّة، دار ابن حزم- بيروت، ط1، 1421هـ- 2000م، ص124.

[3] - المعجب، ص131.

[4] - إسماعيل بن الأحمر، بيوتات فاس الكبرا، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص33.

[5] - من أعلام النصف الأول من القرن 6هـ، كان كاتبا بليغا، شاعرا مجيدا وفقيها أصوليا، وتواليفه كثيرة. ابن الخطيب، الإحاطة، ج3 ص194-202.

[6] - ابن الخطيب، المصدر نفسه، ج3 ص201.

[7] - اشتهر أكثر بمؤلّفه " سراج الملوك ". ابن خلّكان، المصدر نفسه، ج4 ص262-265/ ابن بشكوال، نفس المصدر، ج2 ص449-450/ ابن سعيد، المغرب، ج2 ص424.

الفلاسفة بمذاهبهم، حتّى غلط النّاس فيها"[1]، ويصف الطرطوشي كتاب الإحياء " بأنّه شحن بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا أعلم كتابا على وجه بسيط الأرض أكثر كذبا على الرّسول صلّى الله عليه وسلّم منه ".[2]

ورغم معارضة القاضي عياض لما جاء في الإحياء ممّا تقدّم ذكره، فإنّه لم يكن راضيا عن عملية حرقه بقوله: " لو أختصر هذا الكتاب واقتصر على ما فيه من خالص العلم لكان كتابا مفيدا "[3]، ويذكر ابن الزيّات أنّ أبا الفضل يوسف بن محمد المعروف بالنحوي كان يعارض قرار الحرق وأن يحلف الناس بالإيمان المغلظة أنّ الأحياء ليس عندهم، فأفتى" بأنّها لا تلزم، وكان ينتسخ الإحياء في ثلاثين جزءا، فإذا دخل شهر رمضان قرأ في كلّ يوم جزءا ".[4]

وفي الختام، أتصوّر أنّ ما ذهب إليه علماء المرابطين، في حمل النّاس على التشبّث بالمذهب المالكي - وإن كان البعض قد يراه رؤية أحادية وحجرا على العقول وتعطيلا للتنوّع الفكري – كان يهدف إلى وحدة الصّف والكلمة وقطع الطريق أمام كلّ فتنة محتملة الوقوع، فما فائدة تنوّع ظاهره الازدهار الفكري وباطنه من قبله التشتت والتشرذم والصراعات التي تعصف بالدّولة وتهوي بها إلى السقوط والانهيار.

4- عوامل ازدهار الحركة العلمية بالأندلس في العهد المرابطي:

لم ينقطع شغف الأندلسيين بالتعلّم وحبّهم للعلم وأهله، وتواصل العطاء الفكري والنبوغ الثقافي في ظلّ الدّولة اللّمتونية، ومن أبرز العوامل التي ساعدت على ذلك ما يلي:

1.4. تشجيع الدّولة للحركة العلمية: رغم أنّ الدّولة المرابطية كانت متفرّغة للجهاد أكثر من أيّ شيء آخر، إلاّ أنّ ذلك لم يمنع أمراءها من الاهتمام بالجانب الفكري والعمل على تشجيعه بدون إسراف في أموال المسلمين التي كانوا في أمسّ الحاجة

---

[1] - ابن الخطيب، نفسه، ج3 ص202.
[2] - الونشريسي أبو العبّاس أحمد بن يحي(ت914هـ/1508م)، المعيار المعرب والجامع المغرب في فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق: جماعة من الباحثين، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، الرباط، 1981، ج12 ص185.
[3] - محمد بن عياض، التعريف بالقاضي عياض، تحقيق: محمد بن شريفة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، الرباط، 1983، ص106.
[4] - التشوّف، ص78.

إليها، لتجهيز الجيوش كلّما نادى مناد الجهاد، ولا تقتير على أهل العلم والأدب، الذي من شأنه أن يجعل بضاعتهم مزجاة.

ويذكر المراكشي بشأن الأمير يوسف بن تاشفين وولده عليّ أنّهما كانا من رعاة العلم وأهله، حيث يقول:" واجتمع له ولابنه من بعده من أعيان الكتّاب وفرسان البلاغة ما لم يتّفق اجتماعه في عصر من الأعصار"[1]، ويشير ذات المصدر في موضع آخر إلى أنّ علي بن يوسف " لم يزل من أوّل إمارته يستدعي أعيان الكتّاب من جزيرة الأندلس، وصرف عنايته إلى ذلك حتى اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك ".[2]

والعبرة المستفادة من هذين النّصين تؤكّد بكلّ وضوح أنّ اجتماع أهل العلم في بلاط المرابطين بهذه الكثرة يقتضي وجود عناية كبيرة بمستوى جم تواجدها عندهم.

وأورد ابن عذاري في بيانه أنّ علي بن يوسف كان يقدّر الشعر والشعراء، حيث كان هؤلاء لا يفوّتون فرصة عبوره إلى الأندلس فيتسابقون إلى مدحه " فيجزل لهم العطاء ويقضي لمن كان ذا إرب إربه ويسني لكلّ ذي مطلب مطلبه ".[3]

ولم يشذ بقية أمراء الدّولة عن القاعدة فكانوا يشجعون العلم ويكلئون أهله بالعناية، وقد ألف ابن خاقان كتابه الموسوم ب" قلائد العقيان" برسم الأمير أبي إسحاق إبراهيم بن تعيشت[4]، ليزفه إليه، ويؤكّد ذلك في مقدّمة كتابه حيث يقول:" ولم يزل شخص الأدب وهو متوار وزنده غير وار أفقه، وإعادة رونقه، فبعث من الأمير الأجل أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين ملكا عليا غدا للبّة المجد حليّا .. وجدّد لأهلها آمالا ناهيك به من ملك عال، ناظم لأشتات المعالي"[5] ،وقد ألفّ حوله العلماء والأدباء لأريحيته ورقة حاشيته، ومدحه الشعراء وأثنوا عليه.[6]

---

[1] - المعجب، ص123.
[2] - نفسه، ص132.
[3] - ابن عذاري، نفس المصدر، ج4 ص48.
[4] - هو ابن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، وكانت أمّه سوداء، وقد ولّي على سبتة ثم إشبيلية ما بين 511 و516هـ/1117 و1122م، وتوفي سنة 528هـ/1133م. ابن عذاري، نفسه، ج4 ص78 و106/ مجهول، مفاخر البربر، تحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق، الرباط، ط1، 2005م، ص190.
[5] - ابن خاقان، نفس المصدر، ج1 ص45.
[6] - عبد الوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي، المطبعة الملكية- الرباط، 1399هـ- 1979م، ج1 ص57.

كما كان الأمير أبو بكر بن تيفلويت[1] من رعاة الأدب، واستوزر الحكيم الشهير ابن باجة، الذي اختصّ به فلم يكن يفارق مجلسه، وله في وفاة الأمير أبي بكر شعر يرثيه فيه[2]، ومن أخصّ الشعراء الذين تشبّثوا بالأمير ابن تيفلويت الشاعر ابن خفاجة، الذي له فيه مدائح[3] تدلّ على حظوته عنده.

أمّا الأمير أبو بكر بن مزدلي اللمتوني[4]، فالظاهر أنّه كان إلى جانب اتّصافه بالشجاعة النّادرة، مولعا بالأدب آخذا بضبع الشعراء والكتّاب، فقد ذكر ا لحسن ن عبد الله الأشيري في كتابه " ظم اللآلي في فتوح الأمر العالي"، أنّ رفيع الدّولة بن محمد المعتصم ابن صمادح كان أثيرا عنده، وهو وال بتلمسان سنة 539هـ/144ام ، وكان معه ابن أخيه أبو يحي بن عز الدّولة بن صمادح، وكلا الرّجلين كان من بيت الإمارة ومن الأدباء.[5]

وممّا تقدّم نخلص إلى نتيجة مفادها أنّ الدّولة المرابطية كانت على العكس ممّا قيل عنها، آخذة بأسباب العلم وتشجّع على انتشاره وتقرّب أهله، رغم الفترة القصيرة التي أحكمت فيها سيطرتها على الأندلس، والتي لم تتعدّى أربعة عقود من الزمن (500-539هـ/1106-144ام)، تخللتها من حين لآخر محاولات الاستيلاء على الأجزاء الشمالية للأندلس من فبل مملكة قشتالة وأرغون النصرانية، الأمر الذي فرض على المرابطين الطابع الجهادي أكثر من الطابع الحضاري، وكان من حتميات ذلك عدم استقرار ولاّتها لفترة طويلة، حيث استدعى ذلك تغيير عدد كبير منهم في وقت قصير، وكان من الضروري حينئذ أن يكون هؤلاء أهل حرب أكثر منهم أهل علم لمناجزة العدو والمحافظة على وحدة الدّولة المرابطية بالمغرب والأندلس.

---

[1] - كان عاملا لعلي بن يوسف على مرسية سنة 508هـ/1114م وغزا برشلونة وخرّبها، ثم ولي على بلنسية وطرطوشة وسرقسطة وتوفي سنة 510هـ/116ام. ابن أبي زرع، نفس المصدر، ص161/ مجهول مفاخر البربر، ص192.

[2] - ابن الخطيب، المصدر نفسه، ج1 ص218- 222.

[3] - ديوان ابن خفاجة، ص232-234 وص299-300 وص310 / إحسان عبّاس في هامش البيان المغرب المراطي، ج4 ص61.

[4] - قائد مرابطي ولي إشبيلية سنة 539هـ/144ام ثم تلمسان وتوفي في نفس السنة بوهران بعد معركة 26 رمضان. ابن عذاري، نفسه، ج4 ص107/ مجهول، نفسه، ص191.

[5] - ابن الأبّار، الحلّة، ج2 ص92/ ابن عذاري، ج4 ص107/ عبد الوهاب بن منصور، المرجع نفسه، ج1 ص232- 233.

2.4. التعليم: لم يتغيّر حال التعليم على ما كان عليه في عهد الطوائف، وقد بيّن أبو بكر بن العربي آراءه في التربية والتعليم التي تنطبق على العهدين السابق واللاحق[1]، وقد تحدّث عن طريقته في التعليم من خلال عدد من مؤلفاته منها: "ترتيب الرّحلة للترغيب في الملة" و" العواصم من القواصم" و" سراج المريدين" وكتاب " آداب المعلّمين" وفي كتابه " مراقي الزّلف"، الذي هو في حكم المفقود آراء تربوية فذة، نقلها عنه ابن عرضون[2]، وهي تعرض لنا كيفية تعليم الصبيّ، ومسئولية الوالي والمؤدّب في تنشئته على حبّ الخير والصلاح.[3]

وكان تلقين العلوم للمتعلّمين يأخذ في الحسبان العلاقة بين عمر المتعلم ونوعية التعليم المقدّم إليه بحيث يراعى فيه على ما ذكر ابن خلدون "التدرّج شيئا فشيئا وقليلا قليلا "[4]، وعلى عادة أهل الأندلس فإنّ مواد التعليم انحصرت أساسا في علوم اللغة وعلوم الشريعة وعلى رأسها فقه مالك الذي أرسى دعائمه أمراء الدّولة الأموية ورسّخ معالمه أمراء الدّولة اللمتونية، وكان الجاه والوجاهة وبلوغ أعلى المراتب في المجتمع إنّما تدرك بفهم أصوله وحفظ فروعه.

3.4. المؤسسات التعليمية: لم تتغيّر مواطن تلقي العلم بتغيّر الحكام والدّول، وقد شملت المساجد والرّباطات وأماكن التدريس الخاصّة.

أ)- المساجد: ظلّ المسجد الجامع بقرطبة جامعا وجامعة لتلقي العلوم والمعرفة، وأشهر من درّس فيه على عهد المرابطين أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الجدّ (ت520هـ/1126م)، الذي كان قاضي الجماعة بقرطبة وصاحب الصلاة فيها، وفيها نشر كتبه وتواليفه ومسائله وتصانيفه[5]، وأبو عبد الله محمد بن أصبغ (ت536هـ/1141م) الذي درّس وأسمع الحديث بمسجد قرطبة الجامع إلى وفاته[6] ، كما كما كانت مساجد المدن الكبرى الأندلسية هي الأخرى مركزا للعلم في هذا العصر،

---

[1] - الفصل الثاني من المذكرة قيد الدراسة، ص 79.

[2] - ابن عرضون أبو العباس أحمد بن الحسن بن يوسف (ت992هـ/1584م)، قاض من فقهاء المالكية، وهو مغربي من أهل شفشاون، له كتب، منها " اللائق لعلم الوثائق" في الفقه، و" آداب الزواج وتربية الولدان ". الزركلي، نفس المرجع، ج1 ص112/ يوسف إليان سركيس، معجم المطبوعات العربية والمعرّبة، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي- القاهرة 1928م، ج1 ص180.

[3] - سعيد أعراب، المرجع نفسه، ص161-162.

[4] - ابن خلدون ، نفس المصدر، ج1 ص734.

[5] - ابن بشكوال، نفس المصدر، ج2 ص450/ النباهي، نفس المصدر، ص130.

[6] - ابن بشكوال، نفسه، ج2 ص456-457.

وعلى سبيل المثال فقد شدّت الرّحال إلى مسجد إشبيلية بقدوم أبي بكر بن العربي إليه بعد عودته من رحلته إلى المشرق بعلم غزير، وكان ابن بشكوال أحد الذين سمعوا منه كثيرا من روايته وتواليفه بإشبيلية وقرطبة[1]، أمّا أبو الحسن علي أحمد بن عبد الرحمن المعروف بالقصبي لسكن سلفه قصبة المرية (ت540هـ/1145م)، فقد تصدّر للإقراء وإسماع الحديث بجامع المرية، وتولى الصلاة بها، وأخذ النّاس عنه وكان جيّد الضبط.[2]

ب)- الرّباطات: كانت عبارة عن حصون تشيّد بهدف الإعداد العسكري والروحي، لرجال نذروا أنفسهم دفاعا عن حوزة المسلمين، بمناطق الثغور المتاخمة للعدوّ، وبمرور الزمن باتت مشاركتها فعّالة في الحياة العقلية، حيث كان للرباط أوّل الأمر طابعه الحربي والديني، إلاّ أنّه أصبح – لاحقا – قبلة تحصيل العلم والثقافة.[3]

وبحكم تعرّض الأندلس لغارات وهجمات النصارى، فقد كانت الرباطات ترصّع سواحلها وثغورها، وهي يومئذ أرض جهاد، ومن الرباطات التي كانت لها شهرة بالأندلس رابطة روطة، ورباط طليطلة، وبطليوس، ورباط شنترين، والرابطة المعروفة برابطة من أحضر ببلنسية.[4]

ج)- أماكن التدريس الخاصّة: يقصد بها الحوانيت والبيوت والمنيات – ويمكن إعتبارها حالات استثنائية – وكان التدريس بها يتمّ بنسبة أقلّ بكثير من حيث التنوّع في المستوى والكثرة في العدد مقارنة بحلقات المساجد والرباطات، ومن ذلك مثلا أنّ علي بن محمد بن علي بن هذيل البلنسي (471- 564هـ/ 1078- 1168م)، وهو من الذين انتهت إليهم رياسة القرّاء بشرق الأندلس في هذا العصر، كان يدرّس طلبته بضيعة لمليلة من جزء الرّصافة بغربي بلنسية.[5]

---

[1] - الصلة، ج2 ص459-460.

[2] - ابن الأبّار، التكملة، ج1 ص48.

[3] - حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1968م، ج4 ص438.

[4] - محمد الأمين بلغيث، نفس المرجع ، ج1 ص144.

[5] - ابن الأبّار، المصدر نفسه، ج3 ص202/ ابن عبد الملك المراكشي، نفس المصدر، س5 ق1 ص370.

وفي ترجمته للفقيه القاضي الشهيد أبي عبد الله محمد بن أحمد المعروف بابن الحاج[1]، قال القاضي عياض:" قرأت عليه في داره بقرطبة جميع كتاب غريب الحديث لأبي محمد بن قتيبة، وعارضت كتابي بكتابه"[2]، كما قرأ فيها على ابن العوّاد[3] في داره كتاب" المصنّف " لأبي داود السجستاني في السنن.[4]

ويذكر ابن الأبّار أنّ أبا عبد الله محمد بن خليد بن محمد التميمي المري (ت559هـ/1163م)، سمع من أبي الحجّاج القضاعي بالمرية في حانوته بباب الزياتين مقامات الحريري.[5]

4.4. الرّحلات العلمية: ما من شكّ أنّ الرّحلة نحو المشرق الإسلامي قلت بعد أن أصبحت الأندلس تتمتّع بخصوصيتها العلمية بما باتت تمتلكه من مراكز تعليمية مختلفة وعلماء وأدباء وشعراء من طراز رفيع، إلاّ أنّ الحجّ ظلّ يفرض هذه الرّحلة على البعض، الذين كانوا يؤثرون البقاء بعد أداء المناسك ، فيجاورون الحرمين ويستمعون من علمائهما، وقد يرحلون إلى بغداد أو غيرها من الحواضر في المنطقة للاستزادة من العلم، ومن هؤلاء:

أبو إسحاق بن مروان بن أحمد التجيبي البزاز الإشبيلي المعروف بابن حبيش (ت546هـ/1151م)، الذي رحل حاجّا فسمع بمكة وببغداد سنة 523هـ/1129م من عدد من علمائها، وانصرف إلى إشبيلية وحدّث وسمع منه النّاس.[6]

وأبو علي حسين بن محمد بن سكّرة الصدفي، الشهيد في وقعة قتندة[1] سنة 514هـ/1120م، الذي حجّ وسمع بمكة والبصرة وبغداد التي مكث بها خمس سنوات ثمّ دمشق والإسكندرية.[2]

---

[1] - الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم التجيبي المعروف بابن الحاج (458- 529هـ/1066-1134م)، كان قاضي الجماعة بقرطبة. الضبي، نفس المصدر، ص43/ ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج2 ص453/ ابن العماد الحنبلي، نفس المصدر، ج4 ص93/ القاضي عياض، الغنية، ص47- 53/ المقري، أزهار الرياض، ج3 ص61 و96 و102.

[2] - القاضي عياض، نفسه، ص48.

[3] - الفقيه أبو الوليد هشام بن أحمد بن سعيد المعروف بابن العوّاد (452- 509هـ/1060- 1115م)، كان حافظا للرأي بصيرا بالفتوى، واختلف إليه خلق كثير للتفقه. ابن بشكوال، نفسه، ج2 ص505/ المقري، نفسه، ج3 ص161.

[4] - عياض، نفسه، ص217.

[5] - التكملة، ج2 ص27.

[6] - ابن الأبار، نفسه، ج1 ص127.

وأبو جعفر أحمد بن ثعبان بن أبي سعيد بن حزر الكلبي ويعرف بالبكّي لطول سكناه بمكة (ت540هـ/1145م)، الذي عاد إلى إشبيلية وتصدّر للإقراء بها وعمّر وأسنّ وكثر الانتفاع به.[3]

أمّا الرّحلات المشرقية إلى الأندلس خلال هذه الفترة فقد توقفت ، فلا نجد في كتب التراجم شخصيات بارزة كتلك التي دخلتها على عهد الخلافة الأموية، وكان معظم الدّاخلين إليها حينئذ من بلاد المغرب وأفريقية ومن ذلك مثلا: أبو عبد الله محمد بن عيسى بن حسين التميمي السبتي (ت504 أو 505هـ/1110 أو1111م)، الذي دخل الأندلس طلبا للعلم، وسمع بها من غير واحد، وكان يعدّ من أهل العلم والفضل، ممّا جعله يتولّى القضاء بسبتة وبفاس.[4]

5.4. المكتبات: لم يشد العصر المرابطي عن قاعدة شغف الأندلسيين بالكتب والمكتبات، ومن أشهر من عرف بجمع الكتب في هذا العصر:

أبو علي المنصور بن محمد بن الحاج داود بن عمر الصنهاجي اللمتوني (ت547 أو550هـ/1152 أو1155م)، الذي كان من رؤساء لمتونة وأمرائهم، وقد نافس العلماء في الدواوين العتيقة والأصول النفيسة، وجمع من ذلك ما لم يجمعه أحد من أهل زمانه، وكان واليا ببلنسية ليحي بن علي ابن غانية أيّام كونه بها نحو أحد عشر عاما، وهو فخر لصنهاجة ليس لهم مثله ممّن دخل الأندلس.[5]

كما اشتهر الفقيه الزاهد والمحدّث العابد القاضي أبو مروان عبد الملك بن مسرّة اليحصبي القرطبي[6] (ت552هـ/1157م) ، الذي ورث عن أبيه مالا جسيما، تصدّق بثلثيه، واشترى بالثلث الباقي كتبا مثمّنة، وكان ينسخ الكتاب منها، ويقتني النسخة التي بخطه ثمّ يبيع الأصل إلى أن حصل عنده جميع تلك الكتب بخطه، ولم

---

[1] - الذهبي، تاريخ الإسلام، ج35 ص369/ وفي سير أعلام النبلاء، ج19 ص378/ الكتاني عبد الحي بن عبد الكبير، فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تحقيق: إحسان عبّاس، دار العربي الإسلامي، بيروت،ط2، 1402هـ- 1982م، ج2 ص706.

[2] - ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج1 ص131-133/ ابن العماد الحنبلي، المصدر نفسه، ج4 ص43/ عمر رضا كحالة، نفس المرجع، 56/4/ الزركلي، نفس المرجع، ج2 ص255.

[3] - ابن الأبّار، نفسه، ج1 ص49.

[4] - ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج2 ص470.

[5] - ابن الأبّار، المصدر نفسه، ج2 ص193-194/ ابن الأبار، المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري- القاهرة، دار الكتاب اللبناني- بيروت، ط1، 1410هـ- 1989م، ص199/ ابن عبد الملك المراكشي، المصدر نفسه، س8 ق2ص378.

[6] - ابن بشكوال، نفسه، ج2 ص269/ ابن العماد الحنبلي، المصدر نفسه، ج4 ص162.

يزل ذلك دأبه حتى مات رحمه الله، وعن ذلك يقول طاهر الصدفي : " لقد أخبرني من حضر بيع تركته أنّ رؤساء الأندلس تنافسوا في كتبه حتى لقد بيعت سنن أبي داود السجستاني رحمه الله في ثلاثة أجزاء ثمانين دينارا".[1]

وعرف أيضا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عون المعافري (ت512هـ/1118م) بجمعه للكتب، وكان معتنيا بالعلم مشهورا بالمعرفة والفهم، كثير الكتب جامعا لها باحثا عنها.[2]

ومن المكتبات الشهيرة - كذلك - مكتبة أبي عامر محمد بن أحمد بن عامر البلوي السالمي الطرطوشي[3] (ت559هـ/1164م)، الذي كان من أهل العلم بالتاريخ والأدب والطب، وقد اشتهر بمكتبته التاريخية التي كانت تزخر بالعديد من الكتب، ومنها مؤلفاته وأهمّها:" درر القلائد وغرر الفوائد" في الأدب والتاريخ، و" الشفاء" في الطب، و" أنموذج العلوم" وكتاب في" اللغة" وآخر في" التشبيهات".[4]

وممّا تقدّم يتضح لنا أنّ الحياة الفكرية بالأندلس في العهد المرابطي سارت على منوال العهود السّابقة، وظلت المؤسّسات تقدّم عطاءها لطلبة العلم، وانتشرت ثقافة البحث عن الكتب وإنشاء المكتبات، كما تواصل دعم الدّولة وتشجيعها للعلم والعلماء.

5- مظاهر الحركة العلمية في الأندلس على عهد المرابطين:

لقد كانت الدّولة المرابطية وليدة دعوة علمية، ومن هذا المنطلق حرصت على الاهتمام بالعلم وأهله، وفتحت بابها وآذانها لأهل العقل والنّهى، وكان من نتائج ذلك بروز جمهرة غفيرة من العلماء نشطت مختلف مجالات الحركة الفكرية والثقافية أثناء هذا العهد.

① العلوم الدينية:

[1] - طاهر الصدفي، السرّ المصون في ما أكرم به المخلصون، تحقيق: حليمة فرحات، بيروت، 1998، ص15 نقلا عن بلغيث، نفس المرجع، ج1 ص160.
[2] - ابن بشكوال، نفسه، ج2 ص447.
[3] - ابن الأبّار، التكملة، ج2 ص26-27/ السيوطي، بغية الوعاة، ج1 ص28.
[4] - الزركلي، المرجع نفسه، ج5 ص318.

أ)- الفقه: كانت الدولة المرابطية ترجع في كلّ صغيرة وكبيرة إلى فتوى الفقهاء، التي كانت على مذهب مالك، ومن أشهر فقهاء هذا العصر ابن رشد الجدّ[1]، الذي كان أوحد زمانه في الفقه، وقد أثرى المكتبة الأندلسية بعديد مؤلفاته في هذا الفن، ومنها: " المقدّمات لأوائل كتب المدوّنة " وكتاب " البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل العتبية" و" اختصار المبسوطة" و" اختصار مشكل الآثار" للطحاوي وكتاب" الفتاوى" وكتاب" المسائل" وغيرها من المؤلفات القيّمة.[2]

ومن فقهاء هذا العصر القاضي عياض[3] ، وهو صاحب تواليف منها:" ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب الإمام مالك" في تراجم فقهاء المالكية، و" التنبيهات المستنبطة في شرح مشكلات المدوّنة والمختلطة في الفروع" و" نظم البرهان على صحّة جزم الأذان" في الفقه وغيرها[4]، وتجدر الإشارة إلى المؤلفات التي عرفتها هذه الحقبة في القضايا الفقهية الكبرى من خلال نوازل العصر وأشهرها نوازل ابن رشد ونوازل ابن الحاج.

ب)- علم الحديث: من أشهر أعلام الأندلس الذين برزوا على عهد المرابطين في هذا العلم تأليفا وشرحا ورواية، وكانت لهم عناية بعلم الجرح والتعديل:

القاضي الحافظ الشهيد أبو علي حسين بن محمد الصدفي[5]، الذي كتب بيده علما كثيرا وقيّده ومن مؤلفاته صحيح البخاري في سفر، وصحيح مسلم في سفر، وكان قائما على الكتابين مع مصنّف أبي عيسى الترمذي[6]، وضبط ابن الأبّار في كتابه كتابه " المعجم في أصحاب القاضي الصدفي " كلّ من تعلم عليه أو جالسه أو أجاز

---

[1] - أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد المالكي القرطبي(450- 520هـ/1058- 1126م). الضبي، نفس المصدر، ص43/ ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج2 ص450/ ابن العماد الحنبلي، المصدر نفسه، ج4 ص62/ المقري، نفس المصدر، ج3 ص59-61/ عمر رضا كحالة، نفس المرجع، ج8 ص228/ البغدادي إسماعيل باشا، نفس المصدر، ج2 ص85.

[2] - ابن بشكوال، المصدر والصفحة نفسها/ النباهي، نفس المصدر، ص130/ الزركلي، نفسه، ج5 ص317.

[3] - أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي (476- 544هـ/1083- 1149م)، دخل الأندلس سنة 507هـ ودرس بقرطبة ثم مرسية، كما ولي قضاء غرناطة سنة 531هـ. الضبي، نفس المصدر، ص383-384/ ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج2 ص359-360/ ابن الخطيب، نفس المصدر، ج4 ص188-194/ ابن خلكان، نفس المصدر، ج3 ص483/ ابن العماد الحنبلي، المصدر نفسه، ج4 ص138/ البغدادي إسماعيل باشا، إنباه الرواة، ج1 ص805.

[4] - الزركلي، المرجع نفسه، ج5 ص99/ البغدادي إسماعيل باشا، المصدر والصفحة نفسها.

[5] - هو أبو علي الحسين بن محمد بن فيرّه بن حيّون الصدفي المعروف بابن سكرة (454- 514هـ/1062- 1120م). ابن بشكوال، نفسه، ج1 ص131-134/ ابن العماد الحنبلي، نفسه، ج4 ص43/ المقري، أزهار الرياض، ج3 ص151/ وفي نفح الطيب، ج2 ص90-93/ القاضي عياض، نفس المصدر، ص129-138/ الزركلي، نفسه، ج2 ص255/ عمر رضا كحالة، المرجع نفسه، ج4 ص56.

[6] - ابن بشكوال، نفسه، ج1 ص133.

له، وعدد من ترجم لهم ثلاثمائة وخمسة عشر، ومنهم القاضي عياض الذي ذكر أنه أخذ عنه سماعا عددا من الكتب.[1]

ومنهم القاضي أبو بكر بن العربي المعافري[2]، الذي تفنّن في علوم شتى وبلغت مؤلفاته نحو الأربعين كتابا، ومن آثاره في هذا العلم:" عارضة الأحوذي في شرح سنن الترمذي" و" القبس في شرح موطأ ابن أنس"[3] وكتاب" مصافحة البخاري ومسلم" و" الأحاديث السباعيات" و" الأحاديث المسلسلات" وغيرها.[4]

ج/- علوم القرآن: برز في علم القراءات خلال هذا العصر عددا من المقرئين أشهرهم:

أبو جعفر الغرناطي المعروف بابن البانش[5]، الذي ألف كتاب " الإقناع " في القراءات، لم يؤلف في بابه مثله، وكتاب " الطرق المتداولة " في القراءات، وأتقنه كلّ الإتقان، والغاية في القراءة على طريقة ابن مهران.[6]

ومنهم أبو الحسن محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن عظيمة[7]، الذي له عدّة عدّة مؤلفات منها:" أرجوزة في القراءات السبع" و أخرى في" مخارج الحروف" وله أيضا كتاب" الفريدة الحمصية في شرح القصيدة الحصرية ".[8]

أمّا في علم التفسير فقد برزت كوكبة من العلماء كان منهم:

---

[1] - سمع عليه ستا وعشرين كتابا في مختلف العلوم الشرعية. عناوين هذه الكتب في الغنية، ص131-136.

[2] - القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن العربي المعافري الإشبيلي(468- 543هـ/1075-1148م). الضبي، نفسه، ص80-84/ ابن بشكوال، نفسه، ج2 ص459- 460/ ابن خاقان، المطمح، ص297-300/ ابن خلكان، نفسه، ج4 ص296/ المقري، أزهار الرياض، ج3 ص62 و86 و95/ ابن العماد الحنبلي، نفسه، ج4 ص141/ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12 ص228-229.

[3] - الزركلي، المرجع نفسه، ج6 ص230/ عمر رضا كحالة، المرجع نفسه، ج10 ص242.

[4] - ابن خير، نفس المصدر، ص140 و147.

[5] - أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري الغرناطي المعروف بابن البانش (491- 540هـ/1098-1145م). ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج1 ص82-83 / ابن الخطيب، المصدر نفسه، ج2 ص76-77/ السيوطي، نفس المصدر، ج1 ص338/ الزركلي، نفسه، ج1 ص173/ عمر رضا كحالة، نفسه، ج1 ص316.

[6] - ابن الخطيب، نفسه، ج1 ص77/ حاجي خليفة، نفس المرجع، ج1 ص140 و ج2 ص1192.

[7] - أبو الحسن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن الطفيل العبدي الإشبيلي المعروف بابن عظيمة (ت540 أو 543هـ/1145- أو 1148م). ابن الأبار، نفس المصدر، ج1 ص363-364/ الذهبي شمس الدين أبو عبد الله، معرفة القرّاء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق: بشار عواد معروف، شعيب الأرناؤوط، صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة ،ط1- بيروت، 1404هـ، ج2 ص578/ وفي تاريخ الإسلام، ج37 ص164.

[8] - ابن الأبّار، نفسه، ص364.

ابن عطية المحاربي الغرناطي[1]، الذي اشتهر بتفسيره " المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، وهو اختصار لكلّ ما كتب قبله من التفاسير، وراج رواجا عظيما في المغرب والأندلس.[2]

ومنهم القاضي أبو بكر بن العربي صاحب المؤلفات الجليلة، ومنها في هذا العلم: " الناسخ والمنسوخ " و" قانون التأويل" و" أحكام القرآن" في التفسير الذي اعتمد فيه على اللغة فقابل فيه بين القرآن وبين ما جاء في السنّة الصحيحة[3] وعقب على ذلك مؤيّدا رأيه بالحجّة والمنطق السليم.

② العلوم الأدبية:

أ)- اللغة والنحو: من بين الذين اشتهروا في هذا المجال على عهد المرابطين نذكر على سبيل المثال:

أبو الطاهر محمد بن يوسف بن عبد الله التميمي السرقسطي[4]، وهو صاحب " المقامات اللزومية " وعددها خمسين مقامة عارض فيها مقامات الحريري، وله كتاب " المسلسل في غريب لغة العرب ".[5]

وأبو العبّاس التدميري[6]، ومن آثاره: كتاب " التوطئة " في النحو وشرح في كتاب " الفصيح لثعلب " وشرح " أبيات الجمل للزجاجي" في كتاب كبير سمّاه "شفاء الصدور" واختصره في كتاب آخر سمّاه " المختزل " وفرغ من تأليفه سنة 538هـ/1143م، وله أيضا " الفوائد والفرائد " وكتاب " نظم القرطين وضمّ أشعار السقطين"جمع فيه أشعار كامل المبرّد ونوادر أبي علي.[7]

---

[1] - أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي الغرناطي (481-542هـ/1088-1147م). الضبي، المصدر نفسه، ص339- 341/ ابن بشكوال، نفسه، ج2 ص310/ ابن الخطيب، نفسه، ج3 ص412-414/ السيوطي، نفسه، ج2 ص73/ البغدادي إسماعيل، المرجع نفسه، ج1 ص502/ الزركلي، نفسه، ج3 ص282/ عمر رضا كحالة، نفسه، ج5 ص93.

[2] - حاجي خليفة، نفسه، ج2 ص1613/ بالنثيا، نفس المرجع، ص409/ محمد عبد الله عنان، نفس المرجع، ص458.

[3] - أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، أحكام القرآن، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، (د ت)، ج1 ص3 و4.

[4] - يعروف بابن الإشتركوني (ت538هـ/1143م)، ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج2 ص457/ السيوطي، المصدر نفسه، ج1 ص279/ كارل بروكلمان، نفس المرجع، ج5 ص353.

[5] - الزركلي، المرجع نفسه، ج7 ص149/ عمر رضا كحالة، المرجع نفسه، ج12 ص129.

[6] - أحمد بن عبد الجليل بن عبد الله المعروف بالتدميري (ت555هـ/1160م). ابن الأبّار، المصدر نفسه، ج1 ص60/ السيوطي، نفسه، ج1 ص321/ السيوطي، المزهر في علوم اللغة والأدب، ج1 ص142-143/ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج38 ص156.

[7] - ابن الأبّار، المصدر والصفحة نفسها/ الفيروز آبادي، نفس المصدر، ص56.

ب)- الشعر: رغم أنّ الشعر لم يعد سلما للارتقاء إلى المراتب العليا في ظلّ الدّولة المرابطيـة، فقد تكيّف الشـعراء وفـق الظـروف الجديـدة غيـر متـأثرين بالأوضـاع السياسية، وهناك عدد كبير من الشعراء المبرزين الذين ينسبون إلى هذا العهد، ومن هؤلاء:

أبو محمد بن عبدون[1]، وابن خفاجة، والأعمى التطيلي[2]، الذي كان يعتبر معرّي الأندلس، وله يمدح علي بن يوسف بن تاشفين: [من الطويل]

سَطَا أَسَدًا وَأَشْرَقَ بَدْرَ ... وَدَارَتْ بالحُروبِ رَحًى زَبونُ

وأحْدَقَتِ الرِّمَاحُ به فأعْيَا ... عَلِيٌّ أَنَّهُ هيَ أَمْ عَرِينُ [3]

ومنهم أبو بكر يحي بن بقي[4]، الذي بلغ الذروة في التوشيح*، حتى قيل إنّ له ما ينيف عن ثلاثة آلاف موشحة[1]، وله في بني عشرة قضاة " سلا " على أيّام المرابطين موشحات مشهورة، منها قوله:

---

[1] - أبو محمد عبد المجيد بن عبدون (ت521هـ/1127م)، ترجم له ابن بسّام وساق له فصولا من غرائب نثره ونظمه. نفس المصدر، ج4 ص668-727/ ابن خاقان، القلائد، ج2 ص417-428/ ابن سعيد، رايات المبرزين وغايات المميّزين، تحقيق: محمد رضوان الدّاية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر- دمشق، ط1، 1987، ص99-100/ ابن سعيد، المغرب، ج1 ص374-377.

[2] - أبو العبّاس أحمد بن عبد المعروف بالأعمى التطيلي (ت525هـ/1131م). ابن بسّام، نفسه، ج4 ص728-753/ ابن خاقان، نفسه، ج4 ص850-867 / ابن سعيد، المغرب، ج2 ص451/ ابن سعيد، رايات المبرّزين، ص224-226.

[3] - نفسه، ص225/ وفي المغرب، ج2 ص452.

[4] - أبو بكر يحي بن محمد بن عبد الرحمن بن بقي الطليطلي (ت540 أو 545هـ/1145 أو1150م). ابن خاقان، نفسه، ج4 ص919-927/ المقري، نفس المصدر، ج4 ص236- 241/ ابن سعيد، المغرب، ج2 ص19-21/ ابن خلكان، نفس المصدر،طبعة 1900، ج6 ص202-205/ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج6 ص2820-2823.

* الموشح: كلام منظوم على وزن مخصوص، وهو يتألف في الأكثر من ستة أقفال وخمس أبيات، ويقال له التام، وفي الأوّل من خمسة أقفال و خمس أبيات ويقال له الأقرع، فالتام ما ابتدئ فيه بالأقفال والأقرع ما ابتدئ فيه بالأبيات. سليمان العطار، نشأة الموشحات الأندلسية، في صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، م29، 1997، ص47.

أمَا تَرَى أحمدْ . في مجده العالي .لا يُلحقْ
أطْلعَهُ الغَرْبُ فأرنَا مِثلَهُ يا مَشْـرقْ[2]

ومنهم ابن قزمان[3]، وكان مبرّزا في نظم الطريقة الهزلية بلسان عوام الأندلس الملقب بالزجل*، وقد" بلغ في هذه الطريقة مبلغا حجره الله عمن سواه فهو آيتها المعجزة وحجتها البالغة، وفارسها العلم، والمبتدئ فيها والمتمّم "[4]، ووصفه ابن سعيد فقال:" إمام الزجّالين بالأندلس وشهرته تغني عن الإطناب في ذكره، وقد جمع أزجاله وديوانها مشهور بالمشرق والمغرب "[5]، وهو يضمّ تسعة وأربعين ومائة زجل.

ولعبد العزيز الأهواني- الذي يعدّ في طليعة العارفين بهذا الفنّ – دراسة مستفيضة حول ديوان ابن قزمان[6]، تعرّض فيها إلى التصحيفات والتحريفات التي وقع فيها ناسخ الديوان، ومن ملح أزجاله: الزجل واحد وأربعون وفيه يقدم شكره للقائد المرابطي محمد بن سير، الذي أنقده من السجن، حيث يقول في المقطوعة العاشرة ما نصّه:كلّ سيّد ومولى ، انتّ هُ مَولا وسيدُ

ونعيمُ وعزٌ ، و بـرورُ و عيـدُ

والذي لا تريد ، ياش لـسٌ نريـد

ولّى من شيت واعزل ، حلّ من شيت واعقد[7]

---

[1] - ابن سعيد، نفسه، هامش ج2 ص19.
[2] - ابن سعيد، رايات المبرزين، ص137.
[3] - أبو بكر محمد بن عيسى بن قزمان (ت555هـ/1160م). ابن سعيد، المغرب، ج1 ص167/ وفي رايات المبرزين، ص126-127/ ابن الخطيب، المصدر نفسه، ج2 ص347-356/ المقري، نفسه، ج4 ص24/ الصفدي، نفس المصدر، ج4 ص211.
* يتكون كل زجل - عدا الخرجة - من أبيات متساوية في عدد الأغصان، وهو يلتزم هذا النظام في كل زجل " وكل من الأغصان يتكون من أربعة أشطار إلى اثني عشر شطرا ، ففيها رباعيات وخماسيات وسداسيات وسباعيات وثمانيات وتساعيات وعشريات وآحاد عشريات ". بالنثيا، المرجع نفسه، ص159.
[4] - ابن الخطيب، المصدر نفسه، ج2 ص347/ المقري، المصدر والصفحة نفسها.
[5] - المغرب، المصدر والصفحة نفسها.
[6] - بحث بعنوان " على هامش ديوان ابن قزمان "في صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، م17، 1972-1973، ص183-245 م18، 1974-1975، ص17-77 م19، 1976-1978، ص21-60.
[7] - الأهواني عبد العزيز، نفسه، م17، ص241.

ج)- النثر: حظي أصحاب الأقلام المتميّزة لدى الدّولة اللمتونية بمكانة مرموقة، فكان من نتائج ذلك رواج النثر بكلّ أنواعه.

✓ **فنّ الترسيل:** انتشر هذا اللون من النثر بنوعيه: الرّسائل الدّيوانية والرسائل الإخوانية، وكان غالبية كتّاب الدّولة المرابطية ممّن عرفوا بشهرتهم في بلاطات ملوك الطوائف، ومن هؤلاء:

أبو بكر بن القصيرة[1]، الذي قل عنه ابن بسّام:" هو في وقتنا جمهور البراعة وبقيّة أئمّة الصناعة، وعذبة اللّسان العربي"[2]، وقد تولى منصب الكتابة للأمير يوسف بن تاشفين ثمّ لابنه علي من بعده، واستمرّ على ذلك إلى وفاته بمراكش سنة 508هـ/1114م، وقد أوردت المصادر المعاصرة له عددا من رسائله السلطانية.[3]

وقد نشر له محمود علي مكي ضمن الوثائق المرابطية التي استخرجها، ممّا تركه المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال، بعد وفاته سنة 1956 ،ستع رسائل[4] من مجموع الرسائل التي نشرها وعددها اثنتان وعشرون رسالة، وهي إنشاءات سلطانية صادرة عن الديوان الرّسمي في عهد الأمير يوسف، تعكس جانبا ممّا كانت عليه الكتابة السلطانية في هذا العهد، وكان أسلوبه فيها موجزا ومركّزا، مسجوعا وقصير الفقرات، بعيدا عن التعقيد والتكلّف.[5]

ومنهم أبن أبي الخصال[6]، الذي كلن من أبرز أعلام النثر الأندلسي في عصره، عصره، وذكر عبد الواحد المراكشي أنّه كان له " ديوان رسائل يدور بأيدي أدباء الأندلس، قد جعلوه مثالا يحتذونه، ونصّبوه إماما يقتفونه".[1]

---

[1] - هو أبو بكر محمد بن سليمان المعروف بابن القصيرة (ت508هـ/1114م). ابن بشكوال، نفس المصدر، ج2 ص445/ ابن خاقان، المصدر نفسه، ج2 ص305/ ابن الأبار، إعتاب الكتاب، ص222-223/ عبد الواحد المراكشي، نسفى المصدر، ص123-124/ ابن بسّام، المصدر نفسه، ج3 ص239-240/ ابن سعيد ، نفسه، ج1 ص350/ ابن الخطيب، نفسه، ج2 ص367-370/ ابن عذاري، نفس المصدر، ج4 ص60/ المقري، المصدر نفسه، ج4 ص365-366/ الصفدي، المصدر نفسه، ج3 ص108.

[2] - الذخيرة، نفسه، ج3 ص239.

[3] - نفسه، ج3 ص241-268/ ابن خاقان، المصدر نفسه، ج2 ص306-313.

[4] - محمود علي مكي، وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، ص9.

[5] - توجد هذه الرّسائل في المصدر نفسه، ص66-74.

[6] - ابن أبي الخصال أبو عبد محمد الغافقي الأندلسي (465- 540هـ/1072- 1145م). الضبي، نفس المصدر، ص113/ ابن بشكوال، نفسه، ج2 ص458/ ابن بسّام، نفسه، ج6 ص784-809/ ابن خاقان، نفسه، ج2 ص518-537/ ابن دحية، نفس المصدر، ص162-164/ ابن سعيد، نفسه، ج2 ص66/ المقري، نفسه، ج3 ص268/ عبد الواحد المراكشي، نفسه، ص132-135/ محمد بن جابر الوادي آشي الأصل التونسي مولدا وقراراً، برنامج الوادي آشي، تحقيق: محمد محفوظ، دار المغرب الاسلامي، أثينا- بيروت ،ط1، 1400هـ - 1980م، ص224.

وقد قام محمد رضوان الدّاية بتحقيق رسائله في كتاب ضخم[2]، ومن هذه الرسائل يتضح لنا أنّه كتب عن أمير المسلمين علي بن يوسف طيلة فترة حكمه، كما كانت له مراسلات مع رجال العصر الكبار من أصدقائه كأبي بكر بن العربي، وأبي إسحاق بن خفاجة، وأبي بكر بن القصيرة، وأبي الوليد بن رشد الجدّ وغيرهم[3]، كما نظم ابن أبي الخصال القريض، إلاّ أنّ شعره لم يكن بنفس الدرجة التي أثرت عنه في النثر، حيث غلبت شهرته وعلا ذكره في الترسّل، فكتب في الرسائل الزرزورية[4]، كما ألف في المقامات[5] وأنشأ الخطب[6] وعارض بعض رسائل المعرّي.[7]

✓ **النثر التأليفي:** نشطت حركة التأليف أيّام المرابطين نشاطا كبيرا، ويبدو ذلك بوضوح من خلال المؤلفات التي أغنى بها أدباء وعلماء هذا العصر المكتبة الأندلسية، ومن أشهر هؤلاء:

ابن بسّام الشنتريني (ت542هـ/1148م) صاحب كتاب " الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة "، وهو موسوعة أدبية تاريخية أرّخ فيها لعصري الطوائف والمرابطين، كما اشتهر الفتح ابن خاقان (ت529هـ/1134م) كمؤرّخ للأدب الأندلسي من خلال مؤلّفيه " مطمح الأنفس ومسرح التأنّس في ملح أهل الأندلس" و" قلائد العقيان ومحاسن الأعيان ".[8]

وفي التاريخ، اشتهر ابن الصيرفي الغرناطي[9]، وكان من أعيان شعراء الدولة اللمتونية ومدّاح أمرائها، وبرسمهم ألف كتابه " الأنوار الجليّة في أخبار الدّولة

---

1 - المعجب، ص134/ وقد وصفه ابن سعيد " برئيس كتاب الأندلس". رايات المبرّزين، ص188.

2 - ابن أبي الخصال الغافقي الأندلسي، رسائل ابن أبي الخصال، تحقيق: محمد رضوان الدّاية، ، دار الفكر، دمشق، ط1، 1408هـ- 1987م.

3 - على سبيل المثال رسالة تعزيته إلى الفقيه القرطبي الشهير أبي الوليد بن رشد، المصدر نفسه، ص93-97.

4 - نفسه، حاشية القطعة الأولى من الرسائل، ص31.

5 - من هذه المقامات مقامته التي عارض فيها أبا محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري البصري (446-516هـ/1054-1122م)، نفسه، ص420-449.

6 - له أربع خطب ضمن هذا المجموع من الرسائل مواضيعها: شكر الله على نزول الغيث- الحض على الجهاد – الحض على قيام الليل – وخطبة في عيد الأضحى. نفسه، ص272-282 وص522-529 وص534-541 وص564-589.

7 - له معارضة لرسالة أبي العلاء المعرّي " ملقى السبيل "، التي زاوج فيها بين الشعر والنثر، ورتبها على الحروف الهجائية. نفسه، ص370-390.

8 - ابن خاقان، المطمح، ص145/ المقري، المصدر نفسه، ج7 ص33.

9 - أبو بكر يحي بن محمد بن يوسف الأنصاري المعروف بابن الصيرفي الغرناطي (467-557هـ/1074-1162م). ابن الأبّار، نفس المصدر، ج4 ص173/ ابن سعيد، المغرب، ج2 ص118-119/ السيوطي، نفس

المرابطية "، الذي انتهى به سنة 530هـ/1135م، وله كتاب " آخر بعنوان " تقصّي الأنباء وسياسة الرؤساء "[1]، وكلاهما في حكم المفقود، كما أرّخ لهذه المرحلة ابن بشكوال (494-578هـ/1101- 1183م)، صاحب كتاب" الصّلة في تاريخ علماء الأندلس"، الذي انتهى به سنة 534هـ/1139م، وفي الجغرافيا، برز محمد بن بكر الزهري الذي كان حيّا سنة 541هـ/1156م بمؤلفه، " الجعرافية ".

أمّا في مجال التصوّف، فقد راجت مؤلفات أبي العبّاس بن العريف (ت536هـ/1141م)، ومؤلفات أبي الحكم عبد السلام بن برجان اللخمي الإشبيلي المتوفىّ في نفس السنة، ومنها كتاب " الإرشاد " وأكثر كلامه فيه على طريق أرباب الأحوال والمقامات[2].

وفي علم الكلام، كثر تأليف أبي عبد الله محمد بن خلف بن موسى الأنصارى المعروف بالإلبيري (457-537هـ/1065-1142م)، ومنها كتابه " النكت والأمالي في النقض على الغزالي" و" رسالة الانتصار على مذهب الأئمّة الأخيار" و" رسالة البيان عن حقيقة الإيمان " وغيرها.[3]

وفي الطبّ ، نال المنزلة الرفيعة والذكر الجميل لدى الملثمين أبو العلاء بن زهر، الذي له عدّة مؤلفات منها كتاب الخواص وكتاب الأدوية المفردة ومجريات أمر بجمعها علي بن يوسف بن تاشفين بعد موت أبي العلاء، فجمعت وانتسخت سنة 526هـ/1132م.[4]

وأمّا الفلسفة فقد برز فيها ابن باجة ، صاحب مدرسة الشك، وقد ألف أكثر من خمسة وعشرين كتابا ذكرها ابن أبي أصيبعة، ومنها: " شرح كتاب السمع الطبيعي لأرسطوطاليس" و" رسالة الوداع " وكتاب" تدبير المتوحّد " و" كلام في البرهان " وغيرها.[5]

المصدر، ج2 ص343/ ابن الخطيب، المصدر نفسه، ج4 ص348/ ابن عذاري، المصدر نفسه، ج4 ص91/ الزركلي، نفس المرجع، ج8 ص164.

[1] - ابن الخطيب، نفسه، ج4 ص349/ الزركلي، المرجع والصفحة نفسها.

[2] - ابن خلكان، نفسه المصدر، ج4 ص236-237/ الناصري السلاوي، نفس المرجع، ج2 ص76-77.

[3] - ابن الأبّار، المصدر نفسه، ج1 ص358-359/ الزركلي، المرجع نفسه، ج6 ص115/ عمر رضا كحالة، نفس المرجع، ج9 ص286.

[4] - ابن أبي أصيبعة، نفس المصدر، ص.476

[5] - نفسه، ص473-474.

وجملة القول أنّ العهد المرابطي لم يخل من الأدب والعلوم بمختلف أنواعها عقلية ونقلية، بدليل كثرة أهل العلم والمعرفة، وتشهد على ذلك الأسماء اللاّمعة السّابقة الذكر والمؤلّفات التي انتشرت في ربوع الأندلس خلال هذه الحقبة.

6- إسهام البربر في الحركة العلمية بالأندلس المرابطية.

1.6. العلوم الدينية:

أ)- الفقه: شهدت هذه الحقبة من تاريخ الأندلس عددا كبيرا من علماء البربر الذين نبغوا في الفقه، ومن أبرزهم الشخصيات التالية:

* أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر بن أحمد اللواتي[1]، الذي كان من أهل الفقه والعلم والمعرفة بالوثائق والبصر بالأحكام والتفنّن في معارف، وقد قرأ عليه القاضي عياض علما كثيرا[2]، وكان يدرس الموطأ ويتفقه فيه، وقد ألّف مختصر ابن أبي زمنين على الولاء، فجاء بأحسن رتبة، كما كان مختصا بالفقيه أبي الأصبغ، حيث سمع منه جميع كتبه وحدّث بها عنه.[3]

*أبو القاسم عبد الرحمن بن العجوز السبتي[4]، هو من جلة الفقهاء، وكان يميل إلى الحجّة والنظر، وولي قضاء الجزيرة الخضراء مدّة، قال عنه ابن فرحون:" كان عالما بالاحتجاج، حضرت مجلسه في تدريس المدوّنة، فما رأيت أحسن منه احتجاجا، ولا أبين منه توجيها ".[5]

* أبو يوسف يعقوب بن حمّاد الأغماتي، الذي رحل إلى الأندلس والتقى بمرسية القاضي أبا علي الصدفي سنة 511هـ/1117م وسمع منه، وقد وصفه ابن الأبار بالفقيه الحافظ.[6]

---

[1] - أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر بن أحمد اللواتي المعروف بابن الفاسي (ت513هـ/1119م). ابن بشكوال، نفس المصدر، ج1 ص97/ المقري، أزهار الرياض، ج3 ص157-158.

[2] - الغنية، ص119-123.

[3] - ابن فرحون، نفس المصدر، ص144/ عمر رضا كحالة، المرجع نفسه، ج2 ص236.

[4] - أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن أحمد الكتامي المعروف بابن العجوز السبتي (ت510هـ/1116م). ابن بشكوال، نفسه، ج2 ص288-289/ ابن الزبير، نفس المصدر، ج3 ص318/ عياض، نفسه، ص168-169 وفيها توفي سنة 515هـ/ ابن القاضي المكناسي، نفس المرجع، ج2 ص408/ العبّاس بن إبراهيم السملالي، الأعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام، راجعه: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية- الرباط، ط2، 1423هـ- 2002م، ج8 ص54، رقم 1077.

[5] - الديباج، ص245.

[6] من أعلام النصف الأوّل من القرن 6هـ. المعجم، ص330/ ابن الأبار، التكملة، ج4 ص232.

* الفقيه الجليل القاضي خلوف بن خلف الله البربري (ت515هـ/1121م) ، ولي قضاء غرناطة للملثمين سنة 510هـ/1116م، وبقي في منصبه لمدّة خمس سنوات، وقال ابن بشكوال:" كان من العلم والفضل بمكان "[1]، وذكره ابن عطيّة فقال:" استجزته في كتاب الشيخ أبي إسحاق التونسي على المدوّنة روايته إيّاه عن الفقيه فأجازني ذلك رحمه الله ".[2]

* أبو محمد عبد الله بن علي بن عبد الملك بن سمجون اللواتي (447-524هـ/1055-1130م)[3]، كان فقيها حافظا للمسائل[4]، عارفا بإقرائها والتفقه فيها، أقرأها بمدينة غرناطة وبه تفقه أكثر شيوخها، وولي قضاء الجزيرة الخضراء ليوسف بن تاشفين، ثم نقله لغرناطة من سنة 490هـ/1096م إلى 508هـ/1114م.[5]

* أبو محمد عبد المنعم بن مروان بن عبد الملك بن سمجون اللواتي (ت524هـ/1130م)، الذي كان فقيها جليلا جزلا مهيبا، وهو ما جعله يتقلب في القضاء بين إشبيلية وغرناطة في مدّة إمارة يوسف بن تاشفين، ثم نقل إلى المرية سنة 517هـ/1123م وأعيد ثانية إلى إشبيلية ثم غرناطة.[6]

* أبو عبد الله محمد بن سليمان النفزي المعروف بابن أخت غانم (473-525هـ/1080-1131م) الذي تفنّن في معارف شتىّ ومنها الفقه[7]، وكان عارفا بأحوال الديانات على مذهب الأشعري.[8]

* أبو عبد الله محمد بن داود بن عطية بن سعيد العكّي الجراوي، أصله من إفريقية (ت525هـ/1131م)، وكان من أهل العلم والمعرفة والفهم، وله مسائل منثورة، وقد استقضي بإشبيلية.[9]

---

[1] - ابن الأبار، نفسه، ج1 ص254.
[2] - بن عطية الأندلسي أبو محمد عبد الحق، فهرسة ابن عطية، تحقيق: محمد أبو الأجفان- محمد الزاهي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983، ص137-138.
[3] - ابن الأبار، نفسه، ج2 ص253.
[4] - الضبي، نفس المصدر، ص303.
[5] - ابن الأبار، نفسه، ج2 ص303-304/ ابن الزبير، المصدر نفسه، ج3 ص155-156.
[6] - ابن الأبار، نفسه، ج3 ص130.
[7] - الضبي، نفسه، ص67.
[8] - السيوطي، نفس المصدر، ج1 ص116.
[9] - ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج2 ص470.

* أبو جعفر أحمد بن خلصة بن أبي عامر النفزي الشاطبي (ت540هـ/1145م)، وهو فقيه صالح أصابته زمانة ألزمته الفراش عدد سنين، ثم أكرمه الله بنعمة العافية والشفاء بعد دعائه إيّاه، فعاد إلى شغله يكتب بيده.[1]

* الفقيه أبو بكر محمد بن عبد المنعم بن منّ الله بن أبي بحر الهواري، المعروف بابن الكماد، قيرواني الأصل، سكن الأندلس زمانا قبل أن ينتقل إلى فاس، وسمع منه وروى عنه أبو القاسم عبد الرحيم بن عيسى بن ملجوم بجواب أبي محمد بن أبي زيد في النهي عن الجدال في الدين مناولة منه وإجازة في آخر شهر ربيع الآخرسنة 527هـ/1132م.[2]

* أبو الحسن علي بن خلفون الهواري (كان حيّا سنة 530هـ/1135م)، ويعرف بالقروي لأنّ أصله منها، سكن الجزيرة الخضراء، وأخذ عنه أبو عبد الله القباعي، ووصفه بأنّه كان فقيها مشاورا.[3]

* أبو عمران موسى بن عبد الرحمن بن حمّاد الصنهاجي (ت535هـ/1140م)، من أهل العدوة، وكان فقيها جليلا، حافظا للرأي، ورعا عالما بالأحكام مقدّما في معرفتها، ولي قضاء غرناطة مرّتين أولاهما في 524هـ/1129م ، ثمّ استدعاه علي بن يوسف إلى مراكش مستأثرا به، وتوفي بها وهو قاض.[4]

* الفقيه أبو عبد الله محمد بن مفرّج بن سليمان الصنهاجي الطنجي (450-536هـ/1058-1141م)، الذي سمع من القاضي أبي الوليد الباجي وابنه أبي القاسم وغيرهما من الشيوخ، وأجاز له ابن سهل وابن سعدون وعنه أخذ القاضي عياض.[5]

* أبو الأصبغ عبد العزيز بن محمد بن مفرّج بن سليمان الشاطبي ويعرف بالمكناسي (452-536هـ/1060-1141م)، استوطن غرناطة وأقرأ بها الفرائض، وكان فقيها متكلّما عارفا بالوثائق.[1]

---

[1] - ابن الأبار، المصدر نفسه، ج1 ص47-48/ الوادي آشي أبو جعفر، ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي، تحقيق: عبد الله العمراني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1403هـ، ص160/ بوزياني الدراجي، نفس المرجع، ج1 ص229.

[2] - ابن عبد الملك المراكشي، نفس المصدر،س8 ق1 ص321/ ابن الأبار، نفسه، ج2 ص157.

[3] - نفسه، ج3 ص189-190/ ابن عبد الملك المراكشي، نفسه، س5 ق1 ص213/ وعند ابن الزبير" أنّه توفي سنة 531هـ، وكان شافعي المذهب ". صلة الصلة، ج4 ص154.

[4] - ابن بشكول، المصدر نفسه، ج2 ص476-477/ ابن الزبير، نفسه، ج3 ص57-58.

[5] - ابن الأبار، نفسه، ج1 ص357/ عياض، المصدر نفسه، ص86-87.

* أبو الحسن علي بن عبد الله بن داود بن الحسن اللمائي، ويعرف بالمالطي (ت537هـ/1142م)، أصله قيرواني نزل بالمرية، كان فقيها مشاورا جليلا، جمع بين الاستذكار لابن عبد البرّ، والمنتقى للباجي، وله شرح في رقائق ابن المبارك سمّاه " زهر الحدائق ".[2]

* أبو العبّاس أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي، المعروف بابن العريف (ت536هـ/141م)، وصفه الضبي بالفقيه الزاهد[3]، وقد تصدّر للإقراء بالمرية وسرقسطة.[4]

* أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الله بن سمجون (488-539هـ/1095-1144م)، وكان فقيها حافظا جليلا، وقد استقرّ بغرناطة إلى وفاته بها.[5]

* أبو عبد الله محمد بن علي بن جعفر بن أحمد بن محمد القيسي (478-567هـ/1085-1171م)، يعرف بابن الرمامة، وأصله من قلعة حمّاد من حوز بجاية وبها نشأ وتأدّب، ودخل الأندلس طالبا للعلم أيّام الدولة اللمتونية فحمل عن شيوخ قرطبة من أمثال أبي محمد بن عتّاب وأبي الوليد بن رشد وأبي بحر الأسدي، وقدّم للقضاء بفاس سنة 533هـ/1138م[6]، وكان حافظا للفقه على مذهب الشافعي، وله تواليف منها:" تسهيل المطلب في تحصيل المذهب " وكتاب " التقصّي عن فوائد التقصّي" و" التبيين في شرح التلقين " ومختصر نبيل في أصول الفقه.[7]

* ميمون الهواري من أهل قرطبة، قال عنه ابن الأبار: " هو أحد القادمين من فقهائها ونبهائها غزاة مع الأمير تميم بن يوسف بن تاشفين".[8]

---

1 - ابن الأبار، المصدر نفسه، ج3 ص92.

2 - نفسه، ج3 ص243/ وفي المعجم، ص287/ ابن الزبير، المصدر نفسه، ج4 ص90.

3 - بغية الملتمس، ص142/ ابن الأبار، المقتضب من كتاب تحفة القادم، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري- القاهرة، دار الكتاب اللبناني- بيروت، ط3، 1410هـ- 1989م، ص70 / وفي المعجم، ص27-30 / ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج1 ص81-82/ ابن تغري بردي، نفس المصدر، ج5 ص269- 270.

4 - ابن الأبار، المعجم، ص27.

5 - ابن الزبير، نفسه، ج4 ص154.

6 - ابن عبد الملك المراكشي ، المصدر نفسه، س8 ق1 ص325-327/ وفي التكملة: ولي قضاءها سنة 536. ج2 ص158/ أمّا في صلة الصلة، فإنّه ولي قضاءها من سنة 534 وصرف عنه سنة 535. ج3 ص21-22.

7 - ابن الأبار، المصدر والصفحة نفسها/ الزركلي، نفس المرجع، ج6 ص279/ عمر رضا كحالة، نفس المرجع، ج10 ص313.

8 - المقتضب من تحفة القادم، ص70.

* أبو يعقوب ينتان بن تويت (من أعلام القرن 6هـ)، وهو من أمراء المرابطين، كان فقيها, قرأ على فقهاء قرطبة كابن رشد وفقهاء مرسية كابن عتاب معلى ابن أبي جعفر، وتوفي بزبيد من مدن اليمن[1]، وحدث عنه أخوه أبو ، محمد[2]، الذي كان من فقهاء وأمراء الدولة اللمتونية.

* الشيخ الفقيه الإمام الفاضل أبو بكر يحي بن موسى بن عبد الله البرزلي، أخذ عنه ابن خير، وذكره في جملة شيوخه في فهرسته[3]، كما ذكره ابن بشكوال، فقال:" قرأنا عليه فوائد ابن صخر".[4]

* محمد بن ثابت بن حنين النفزي (توفي بعد 540هـ/1145م)، جزيري خضراوي، كان إماما في الفقه، ماهرا في عقد الشروط.[5]

* أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الباري الهواري البطروشي، وقيل النفزي البلوطي[6] (ت542هـ/1147م)، كان من أهل الحفظ للفقه[7]، فإذا سئل عن شيء كأنّما جوابه في طرف لسانه.[8]

* أبو خالد عبد بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي زمنين المري الغرناطي (497-544هـ/1103-1149م)، كان فقيها جليلا في عداد المشاورين في بلده، وولي القضاء ببعض جهات غرناطة.[9]

* أبو يوسف الفقيه البربري الميورقي (توفي بعد 550هـ/1155م) ، الذي عرف بحفظه للمسائل.[10]

---

[1] - السلفي أبو طاهر أحمد بن محمد الأصبهاني، أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر للسلفي، تحقيق: إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت،ط1، 1963، ص59-60.

[2] - السلفي أبو طاهر أحمد بن محمد الأصبهاني، معجم السفر، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، المكتبة التجارية - مكة المكرمة، (د.ت)، ص160-161/ ابن ناصر الدين الدمشقي، نفس المصدر، ج1 ص673-674 و678.

[3] - فهرسة ابن خير، ص406.

[4] - الصلة، ج2 ص518.

[5] - ابن عبد الملك المراكشي، المصدر نفسه، س6 ص146.

[6] - ابن الأبار، المعجم، ص34.

[7] - ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج1 ص82.

[8] - ابن الأبار، نفسه، ص35.

[9] - ابن الزبير، المصدر نفسه، ج3 ص104/ ابن فرحون، نفس المصدر، ص231/ ابن الخطيب، نفس المصدر، ج3 ص315.

[10] - ابن الأبار، التكملة، ج4 ص228.

* الفقيه أبو يوسف الزناتي (من أعلام النصف الأول من القرن 6هـ)، الذي قعد للتدريس والمناظرة على الفقيه أبي القاسم محمد بن إسماعيل الزنجاني بمسجد رحبة الباجي بإشبيلية، واجتمع إليه مدّة قبل رحيله إلى العدوة.[1]

* أبو محمد عبد الودود بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الملك وهو سمجون الهلالي[2] الغرناطي (501-552هـ/1107-1157م)، كان فقيها روى عن عمّه أبي محمد عبد الله بن علي وفقهاء عصره من شيوخه.[3]

* أبو عبد الله محمد بن سليمان بن سليمان بن خلف النفزي الشاطبي المعروف بابن بركة (481-552 أو 553هـ/1088-1157 أو 1158م)، كان فقيها حافظا للمسائل يستظهر "مقدّمات " ابن رشد، بصيرا بالفتوى نافذا في عقد الشروط، وولي خطة الشورى ببلده.[4]

* أبو علي منصور بن مسلم بن عبدون الزرهوني الفاسي، ويعرف بابن أبي فوناس (472-554 أو 556هـ/1079-1159 أو 1160م)[5]، دخل الأندلس طالبا للعلم، وقرأ على بعض شيوخها، وكان فقيها حافظا مفتيا مشاورا مدرسا.[6]

* أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن الضحّاك الفزاري الغرناطي المعروف بابن النفزي (ت557هـ/1162م)، كان فقيها مشاورا في بلده، وله تواليف في علوم شتى منها كتاب " مدارك الحقائق في أصول الفقه " في خمسة عشر جزء، وكتاب " تبيين مسالك العلماء في مدارك الأسماء " وغيرها.[7]

* أبو محمد سالم بن سلامة السوسي من سوس المغرب (ت559هـ/1163م)، دخل الأندلس، وكان له رواية وحفظ لمسائل الفقه، وعرف بقدرته على أدائها باللسان البربري، وعاش حتى نيف عمره على المائة.[8]

---

[1] - نفسه، ج4 ص227-228.

[2] - بنو سمجون لواتيون وابن الزبير وابن الأبار ينسبهم هلاليون وهذا ليس بصحيح، ولهم عندنا بسبتة بقية وكانت لهم سابقة في العلم، حاشية1: الذيل والتكملة، س5 ق1 ص71 وص192.

[3] - ابن الزبير، نفسه، ج4 ص45.

[4] - ابن الأبار، نفسه، ج2 ص19-20 / وفي المعجم، ص176-177/ ابن عبد الملك المراكشي، نفسه، س6 ص218.

[5] - ابن الأبار، المعجم، ص200-201.

[6] - ابن عبد الملك، نفسه، س8 ق2 ص377- 378.

[7] - ابن فرحون، المصدر نفسه، ص303/ ابن الخطيب، المصدر نفسه، ج4 ص149.

[8] - ابن الأبار، التكملة، ج4 ص124.

* أبو الحسن علي بن الحسن بن علي بن الحسن اللواتي القاضي الفاسي (479-573هـ/1086-1177م)، دخل إشبيلية وأخذ عن شيوخها، وكان عالما بالفرائض والعقود، ومن حفاظ المسائل ممّن تدور عليهم الفتوى.[1]

* أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف الوهراني والحمزي لأنّ أصله من حمزة بناحية المسيلة[2]، المعروف بابن قرقول المري (505-569هـ/1111-1173م)، سمع من مشاهير علماء الأندلس كابن العريف وابن عطية وابن العربي، وكان فقيها ظارا.[3]

* القاضي أبو عبد الله بن الحاج محمد بن علي بن محمد النفزي الجياني (من أعلام النصف الأول من القرن 6هـ)، كان فقيها مشاورا، مدرسّا للمدوّنة وغيرها، حافظا للرأي.[4]

ب)- علم الحديث: عرف هو الآخر عددا من الشخصيات البربرية التي برزت في هذا التخصّص بالأندلس المرابطية، ومن هؤلاء:

* عبد الله بن خلف بن سعيد بن حاتم العبدري الزواوي البلنسي (كان حيّا سنة 505هـ/1111م)، وكان من أهل الرواية والضبط والإتقان.[5]

* أبو إسحاق يعقوب بن حمّاد الأغماتي المعروف بابن الفاسي، كان من أهل الحديث، وأقرأ الناس بما حفظه من هذا العلم.[6]

* أبو يوسف يعقوب بن حمّاد التلمساني الأغماتي الأصل، دخل مرسية سنة 511هـ/1117م فسمع بها " جامع الترمذي " من أبي علي[1]، وممّا حدّث به، قال عن

---

[1] - ابن الزبير، المصدر نفسه، ج4 ص156.

[4]- ابن الأبار، نفسه، ج1 ص130/ وعند الذهبي " حمزة من عمل بجاية " وهو الأصح، ينظر: سير أعلام النبلاء، ج20 ص520-.521.

[5] - ابن الأبار، نفسه، ج1 ص130-.131.

[6]- نفسه، ج1 ص362/ ابن عبد الملك المراكشي، المصدر نفسه، س6 ص498.

[5] - ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت، 1964، السفر 4 ص223.

[6] - ابن الأبار، المعجم، ص62/ القاضي عياض، نفس المصدر، ص119-120.

جابر: " أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم، قال: إذا أكل أحدكم طعاما فسقطت منه لقمته، فليمط ما رابه منها، ثمّ ليطعمها ولا يدعها للشيطان"، وفي هذا الحديث قال أبو زكريا ابن عصفور: هذا سند عال، وهو حديث صحيح، خرّجه مسلم من طرق.[2]

* أبو محمد عبد الله بن أبي عبد الله بن أيّوب اللنتي بالنون، فخذ من البربر، المري (ت515هـ/1121م)، سمع من أبي علي الصدفي وروى عنه.[3]

* أبو عبد الله محمد بن أحمد بن نصر النفزي المعروف بالرندي لأنّ أصله منها (ت514هـ/1120م)، وكان ذا عناية برواية الحديث ولقاء حملته[4]، وهو من شيوخ أبي جعفر بن الباذش.[5]

* أبو موسى عبد الكريم بن عبد الرحيم ابن معزوز الصنهاجي المعروف بالغفجموني، ذكر ابن الأبار أنّه قرأ بخط أبي علي سماعه منه لصحيح مسلم في سنة 513هـ/1119م.[6]

* أبو حجاج يوسف بن المنتصر الصنهاجي الغرناطي وأصله من العدوة، كان من أهل العلم والنباهة، سمع من أبي محمد عبد الله بن أيوب الحديث المسلسل في الأخذ باليد، وروى عن أبي محمد ابن أيوب الشاطبي سنة 521هـ/1127م.[7]

* أبو محمد عبد الله بن علي بن عبد الملك بن سمجون اللواتي، الذي كان إلى جانب ضلوعه في الفقه محدّثا[8]، من العلماء الحفاظ[9]، له رواية متسعة حدّث عنه أبو جعفر بن الباذش وأبو بكر بن الخلوف وأبو عبد الله بن الفرس وغيرهم.[10]

---

[1] - ابن الأبار، التكملة ج4 ص232/ ابن عبد الملك المراكشي، نفسه، س8 ق2 ص425.
[2] - ابن الأبار، المعجم، ص330/ الترمذي محمد بن عيسى السلمي، الجامع الصحيح لسنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمدشاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي- بيروت، (د.ت)، ج4 ص259/ أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة- مصر، (د.ت)، ج3 ص394/ علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، كنز العمال، ج15 ص105.
[3] - ابن الأبار، التكملة، ج2 ص250/ وفي المعجم، ص211/ ابن عبد الملك المراكشي، نفسه، ج4 ص181.
[4] - نفسه، س6 ص70.
[5] - ابن الأبار، نفسه، ج1 ص338.
[6] - المعجم، ص273.
[7] - ابن الأبار، التكملة، ج4 ص226/ ابن عبد الملك المراكشي، المصدر نفسه،س8 ق2 ص436.
[8] - الضبي، نفس المصدر، ص303.
[9] - ابن الزبير، المصدر نفسه، ج3 ص155- 156.
[10] - ابن الأبار، نفسه، ج2 ص253.

* أبو عبد الله محمد بن سليمان النفزي، الذي كان محدّثا، سمع الصحيحين على أبي العبّاس العذري الدلائي وسنن أبي داود على أبي الوليد الوقشي وحدّث بها.[1] بها.[1]

* أبو عبد الله محمد بن داود بن عطية بن سعيد العكّي الجراوي، الإفريقي الأصل، الذي حدّث وروى عن عبد الجليل الرّبعي وغيره، ولقي بقرطبة أبا علي الغساني فأخذ عنه كثيرا.[2]

* أبو بكر محمد بن عبد المنعم بن منّ الله بن أبي بحر الهواري المعروف بابن الكمّاد، الذي دخل الأندلس فسمع منه وحدّث عنه أبو القاسم عبد الرحيم بن عيسى بن ملجوم بكتاب علوم الحديث لأبي عبد الله الحاكم مناولة منه وإجازة في آخر شهر ربيع الآخر سنة 527هـ/1132م.[3]

* أبو عمر ميمون بن ياسين الصنهاجي اللمتوني المري، وأصله من صحراء المغرب (ت 530هـ/1135م)، وهو من جلة أمراء المرابطين، سمع الصحيحين بمكة سنة 497هـ/1104م، وابتاع صحيح البخاري بعد سماعه له من أبي مكتوم بن أبي ذرّ الهروي في أصل أبيه أبي ذرّ بمال جليل وأوصله إلى بلاد المغرب، فلمّا قفل حدّث بالأندلس فسمع الناس منه بإشبيلية وغيرها، وكان راوية ثقة فيما رواه.[4]

* أبو الحسن علي بن عبد العزيز الزناتي القرطبي، كان من أهل الرواية حيث روى عن أبي إسحاق بن ثابت الاستيعاب في أسماء الصحابة سنة 533هـ/1138م.[5]

* أبو الحسن علي بن خلفون الهواري (ت531هـ/1136م)، وكان محدّثا يحدّث بيسير.[6]

* أبو العبّاس أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي المعروف بابن العريف (ت536هـ/1141م)، كانت عنده مشاركة في أشياء من العلم ومنها الحديث،

---

[1] - الضبي، نفسه، ص67/ السيوطي، نفس المصدر، ج1 ص116/ ابن خير، نفس المصدر، ص86.
[2] - ابن بشكوال، نفس المصدر، ج2 ص470.
[3] - ابن الأبار، نفسه، ج2 ص157/ ابن عبد الملك المراكشي، نفسه، س8 ق1 ص321.
[4] - ابن الأبار، المصدر نفسه، ج2 ص196-197/ ابن عبد الملك المراكشي، المصدر نفسه، س8 ق2 ص405-406/ ابن الزبير، المصدر نفسه، ج3 ص77وفيه أنّ وفاته كانت بعد 550هـ.
[5] - ابن الأبار، نفسه، ج3 ص188/ ابن عبد الملك المراكشي، نفسه، س5 ق1 ص255.
[6] - ابن الأبار، نفسه، ج3 ص189.

حيث جمع الروايات واهتمّ بطرقها وحملتها[1]، وروى ببلده عن كثير ممّن أخذ عنهم.[2]

* أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد النفزي المعروف بالمرسي (453-538هـ/1061-1143م)[3]، وكان له علم بالحديث وغريبه ومشكله، وحدّث بسبتة وغرناطة وإشبيلية وقرطبة، وذكر ابن الأبار أنّه كانت له مسموعات من أبي علي الصدفي.[4]

* أبو بكر زاوي بن منّاد بن عطية الله بن المنصور الصنهاجي المعروف بابن تقسوط (ت539هـ/1144م)، وكان رجلا صالحا فاضلا معنيا بالرواية، كتب بخطه علما كثيرا، وقعد لإسماع الحديث وأخذ عنه.[5]

* أبو العبّاس أحمد بن محمد بن سعيد بن حرب المعروف بالمسيلي (كان حيا سنة 539هـ)، سكن إشبيلية وكان معتنيا برواية الحديث وضبط ما يرويه.[6]

* أبو عبد الله محمد بن تاشفين بن يوسف بن أبي بكر بن ييمد ابن سرحوب، كان أحد أمراء اللمتونيين، ذا عناية بالعلم وروايته ولقاء حملته، جيّد النظر في التعديل.[7]

* أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف الكتامي الإشبيلي (من أعلام النصف الأول من القرن 6هـ)، الذي كانت له معرفة بالحديث ورجاله، وكتب عنه السلفي أنّه كان يقول: " لم أر أحفظ من أبي علي الجياني للحديث ولا أتقن منه ".[8]

* أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الباري الهواري البطروشي، الذي وصفه ابن بشكوال بالحفظ للحديث ورجاله، فكان يروي عن شيخه ابن

---

[1] - ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج1 ص82/ الصفدي، نفس المصدر، ج8 ص88/ اليافعي، نفس المصدر، ج3 ص267.

[2] - روى عن أبي خالد يزيد وابن الفصيح وابن الحنّاط القروي وغيرهم. ابن الأبار، المعجم، ص27/ السيد عبد العزيز سالم، نفس المرجع، ص184.

[3] - الضبي، المصدر نفسه، ص293/ ابن بشكوال، نفسه، ج1 ص246/ ابن الزبير، نفسه، ج3 ص97/ القاضي عياض، المصدر نفسه، ص156-157.

[4] - المعجم، ص221-222.

[5] - ابن الأبار، المعجم، ص97- 98/ وفي التكملة، ج1 ص269.

[6] - ابن الأبار، نفسه، ج1 ص46- 47/ عبد الوهاب بن منصور، نفس المرجع، ج3 ص241- 242.

[7] - ولد سنة 496هـ- 1102م ويبدو من تاريخ ولادته أنّه غير القائد أبي عبد الله محمد بن تاشفين ولد أخي يوسف بن تاشفين لأمّه. ابن عبد الملك المراكشي، المصدر نفسه، س8 ق1 ص283.

[8] - ابن الأبار، نفسه، ج2 ص16.

الطلاّء عن شيوخه بسند متصل ينتهي إلى يحي بن يحي الليثي عن مالك رحمه .[1]

* أبو محمد عبد الله بن محمد بن وقاص اللمطي الميورقي، وكان من أهل الرواية، حيث سمع من أبي القاسم عبد الرحمن بن أحمد بن عمير الثقفي وغيره، وروى عنه سنة 544هـ/1149م.[2]

* أبو علي المنصور بن محمد بن الحاج داود بن عمر الصنهاجي اللمتوني (ت547 أو 550هـ/1152 أو 1155م)، وهو من رؤساء لمتونة، سمع بقرطبة وبمرسية وببلنسية، وكان من أهل المعرفة والحفظ، روى الحديث عن جماعة من أشياخنا، وكان واليا ليحي بن علي بن غانية أيام كونه بها أحد عشر عاما.[3]

* أبو عبد الله محمد بن سليمان بن سليمان بن خلف النفزي الشاطبي ابن بركة، له سماع من أبي علي بمرسية في سنة 508هـ/1114م، وكان يسرد متون الأحاديث ويروي عن شيوخه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلّم.[4]

* أبو علي منصور بن مسلم بن عبدون الزرهوني الفاسي المعروف بابن أبي فوناس، سمع بمرسية من أبي علي الصدفي صحيح مسلم وجامع الترمذي سنة 511هـ/1117م، وروى عنه وعن غيره، وكان محدّثا ذاكرا عدلا ثقة.[5]

* أبو الحسن علي بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن الضحاك الفزاري الغرناطي ويعرف بابن النفزي، كان راوية محدّثا ومن تواليفه في هذا الفن: كتاب " الإعلام في استيعاب الرواية عن الأئمة الأعلام " في سفرين.[6]

* أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مفرج بن سليمان بن عبد العزيز القيسي الشاطبي المعروف بابن تريس ويشتهر بالمكناسي (494-

---

1 - ابن الأبار، المعجم، ص35-36.
2 - ابن الأبار، التكملة، ج2 ص275.
3 - ابن الأبار، المصدر نفسه، ج2 ص193-194 / وفي المعجم، ص199- 200/ ابن عبد الملك المراكشي، المصدر نفسه، س8 ق2 ص378.
4 - ابن الأبار، المعجم، ص176-177 / وفي التكملة، ج2 ص19-20/ ابن عبد الملك، نفسه، س6 ص218.
5- نفسه،س8 ق2 ص377- 378/ ابن الأبار، المعجم، ص 200-201/ وفي التكملة، ج2 ص194 / ابن الزبير، المصدر نفسه، ج3 ص66.
6 - ابن الخطيب، نفس المصدر، ج4 ص149/ ابن فرحون، نفس المصدر، ص303.

561هـ/1100-1165م)، كانت له مشاركة في علم الحديث وروايته متسقة، وله في شيوخه مجموع سمّاه " التعريف ".[1]

* أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف الوهراني الحمزي المعروف بابن قرقول الحافظ، وكان يبصر الحديث ورجاله، وقد صنّف وألف مع براعة الخط وحسن الوراقة، حدّث وأخذ عنه الناس، ومن مؤلفاته: " مطالع الأنوار على صحاح الآثار " صنّفه على منوال " مشارق الأنوار " للقاضي عياض، وهو تحرير الفوائد.[2]

ج/- علوم القرآن: كثر عدد البربر المهتمين بهذه العلوم خلال العهد المرابطي بالأندلس الإسلامية، ومن الشخصيات البربرية التي برزت في هذا التخصص حينئذ:

* إسماعيل بن مهلهل صاحب الصلاة والخطبة بجامع بلنسية لأوّل فتحها في رجب سنة 495هـ/1101م، وكان أخا للأمير مزدلي اللمتوني من الرضاعة، وهو من ولّاه ذلك.[3]

* محمد بن عبد الرحمن بن خلف بن حسن بن محمد النفزي (ت509هـ/1115م)، وكان من متقني حملة القرآن، نديّ الصوت طيب النغمة، مكتبا حسن التعليم، وقد لزم الإمامة أزيد من خمسين سنة، وكان خطيبا فصيحا بليغا.[4]

* أبو عبد الله محمد بن سليمان بن يحي القيسي المعروف بالمكناسي (ت501هـ/1107م)، الذي كان مقرئا للقرآن.[5]

* أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن منخل بن محمد بن مشرف النفزي الشاطبي، الذي أخذ قراءة نافع بقرطبة عن أبي القاسم بن النخّاس الخطيب سنة 510هـ/1116 م، وقرأ " التيسير" على أبي محمد بن سعدون الوشقي الضرير، كما سمع من أبي علي في اجتيازه إلى غزوة قتندة سنة 514هـ/ 1120م التي فقد فيها.[6]

---

[1] - ابن الأبار، نفسه، ج2 ص28-29.

[2] - اليافعي، نفس المصدر، ج4 ص171/ الناصري السلاوي، نفس المرجع، ج2 ص209/ ابن خلكان، نفس المصدر، ج1 ص62/ الكتاني، الرسالة المستطرفة، ص157/ القزويني عبد الكريم بن محمد الرافعي ، التدوين في أخبار قزوين، تحقيق: عزيز الله العطاري، دار الكتب العلمية - بيروت - 1987م، ج1 ص40.

[3] - ابن الأبار، المصدر نفسه، ج1 ص153.

[4] - ابن عبد الملك المراكشي، المصدر نفسه، س6 ص344.

[5] - ابن بشكوال، نفس المصدر، ج2 ص443.

[6] - ابن الأبار، المعجم، ص125.

* أبو محمد عبد الله بن خلف بن سعيد بن حاتم العبدري البلنسي المعروف بالزواوي، صحب أبا داود المقرئ وسمع منه، وحدّث عنه بالتلخيص لأبي عمرو المقرئ عن مؤلفه، وقد ذكر ابن الأبار أنّه رأى خطه بذلك في المحرّم سنة 516هـ/ مارس 1122م.[1]

* أبو عبد الله محمد بن سليمان النفزي، الذي كان عالما موسوعيا تخصّص في علوم شتىّ ومنها علم القراءات[2] ، أقرأ بإشبيلية وقرطبة، وأخذت عنه مؤلفات شيخه أبي العبّاس أحمد بن عمّار بن أبي العبّاس المقرئ ومنها: كتاب" الهداية إلى مذاهب القرّاء السبعة "، وشرح كتاب " الهداية " وكتاب " التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل "، وكتاب " الكفاية في شرح مقارئ الهداية "، وكتاب " الإغفال " لأبي علي الفارسي في ردّه على أبي إسحاق الزجّاج في كتاب " معاني القرآن " له.[3]

* أبو علي منصور بن الخير بن يعقوب بن يملى المالقي المغراوي[4] ، المعروف المعروف بالأحدب (ت526هـ/1131م)، كان من القرّاء العارفين بالقراءات، وعنه أخذ أبو محمد القاسم بن عبد الرحمن بن دحمان الأنصاري المالقي القراءات الثمان[5]، وصنّف في القراءات كتبا أخذها عنه الناس، وأثنى عليه اليسع بن حزم فقال: " رحلت إليه فوجدته بحرا في علوم القراءات بعيد الغور والغايات ".[6]

* أبو الحسن علي بن خلفون الهواري الجزيري، المعروف بالقروي، الذي كان مقرئا.[7]

* أبو الحسن علي بن عبد الله بن داود بن الحسن اللمائي القيرواني نزيل المرية، المعروف بالماطلي، الذي وصفه ابن الأبار بالمقرئ المتفنّن.[8]

* أبو العبّاس أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي المعروف بابن العريف، الذي كانت له عناية بالقراءات.[1]

---

[1] - ابن الأبار، التكملة، ج2 ص250.
[2] - الضبي، نفس المصدر، ص67.
[3] - ابن خير، نفس المصدر، ص30-31 وص40-41 وص276.
[4] - ابن ناصر الدين الدمشقي، نفس المصدر، ج3 ص478/ الذهبي، معرفة القراء الكبار، ج1 ص481.
[5] - ابن الأبار، المصدر نفسه، ج4 ص72.
[6] - الذهبي، تاريخ الإسلام، ج36 ص149.
[7] - ابن الأبار، نفسه، ج3 ص189/ ابن عبد الملك المراكشي، المصدر نفسه، س5 ق1 ص213.
[8] - ابن الأبار، نفسه، ج3 ص243 / وفي المعجم، ص287.

* أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد النفزي المعروف بالمرسي، أخذ القراءات في طليطلة وإشبيلية والمرية مابين سنة 472 و476هـ/1079 و1083م، وكان له علم بقراءة أبي عمرو وقراءة نافع ورواية السوسي، وسكن سبتة وخطب بجامعها مدّة.[2]

* أبو العبّاس أحمد بن محمد ين سعيد بن حرب المعروف بالمسيلي، الذي تصدّر للإقراء بإشبيلية، وكان من أهل الحذق والتجويد، وقد ألف كتاب " التقريب في القراءات السبع ".[3]

* ورقاء بنت ينتان الحاجة الطليطلية، التي كانت حافظة للقرآن بارعة الخط.[4]

* أبو الأصبغ عبد العزيز بن علي بن محمد بن مسلمة بن عبد العزيز السماتي الإشبيلي، ويعرف بابن الطحّان (توفي بعد 554هـ/1159م)، وكان أستاذا ماهرا في القراءات، وله تواليف منها: كتاب " شعار الأخيار وهجيري الأبرار في التهليل والاستغفار"، وقد غادر إشبيلية إلى فاس سنة 554هـ/1159م، ثم رحل إلى المشرق فحجّ وقيل إنّ موته كان في قفوله من حجّه.[5]

* أبو مروان عبد الملك بن أحمد بن أبي يدّاس الصنهاجي الجياني، الذي كان مقرئا، وقد ذكره الأستاذ أبو عبد الله بن سعادة فقال: " قرأت عليه القرآن العزيز ختمات جمّة ".[6]

* أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن فرج بن سليمان بن عبد العزيز القيسي الشاطبي، المعروف بابن تريس ويشتهر بالمكناسي، الذي تصدّر للإقراء بشاطبة، وكان متحققا بالقراءات.[7]

* أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن خليفة النفزي (475-564هـ/1082- 1168م)، من أهل قرية بني عقبة من عمل دانية، وكان متحققا بالقراءات معروفا بالضبط والتجويد.[1]

---

[1] - ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج1 ص82/ ابن الأبار، المعجم، ص27.
[2] - نفسه، ص220.
[3] - ابن الأبار، التكملة، ج1 ص46-47/ ابن خير، المصدر نفسه، ص34/ الصفدي، نفس المصدر، ج7 ص262/ الذهبي، المصدر نفسه، ج1 ص490/ عبد الوهاب بن منصور، نفس المرجع، ج3 ص242.
[4] - ابن الأبار، نفسه، ج4 ص256.
[5] - نفسه، ج3 ص94-95/ ابن الزبير، نفس المصدر، ج3 ص250-251.
[6] - نفسه، ج3 ص243/ ابن عبد الملك المراكشي، المصدر نفسه، س5 ق1 ص9.
[7] - ابن الأبار، نفسه، ج2 ص28-29.

* أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن زكريا بن عبد الله بن إبراهيم بن حسّون الحميري الكتامي البياسي (توفي بعد 560هـ/1164م) ،كان مقرئا فاضلا ، واستقضي ببلده، وولي الصلاة والخطبة بجامعه.[2]

وما من شك أنّ المتتبّع لعملية الجرد الخاصّة بالعلوم الدينية يدرك التفاوت الكبير بين هذا العهد والعهود السّابقة وفي مقدّمتها الفقه الذي كان يحظى بمنزلة رفيعة لدى حكّام المرابطين فاقت كلّ العصور السّالفة بالأندلس، كما تؤكد هذه الحقيقة زيف ما ذهبت إليه بعض الأقلام من المستشرقين ومن نحا نحوهم[3]، التي جاءت بتفسيرات لا تستند إلى أدلّة علمية ولا مبرّر لها سوى الميل إلى هوى تعصّب ديني حاقد.

2.6. الآداب وعلوم اللغة:

أ/- النثر: لقد ساهم البربر كغيرهم من العناصر الأندلسية الأخرى التي قاسمتهم الوطن في الأندلس على عهد الدولة المرابطية في إثراء الأدب العربي نثرا وشعرا، ومن أهم الوجوه التي برزت في مجال النثر يومئذ:

* أبو عبد الله بن إبراهيم بن وزمّر الحجاري الصنهاجي[4]، يسمّيه ابن سعيد بجاحظ المغرب صاحب المسهب، الذي اشتهر ببلاغته البديعة نظما ونثرا ومعرفة التصنيف[5]، بينما وصفه ابن الخطيب بالأديب المصنف فقال:" وكان ماهرا كاتبا شاعرا رحّالا "، وذكر من تواليفه البديعة " الحديقة " في البديع[6]، أمّا المقري فقد قال عنه: " حافظ الأندلس، إمام الأدباء، رئيس المؤلفين، حسنة الزمان، نادرة الإحسان ".[7]

---

[1] - نفسه، ج1 ص129.

[2] - ابن الزبير، المصدر نفسه، ج4 ص102-103/ ابن عبد الملك المراكشي، المصدر نفسه، س5 ق1 ص247-248.

[3] - ينظر ص 120-121 من هذا الفصل.

[4] - ابن سعيد، نفس المصدر، ج2 ص35-36/ ابن الخطيب، نفس المصدر، ج3 ص328-330/ المقري، نفس المصدر، ج4 ص123-124/ حسين مؤنس، نفس المرجع، ص145-161 وفيه يفترض أنّه من مواليد 467هـ/1074م أو نحوها ويتفق مع بونس بويجس في تاريخ وفاته الذي يراه سنة 550هـ/1155م، ويعلّق على ذلك بقوله: " ولسنا نعلم مصدره الذي اعتمد عليه". ص151.

[5] - المغرب، ج2 ص35.

[6] - الإحاطة، ج3 ص328-330.

[7] - نفح الطيب، ج4 ص123.

* أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر بن أحمد اللواتي المعروف بابن الفاسي، الذي صحب القاضي أبا الأصبغ بن سهل، وكتب له مدّة قضائه بغرناطة وبطنجة، وكانت له مشاركة في علم الأصول والأدب.[1]

* أبو عبد الله محمد بن سليمان النفزي، الذي أسهم بإقراء كتب الأدب، فقد أخذ عنه كتاب " أدب الكاتب " لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، وكتاب " فصيح الكلام " لأبي العبّاس أحمد بن يحي بن زيد الشيباني الملقب بثعلب.[2]

* الأديب أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح بن عبيد الله بن خفاجة الهواري (451-533هـ/1049-1138م)[3]، من أهل جزيرة شقر من أعمال بلنسية، وكان عالما بالآداب صدرا في البلغاء، مقدّما في الكتاب والشعراء، يتصرّف كيف يريد، فيبدع ويجيد ناظما وناثرا، وقد وصفه الرشاطي بالمعارف الجمّة والآداب، وقال فيه: " واحد عصره ونسيج وحده "[4]، وتمحورت مواضيع نثره حول الطبيعة وسحرها بالدرجة الأولى وبعض الإخوانيات والتعزية والتهنئة.

وقد أورد له ابن بسّام فصولا من نثره في أوصاف شتىّ منها فصل كتبه يستهدي ماء ورد جاء فيه: "إنّ المكارم – أعزّك – شريعة قضت أن يكون البرّ عليك فرضا، والشكر عليّ قرضا، وإنّي وجّهت رقعتي هذه خاطبة إلى صفو ودّك كريمة من بنات ماء وردك، وقد سقت إليها الشكر مهرا، وأنفذت الإناء لل زفاف خدرا، والطّو ْ لُ لك في قبول نقدِ الثناء، وتعجيل الجلاء والهداء، موفقا إن شاء الله ".[5]

وله من فصل يؤيّد فيه الدولة اللمتونية، محذرا من يقف في وجهها بكسر شوكته وتحطيم بنيانه، حيث قال: " ها أنتم – أيّدكم الله – قد أظلتكم الدّولة الميمونة، ووافتكم الإمارة المأمونة، ولطالما وردتنا تسير بها الرفاق، فتطلعت إليها النفوس وامتدّت الأعناق، وهذه كتائب النصر قد طلعت عليكم بشائر صباحها، وأظلتكم قادمة جناحها،

---

[1] - ابن بشكوال، نفس المصدر، ج1 ص97/ ابن الأبار، المعجم، ص62/ المقري، أزهار الرياض، ج3 ص157-158/ ابن فرحون، نفس المصدر، ص144.
[2] - ابن خير الإشبيلي، نفس المصدر، ص299-300-301.
[3] - ابن الأبار، التكملة، ج1 ص124-125 / وفي المعجم، ص66-68/ المقري، النفح، ج3 ص198/ الصفدي، المصدر نفسه، ج6 ص55-59/ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج20 ص51/ ابن سعيد، رايات المبرزين، ص217-219/ ابن خاقان، نفس المصدر، ج3 ص739-764/ابن بسّام، نفس المصدر، ج6 ص541-542 وما بعدها.
[4] - ابن الأبار، التكملة، ج1 ص124-125.
[5] - ابن بسام، نفسه، ج6 ص545.

وإنّ من ناصبها فحاول أن يدفع في صدرها، ويقصرَ من تطاول عِنانها عن شأنها: [البسيط]

كناطحٍ صخرةً يومًا ليوهنها فلم يضرْها وأوهى قرنَهُ الوَعِلُ[1]

هيهات! توخّى من الفلك ألاّ يستدير، وابتغى من الشمس ألاّ تستنير، واعترض في مطلع الليل يأمل ألاّ يُظلَّ، ونصب راحته تلقاء الفجر يحاول ألاّ يُطِلَّ.[2]

ويتضح ممّا تقدّم أنّ ابن خفاجة كان يتحكّم جيّدا في آليات الكتابة على النّمط الذي شاع حينئذ بالمشرق والمغرب خلال هذه الحقبة التاريخية، ممّا يجعله يقف في نفس المقام مع فرسان الكتابة الذين شاركوه العصر من أدباء كابن خاقان وابن بسّام وغيرهما.

* أبو العبّاس أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي المعروف بابن العريف، الذي قال عنه ابن الزيّات التادلي: " له منثور رفيع "[3]، وقد ولي الحسبة ببلنسية، وكان يكتب بسبعة خطوط لا يشبه بعضها بعضا.[4]

* أبو الحسن حلالة بن الحسن الفهري ذو الوزارتين، ويعرف بابن المديوني (وهو من أعلام القرن 6هـ)، سكن غرناطة وتجوّل ببلاد الثغر، وكتب لبعض الولاة، وله رسائل تدلّ على مكانته من الأدب.[5]

* أبو الوليد إسماعيل بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي المري المعروف بابن العريف، وهو أخو أبي العبّاس المتصوّف، وقد روى وكتب عنه كثيرا من شعره.[6]

* أبو العبّاس أحمد بن حسن بن سيّد الجراوي المالقي (ت560هـ/1164م)، ذكره السيوطي فقال:" كان كاتبا بليغا "[7]، وهو غير اللص[1] وإن استويا في الاسم والكنية والنسبة، فإنّ هذا متقدّم الوفاة.

---

[1] - هذا البيت للشاعر الجاهلي: الأعشى (ميمون بن قيس)، من قصيدته المعلقة المشهورة التي مطلعها:
ودّع هريرة فإنّ الرّكبَ مُرتحلٌ وهلْ تطيقُ وداعًا أيّها الرّجلُ. ديوان الأعشى، دار صادر، بيروت، 1994، ص144.
[2] - ابن بسام، المصدر نفسه، ج6 ص559.
[3] - التشوّف، ص97.
[4] - الضبي، نفس المصدر، ص142. ابن الأبار، المعجم، ص27.
[5] - ابن الأبار، التكملة، ج1 ص234.
[6] - نفسه، ج1 ص156.
[7] - بغية الوعاة، ج1 ص302/ ابن عبد الملك المراكشي، نفس المصدر، س1 ق1 ص92.

* أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن فرج بن سليمان بن عبد العزيز القيسي الشاطبي الشهير بالمكناسي، كانت له مشاركة في الأدب، فقد حمل عن إسحاق بن خفاجة منظومه ومنثوره، ووصف ببراعة الخط وجودة الضبط.[2]

ب/- الشعر: تميّز هذا العصر كغيره من العصور السابقة ببروز طائفة من الشعراء البربر، تفاوتت في منتوجها الشعري من حيث الكثرة والقلة، ومن حيث جمالية القصيدة فاعتبر قريض البعض في مستوى الجودة التي تضاهي أكبر شعراء هذا العصر، بينما اعتبر شعر البعض الآخر حسنا أو دون ذلك، ومن أشهر شعراء البربر في هذه الحقبة على أرض الأندلس:

* عبد الله بن إبراهيم بن وزمّر الحجاري الصنهاجي، الذي وفد على عبد الملك بن سعيد صاحب القلعة[3] المنسوبة إلى سلفه وأنشده قصيدة مطلعها: [الوافر]

عَلَيْكَ أحَالَنِي الذِّكْرُ الجَمِيلُ   فَجِئْتُ ومِنْ ثَنَائِكَ لي دَلِيلُ

أَتَيْتُ ولَمْ أُقَدِّمْ مِنْ رَسُولٍ   لأَنَّ القَلْبَ كَانَ هُوَ الرَّسُولُ[4]

فأكرم نزله، وأحسن إليه وأقام عنده سنة، ثم بدا له أن ينصرف إلى قصر ابن هود بروطة، أين أصيب بنكبة بعد هزيمة أميرها المستنصر بن عماد الدّولة بن هود أمام ألفونسو الأوّل المعروف بالمحارب، فأسر بسقاية من بلاد البشكنس، فحاول أن يحرّك اهتمام ابن هود بالأشعار ليخلصه من الأسر، فلم يجد ذلك نفعا، وعندها تذكر صديق الأمس عبد الملك بن سعيد فخاطبه بقوله: [السريع]

أصْبحتُ في بَسْقَاية مُسْلَمًا   إلى الأعادي لا أرَى مُسْلِمًا

إلى قوله:

فهلْ كريمٌ يُرْتَجَى للأسير   يفكُّه ، أكْرِمْ بهِ مُنْتَمَى

وعندئذ اجتهد في فدائه، فلم يمض شهر إلاّ وقد تخلص من أسره واستقرّ لديه، فكان طليق آل سعيد.[1]

---

[1] - أحمد بن علي بن محمد بن عبد الملك بن سليمان بن سيد الكناني الإشبيلي أبو العبّاس المعروف باللص لكثرة سرقته أشعار الناس (502 أو 503- 578هـ/1108 أو 1109- 1182م). ابن الأبار، المصدر نفسه، ج1 ص 72-73/ السيوطي، نفسه، ج1 ص344-345.

[2] - ابن الأبار، المصدر نفسه، ج2 ص28-29.

[3] - القلعة: هي القلعة المشهورة في مملكة غرناطة، وتعرف بقلعة يحصب، وكانت تسمّى قبل بقلعة أسطلير وهو عين لها. المقري، نفح الطيب، ج1 ص295 وج2 ص330/ وذكر حسين مؤنس أنّها تعرف اليوم باسم: Alcala' la Real، الجغرافية والجغرافيون، ص148.

[4] - ابن سعيد، المغرب، ج2 ص35/ ابن الخطيب، نفس المصدر، ج3 ص329/ المقري، نفسه، ج4 ص314.

* أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح بن خفاجة الهواري، وهو شاعر فحل له ديوان شعر، وصفه ابن خاقان، فقال: " مالك أعنّة المحاسن وناهج طريقها، العارف بترصيعها وتنميقها، الناظم لعقودها، الرّاقم لبرودها، المجيد لإرهافها، العالم بجلائها وزفافها، تصرّف في فنون الإبداع كيف شاء، وأتبع دلوه في الإجادة الرّشاء، فشعشع القول وروّقه، ومدّ في ميدان الإعجاز طلقه، فجاء نظامه أرقّ من النسيم العليل، وآنق من الرّوض البليل، يكاد يمتزج بالروح، وترتاح إليه النفس كالغصن المروح ".[2]

ويعتبر ابن خفاجة شاعر الطبيعة الأوّل في المشرق والمغرب الإسلامي، فقد اتخذ من الطبيعة قاعدة للغزل والذكرى، فكان وصفه لطلب الصّورة، وإحلال للاستعارة المستمدّة من الطبيعة محلّ غيرها من استعارات، ووقوف عند المنظر الطبيعي لرسمه كلّه جزءا جزءا بغية الرسم.[3]

كما يعدّ من الشعراء الذين صمتوا في عصر الطوائف، وانطلقت شاعريتهم ثانية في عصر المرابطين، بحيث لا نجد في ديوانه إلاّ قصيدة واحدة في المعتصم بن صمادح، ونجده في شعره يلحّ بشدّة على الطبيعة ويستغلّها أيّما استغلال ، فهو يخاطب الجبل ويحاور القمر ويصوّر النهر والبحر ويصف الرياض وما بها من أزهار وورود وطيور، كانت تسكن ذاته وتأسره، ومن ذلك ما قاله في مراعاة النظير يصف فرسا وهو: [من السريع]

وأشقرٍ تُضْرَمُ منهُ الوَغَى ... بشُعْلَةٍ من شُعَلِ البَاسِ

من جُلَّنَارٍ ناضِرٍ خَدُّهُ ... وأُذْنُه من وَرَقِ الآسِ

تطلُعُ للغُرّةِ في وَجْهِهِ ... حَبَابَةٌ تَضْحَكُ في الكَاسِ[4]

ومن مشهور شعره ومستحسنه، ولا وجود له في ديوانه: [من الكامل]

للهِ نَهْرٌ سَالَ في بَطْحَاءِ ... أَشْهَى وُرُودًا من لَمَى الحَسْنَاءِ

---

1 - ابن الخطيب، المصدر نفسه، ج3 ص330.

2 - القلائد، ج3 ص739/ ابن بسّام، المصدر نفسه، ج6 ص541/ عبد الوهاب بن منصور، نفس المرجع، ج1 ص59.

3 - إحسان عبّاس، نفس المرجع، ص204.

4 - ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، تحقيق: عبد الله سنده، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1427هـ- 2006م، ص176/ الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العبّاسي أبو الفتح، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تحقيق: محمد محي الدّين عبد الحميد، عالم الكتاب، بيروت، 1376هـ- 1947م، ج2 ص230/ ابن سعيد، رايات المبرزين، ص219.

مُتَعَطِّفٍ مِثْلَ السِّوَارِ كَأَنَّهُ والزَّهْرُ يَكْنُفُهُ مَجَرُّ سَمَاءِ

أَمْسَتْ تَحُفُّ بِهِ الغُصُونُ كَأَنَّهَا هُدْبٌ يَحُفُّ بِمُقْلَةٍ زَرْقَاءِ

والرِّيحُ تَعْبَثُ بالغُصُونِ وقَدْ جَرَى ذَهَبُ الأصيلِ على لُجَيْنِ المَاءِ [1]

ولمّا بلغ الكهولة أقلع عن صبوته وعاتب ما أورده له ابن خاقان من شعره في زمن الصبا، وممّا أثر عنه وهو في سنّ الستين، قوله: [من الوافر]

أَلا سَاجِلْ دُموعِي يا غَمَامُ وطَارِحْنِي بِشَجْوِكَ يا حَمَامُ

فقدْ وفَّيْتُهَا سِتِّينَ حَوْلاً وَنَادَتْنِي وَرَائِي: هَلْ أَمَامُ؟

وكُنْتُ وَمِنْ لُبَانَاتِي لُبَيْنَي هُنَاكَ وَمِنْ مَرَاضِعِي المُدَامُ

يُطَالِعُنَا الصَّبَاحُ بِبَطْنِ حُزْوَى فَيُنْكِرُنَا ويَعرفُنا الظَّلامُ

وكانَ بِهِ البَشَامُ* مُرَاحَ أُنْسٍ فَماذا بَعدَنا فعل البَشَامُ؟

فيا شَرْخَ الشبابِ أَلاَ لِقَاءٌ يُبَلُّ بِهِ على يَرْحٍ أُوامُ*؟

ويا ظِلَّ الشّبابِ وكُنْتَ تَنْدَى على أفياءِ سَرْحَتِكَ* السّلامُ [2]

* أبو العبّاس أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي المعروف بابن العريف، كان صاحب منظوم بديع، وأكثر شعره في طريقة الزهد والتصوّف، فمن ملح نظمه قوله: [من البسيط]

سَلُوا عنِ الشَّوْقِ من أهْوَى فإنّهمُ أدْنى إلى النّفْسِ مِنْ نَفْسي ومِنْ نَفَسِي

ما زلتُ مُذْ سكنوا قلبي أصونُ لهم لَحْظِي وسَمْعِي ونُطْقِي إذْ همُ أُنُسِي

فَمَنْ رَسولٌ إلى قلبي ليسألَهُمْ عَنْ مُشْكِلٍ مِنْ سُؤَالِ الصَّبِّ مُلْتَبِسِ

حَلُّوا فؤادي فمَا يَنْدَى وَلَوْ وَطِئُوا صَخْراً لجَادَ بمَاءٍ منه مُنْبَجِسِ

وفي الحشَى نزلوا والوَهْمُ يَجْرَحُهُم فكيف قَرّوا على أَذْكَى مِنَ القَبَسِ

[1] - نفسه، ص219/ المقري، المصدر نفسه، ج3 ص201/ وفي فضائل الأندلس وأهلها، ص41 وفيه البيت الثالث: قد رقّ حتى ظنّ قرصا مفرغا من فضة في بردة خضراء

والكلمة الأولى في البيت الرّابع وهو الثالث عند ابن سعيد، هي" غدت "بدلا من" أمست "وما بين هذا البيت والبيت الأخير في الرّايات بيت آخر للمقرّي، وهو: ولطالما عاطيت فيه مدامة صفراء تخضب أيدي الندماء

* البشام: شجر طيب الريح يستاك به. ابن سيدة المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، ج8 ص83/ الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي، أساس البلاغة، دار الفكر- دمشق، 1399هـ- 1979م، ص40.

* الأوام: العطش، نفسه، ج10 ص586/ الزمخشري، نفسه، ص25.

* السّرحة: واحدة السّرْح، وهو شجر كبار طوال لا يرعى وإنّما يستظلّ فيه. نفسه، ج3 ص187/ الزبيدي محمد مرتضى الحسيني، نفس المصدر، ج6 ص462.

[2] - ديوان ابن خفاجة، ص 280-281/ ابن الأبار، المصدر نفسه، ج1 ص124-125/ ابن خاقان، المصدر نفسه، ج3 ص471/ ابن دحية، نفس المصدر، ص108.

لأنهضنَّ إلى حَشْري بحُبِّهم لا بَارَكَ الله فيمَنْ خَانهم قَبَسِي[1]

ومن شعره أيضا: [من البسيط]

شدّوا الرّحلَ وقد نالوا المُنى بمنًى وكُلّهُم بأليم الشّوق قد باحَا

راحت ركائبُهم تَنْدى روائحُها طيبًا بما طلبَ ذاكَ الوفدُ أشباحا

نسيمُ قبرِ النبيّ المصطفى لهُمُ راحَ إذا سَكروا من أجله فاحَا

يا راحلينَ إلى المختار من مضرٍ زُرتُمْ جُسومًا وزرنا نحنُ أرواحَا

إنّا أقمنَا على شوقٍ وعنْ قَدَرٍ ومنْ أقامَ على عُذْرٍ كمن راحَا[2]

* أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد النفزي المعروف بالمرسي، ويذكر أنّه كان له منظوم كثير في الزهد وما في معناه[3] ، ويورد القاضي عياض له شعرا أنشده إيّاه في الزهد للفقيه أبي محمد بن علي الجوزي، قال: [من الكامل][4]

يا منْ عدَا ثمّ اعْتَدَى ثمّ اقْترفْ ثمّ ارْعَوَى ثمّ انْتهَى ثمّ اعْترَفْ

أبْشِرْ بقوْلِ الله في تنزيلِهِ "إنْ ينْتهُوا يُغْفَرْ لهمْ ما قدْ سلَفْ"[5]

* الأديب ميمون الهواري القرطبي، له شعر فيما جرى بين أبي الوليد بن رشد وأبي محمد بن أبي جعفر بن وضّاح في التفضيل بين " لا إله إلاّ الله " وبين " الحمد لله "، فغلب أبو الوليد " الهيللة " ولم يُلق أبو الوليد إلاّ " الحمد لله "، فقال ميمون هذا يخاطبه زاريا عليه، وكتب بها إليه: [الطويل]

أعد نظرًا فيما كتبتَ ولا تكُنْ بغيْرِ سهامٍ للنّضال مُسارِعَا

فدونكَ تسليمَ العلوم لأهلِها وحسبُكَ منها أن تكونَ مُتابِعا

---

[1] - ابن الأبار، المعجم، ص29/ابن سعيد، المغرب، ج2 ص212/ ابن الزيّات التادلي، نفس المصدر، ص98.

[2] - المقري، المصدر نفسه، ج4 ص331/ الضبي، نفس المصدر، ص142-143/ ابن الزيّات التادلي، نفسه، ص100 مع تحوير في بعض الألفاظ.

[3] - ابن الأبار، نفسه، ص221/ ابن الزبير، نفس المصدر، ج3 ص97.

[4] - الغنية، ص157/ والبيتان في التعريف بالقاضي عياض لولده محمد، ص74/ كما ينسب هذين البيتين للإمام أبي منصور عبد القاهر بن الطاهر التميمي البغدادي الشافعي (ت429هـ/1037م)، مع تغيير في لفظ " تنزيله " بكلمة " آياته ". السبكي تاج الدين بن علي بن عبد الكافي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو- محمود محمد الطناحي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الجيزة، ط2، 1413هـ- 1992م، ج5 ص139/ ابن عساكر الدمشقي علي بن الحسن بن هبة الله، تبيين كذب المفتري فيما ينسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، دار الكتاب العربي، بيروت،ط3، 1404هـ، ص254/ العيدروسي عبد القادر بن شيخ بن عبد الله، تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 1405هـ ، ص252.

[5] - وهذا الشطر مأخوذ من قوله تعالى: [قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الأَوَّلِينَ]، الآية 38 من سورة الأنفال.

أَخْلِقْ ابنَ رُشْدٍ كالذين عَهِدْتَهُمْ وَهُمْ دُونَهُ تَلْقَهُمْ زَبْرَ المُوَاقِعَا[1]

* أبو موسى عمران بن جعفر بن محمد الصنهاجي، من أهل حمص الأندلس(من أعلام القرن 6هـ)، له قصيدة طويلة ذكر منها السِّلفي بيتان:[الطويل]

أَنَرْتَ مَنَارَ الدّينِ وَهْوَ على شفا وأسْرَجْتَ نورَ الحقِّ وَقَدْ قَدَا

ومن كانَ نصرُ الله خادِمَ سَيْفِهِ غدا الدّهرَ منصورًا وراحَ مُؤَيِّدَا[2]

* الحرّة حوّاء بنت تاشفين، كانت أديبة شاعرة جليلة ماهرة، تحاضر الشعراء بمجلس الكتبة والشعراء بمراكش وتنتقد عليهم، وهي التي مدحها أبو جعفر الأعمى التطيلي، وتوسّل إليها بالجوار في إشبيلية وسمّى إخوتها بقوله: [البسيط]

يا أخت خير ملوك الرضا إن قصدوا وإن أعدوا وإن سموا وإن نسبوا

محمد و أبو بكر وعزهم يحي وحسبك عزّا كلّما حسبوا

ثلاثة هم مدار الناس كلّهم كالدّهر ماض و موجود ومرتقب[3]

* ورقاء بنت ينتان الحاجة (توفيت بعد 540هـ/1145م)، من أهل طليطلة وسكنت فاس، وكانت أديبة شاعرة.[4]

* زينب بنت إبراهيم بن تيفلويت، زوج أبي الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين، كانت تحفظ جملة وافرة من الشعر، وكانت له أخت تسمّى حوّاء عرفت بالصلاح والخير.[5]

* أبو المجد خزرون البربري الإشبيلي (من أعلام النصف الأول من القرن 6هـ)، له من قصيدة في يحي بن الحاج من أمراء المرابطين: [الكامل]

هذا النسيم يهُزُّ من زهر الرُّبَى فَوُـ الحمامة يا غَضَا* تَنْدُبَا

أبكى أوار البرق مُقلة دِيمَـةٍ فاستضحكَتْ ثغر الأقَاحَة أشْنَبَا*[6]

* محمد بن عبد الرحمن العقيلي، الوادي آشي الجراوي (من أعلام النصف

---

[1] - ابن الأبار، المقتضب من كتاب تحفة القادم، ص70.
[2] - السلفي، معجم السفر، ص318/ السلفي، أخبار وتراجم أندلسية، ص100.
[3] - ابن عبد الملك المراكشي، نفس المصدر،س8 ق2 ص498/ محمد الأمين بلغيث، دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر، 1426هـ- 2006م، ص67.
[4] - ابن الأبار، التكملة، ج4 ص256.
[5] - ابن الأبار، المصدر نفسه، ج4 ص255-256/ ابن عبد الملك المراكشي، المصدر نفسه، س8 ق2 ص494 وص498-499.
* الغضا: نوع من الشجر، ابن سيدة، المصدر نفسه، ج6 ص4.
* ثغر أشنب وفيه شنب: وهو رقته وصفاؤه وبرده، الزمخشري، نفس المصدر، ص339.
[6] - ابن الأبار، المقتضب، ص92.

الأول من القرن6هـ)، كان شاعرا مطبوعا، خاطب أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين بقصيدة طويلة تنفكّ منها ثلاث قصائد، وقال في وصفها: [الطويل]

أيَـا ملكًـا يسمُـو بسعدٍ مساعدِ   وقدرٍ على علو الكواكب صاعدِ

نظمتُ قَصيدًا في عُلاكَ مضمّـنًا   ثلاث قوافٍ في ثلاث قصائد

إذا فُصِلَتْ أغنى عن البعض بعضها   وإن وُصلت كانت ككفٍّ وساعدِ

فدونكـها حسناءَ عذراءَ ناهدًا   تميسُ اختيالاً فـي مُلاءِ المحامِـد

وطـولك في تشـريفها بقبـولهـا   تكونُ بجيد المجـد إحدى القلائـد

فأجازه عليها بتنويه كريم، وكتب صكًّا بتحرير أملاكه كما ابتغى.[1]

* أبو العبّاس أحمد بن الحسن بن سيّد الجراوي المالقي (ت560هـ/1164م) ، كان شاعرا محسنا، ومن شعره: [الطويل]

وبيـن ضلـوعي للصبـابـة لوعة   بحكم الهوى تقضـي علي ولا أقضي

جنى ناظري منها على القلب ماجنى   فيا من رأى بعضا يعين على البعض[2]

* أبـو مـروان عبـد الملـك بـن أحمـد بـن أبـي يـدّاس الصـنهاجي الجيـاني (510-560هـ/1116-1164م)، الذي كان راوية للأشعار ذا حظ في قرض الشعر.[3]

ج)- علـوم اللغـة: لـم تـورد كتـب التـراجم إلاّ القليـل مـن الشخصـيات البربريـة التـي تخصّصت في هذا الميدان أثناء عهد المرابطين، ومن هؤلاء نجد الأسماء التالية:

* ابـن أخـت غـانم[4]، الـذي كـان متفنّنـا فـي علـوم شـتّى إلاّ أنّ الأغلـب عليـه علـم اللغة وفيه أكثر تواليفه[5]، وقال ابن عات في الريحانة كان من أحفظ أهل زمانـه للغـة لاسيما كتب أبي زيد والأصمعي[6]، وذكر صاحب أعلام مالقة " أنّـه كـان مـن شيوخها

---

[1] - ابن عبد الملك المراكشي، نفسه، س6 ص368.
[2] - نفسه، س1 ق1 ص93/ ابن الأبار، التكملة، ج1 ص63-64.
[3] - ابن عبد الملك المراكشي، المصدر نفسه، س5 ق1 ص9/ ابن الأبـار، المصـدر نفسـه، ج3 ص82/ السيوطي، نفس المصدر، ج2 ص108.
[4] - أبـو عبـد الله محمـد بـن سليمان بـن أحمـد النفـزي المـالقي المعـروف بـابن أخـت غـانم (473-525هــ/1080-1131م). الضـبي، نفـس المصـدر، ص67/ القاضـي عيـاض، نفـس المصـدر، ص59-62/ ابـن بشـكوال، نفـس المصدر، ج2 ص452/ ابن خير الإشبيلي، نفس المصدر، ص300-301 و360 و381/ الـودي آشـي محمـد بـن جابر، نفس المصدر، ص184.
[5] - ابن سعيد، نفس المصدر، ج1 ص433/ المقري، نفس المصدر، ج3 ص397.
[6] - السيوطي، نفسه، ج1 ص116.

الجلة، أهل الأدب والرواية والثقة، روى كثيرا من كتب الأدب وغيرها[1] ، وقد أورد القاضي عياض بعضا من الكتب التي أخذها عنه[2]، ورحل الناس إليه من كلّ بلد، وسكن قرطبة مدّة وأقرأ بها، وكان لا يأخذ أجرا على القراءة، وممّن أخذ عنه بقرطبة ابن بشكول[3]، وبإشبيلية ابن خير الأموي.[4]

* أبو الأصبغ عبد العزيز بن محمد بن مفرج بن سليمان بن يحي بن سليمان بن عبد العزيز القيسي الشاطبي المعروف بالمكناسي، الذي كان من أهل الأدب.[5]

* الأديب أبو عبد الله محمد بن عبد بن عيسى الكتامي المعروف بابن المدرة، من ساكني قصر عبد الكريم، صحب أبا العبّاس بن العريف، وأخذ عن أبي القاسم بن الأبرش، وكان من المتحققين بالآداب.[6]

* أبو الحسن حلالة بن الحسن الفهري المديوني الإقليشي، سكن غرناطة بعد أن تجوّل في بلاد الثغر وعلّم فيها بالنحو والأدب، وكانت له معرفة بذلك، وألف في العروض كتابا سمّاه " تلخيص الفصول وتخليص الأصول في علم العروض ووزن القريض".[7]

* أبو العبّاس أحمد بن حسن بن سيّد الجراوي المالقي، الذي كان من كبار النحاة والأدباء بالأندلس، وقد درّس النحو والأدب كثيرا.[8]

* أبو مروان عبد الملك بن أحمد بن أبي يدّاس الصنهاجي الجياني، الذي كان نحويا، لغويا، أديبا ذاكرا للآداب.[9]

---

[1] - أبو عبد ابن عسكر وأبو بكر ابن خميس، أعلام مالقة، تقديم وتخريج وتعليق: عبد المرابط الترغي، دار الأمان للنشر والتوزيع- الرباط بالاشتراك مع دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط1، 1420هـ- 1999م، ص80-81.

[2] - من هذه الكتب:" الكامل" لأبي العبّاس المبرّد،" إصلاح المنطق" ليعقوب بن السّكيت،" الأمالي" لأبي علي البغدادي، و" مختصر العين" للزبيدي وغيرها. الغنية، ص59-61.

[3] - الصلة، ج2 ص452.

[4] - ابن خير الإشبيلي، نفسه، ص407.

[5] - ابن الأبار، نفسه، ج3 ص92.

[6] - نفسه، ج2 ص18.

[7] - ابن الأبار، المصدر نفسه، ج1 ص234.

[8] - نفسه، ج1 ص63-64/ السيوطي، المصدر نفسه، ج1 ص302/ ابن عبد الملك المراكشي، المصدر نفسه، س1 ق1 ص92.

[9] - السيوطي، نفسه، ج2 ص108/ ابن عبد الملك، نفسه،س5 ق1 ص9.

* أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن فرج بن سليمان بن عبد العزيز القيسي الشاطبي، المعروف بابن تريس المشهور بالمكناسي، الذي كان بصيرا بالنحو وله فيه تأليف سمّاه " الابتداء بهمزة الأمر والإيواء ".[1]

*أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن خليفة النفزي، الذي كان أديبا مفوّها.[2]

3.6. العلوم العقلية: لم تحفل كتب التراجم والطبقات بأسماء كثيرة للبربر الذين برزوا في هذه العلوم، وهو ما يؤكّد قلة اشتغالهم بها على غرار أغلب أفراد المجتمع الأندلسي، ومن بين الشخصيات القليلة التي حفظتها لنا كتب التراجم والطبقات، نجد الأسماء التالية:

* أبو الأصبغ عبد العزيز بن محمد القيسي الشاطبي المعروف بالمكناسي، الذي أقرأ بغرناطة الحساب، وكان عالما بالعلوم الرياضية.[3]

* أبو عبد الله محمد بن تاشفين بن يوسف بن أبي بكر بن بيمد بن سرحوب، وكان ذا معرفة جيّدة بمجاري الكواكب.[4]

* محمد بن عبد الرحمن العقيلي، الوادي آشي الجراوي، الذي كان إلى جانب معرفته بالفقه والأدب، حسن المشاركة في الطبّ.[5]

4.6. العلوم الأخرى: شارك البربر في الأندلس خلال العهد المرابطي مشاركة علمية معتبرة في العلوم الدينية وعلوم اللغة وآدابها – كما سبقت الإشارة إلى ذلك - ولم يكونوا بمعزل عن بقية العلوم الأخرى كعلم الكلام والفلسفة والأخبار، فقد حفظت لنا كتب التراجم بعض الأسماء نذكرها فيما يلي:

* أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن إبراهيم بن وزمّر الحجاري ، الذي صنّف لعبد الملك بن سعيد كتاب " المسهب في غرائب المغرب " في نحو ستة أسفار، وهو كتاب تاريخي جغرافي، ابتدأ فيه من فتح الأندلس إلى التاريخ الذي دوّنه فيه، وهو سنة ثلاثين وخمسمائة[6]، كما تضمّن الكتاب تراجم أدباء وشعراء وقطع ممّا أثر عنهم من النثر والشعر، ويعتبر " المسهب " أصل كتاب " المغرب في حلى المغرب " لبني

[1] - ابن الأبار، نفسه، 28/2-29.
[2] - نفسه، ج1 ص129.
[3] - نفسه، ج3 ص92.
[4] - ابن عبد الملك المراكشي، نفسه، س8 ق1 ص283.
[5] - ابن عبد الملك المراكشي، المصدر نفسه، س6 ص368.
[6] - المقري، المصدر نفسه، ج2 ص329.

سعيد الذين نسبوا إلى الحجاري ما يزيد عن مائتين وخمسين نقلا، وأورد له المقري في الفصل الأول الخاص بجغرافية الأندلس من " النفح " ما يزيد عن عشرين قطعة كبيرة هي من أحسن ما نقرؤه فيه.[1]

وكانت جغرافيته تحتوي على وصف عام للأندلس وفضائله نقلا عن الرّازي وابن حيّان أو الإدريسي ومن سبقه من الجغرافيين، ثمّ يلي ذلك حديثه عن كور الأندلس وخصائصها الجغرافية الطبيعية التي لها علاقة بالشعر لجمالها، وما أنجبه كلّ بلد من أدباء وشعراء وأهل العلم، وقد شرح علي بن سعيد في مقدمة " المشرق في حلى المشرق " طريقته في تأليفه، مذكّرا بأنّها نفس الطريقة التي اتبعها الحجاري في مسهبه، فقال: " كلّ من التصنيفين مرتّب على البلاد، متى ذكر بلد ذكَرْتَ كوره، وأتكلم عليه وعلى كلّ كورة منه، وابتدئ بكرسي مملكتها وقاعدة ولايتها، بحسب مبلغ علمي من إعلام بمكانها من الأقاليم، ومن بناها وما يحفّ بها من نهر أو منزه أو خاصّة معدنية ونباتية، ومن تداول عليها من أبناء الملوك أولى التواريخ التي لا يجب إغفالها، ثمّ نأخذ في الطبقات واحدة بعد أخرى، وهي خمس: المنصّة، التاج، السّلك، الحلّة، الأهداب.[2]

وممّا تقدّم يتضح أنّ الحجاري صنّف كتابه " المسهب " على أساس التوزيع الجغرافي للأعلام وأهل الأدب مستفيدا من رحلاته وتنقلاته عبر نواح كثيرة من الأندلس في إثبات مشاهداته وملاحظاته عن الأماكن التي زارها، ونجده يقسّم الأندلس الكبير كما كان بحدوده أيّام الخلافة الأموية: إلى موسطة وشرق وغرب، وهو تقسيم سبقه إليه ابن بسّام، إلاّ أنّه كان مجرّد تقسيم للتسهيل والتيسير، أمّا الحجاري فقد حدّد من خلاله معالم الجغرافية الأدبية والفكرية وسار بها شوطا بعيدا نحو الجغرافية.[3]

* أبو العبّاس أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الصنهاجي المعروف بابن العريف، الذي ابتدع طريقة جديدة في التصوّف، بيّن أصولها في كتابه " محاسن المجالس"[4]، وهو يعتبر صدى بعيدا لمدرسة ابن مسرّة، ويذكر آسين

---

[1] - حسين مؤنس، نفس المرجع، ص146.

[2] - شوقي ضيف في مقدّمة تحقيقه للمغرب، ج1 ص9.

[3] - حسين مؤنس، المرجع نفسه، ص160.

[4] - يختصر كتاب ابن العريف هذا في" محاسن المجالس " وهو المسمّى: " النفايس ومحاسن المجالس وشبكة الألباب وملاطفة الأحباب ". دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص59/ الطاهر أحمد مكي، دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، دار المعارف-القاهرة، ط3، 1407هـ- 1987م، ص352-359.

بلاسيوس أنّ هذه الطريقة تتلخص في" الزهد في كلّ شيء ماعدا الله، بما في ذلك الزّهد في المنازل الصّوفية والعطايا والمواهب الإلهية والكرامات وما إليها من المنن التي يهبها الله للنّفس الإنسانية "[1]، ويرى ابن العريف أنّ هذه المنن تكون للعوام دون الخواص من الرّاغبين في سلوك الطريق إلى الله.[2]

ولابن العريف كتاب آخر ضمّنه الكثير من أشعار الزهد تحت عنوان " مطالع الأنوار ومنابع الأسرار"، الذي سبقت الإشارة إليه.

* أبو محمد عبد □ بن محمد بن عبد □ بن محمد النفزي المعروف بالمرسي، كان رجلا صالحا، كثير الذكر لله تعالى، وله تواليف في الزهد منها: " الفوائد المبسوطة "، " بستان المتقين "، " رياض العابدين "، " سبيل الهدى " وغير ذلك.[3]

* أبو القاسم عبد الغفور بن عبد الله بن محمد النفزي المرسي (ت539هـ/1144م)، له تواليف منها: كتاب " التبتل في العبادات " اقتضبه من المصنّفات وكتاب" الشاهد في الرقائق.[4]

* أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الباري الهواري البطروشي، كان حافظا للتواريخ ومولد الرجال ووفياتهم، متقدّما في ذلك على أهل عصره.[5]

* أبو علي المنصور بن محمد بن الحاج داود بن عمر الصنهاجي اللمتوني، وكان عارفا بالأخبار والسنن والآثار، منافسا في الدواوين والأصول العتيقة، وجمع من ذلك ما لم يجمعه أحد من أهل زمانه، وهو فخر لمتونة العلمي ليس لهم مثله ممّن دخل الأندلس.[6]

* أبو الحسن علي بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن الضحّاك الفزاري الغرناطي المعروف بابن الفزي، كان متكلّما، ومن تواليفه في غير الفقه والحديث كتاب " نزهة الأصفياء وسلوة الأولياء في فضل الصلاة على خاتم الرّسل وصفوة الأنبياء " في

---

[1] - بالنثيا، نفس المرجع ، ص369.
[2] - نفسه، ص370.
[3] - ابن الأبار، المعجم، ص221.
[4] - ابن الأبار، التكملة، ج3 ص131.
[5] - ابن بشكوال، نفس المصدر، ج1 ص82.
[6] - ابن الأبار، نفسه، ج2 ص193- 194/ وفي المعجم، ص199-200/ ابن عبد الملك، المصدر نفسه، س8 ق2 ص378.

اثني عشر جزء، وكتاب " زواهر الأنوار وجواهر ذوي البصائر والاستبصار في شمائل النبيّ المختار "في سفرين كبيرين، ومن الواضح أنّها كتب في السّيرة النّبوية، وكتاب "تحقيق القصد السَّني في معرفة الصمد العليّ "في سفر، ويبدو أنّه كتاب في التوحيد وغيرها.[1]

* أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مفرّج بن سليمان بن عبد العزيز القيسي الشاطبي الشهير بالمكناسي، الذي كانت له مشاركة في حفظ التواريخ.[2]

* أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن خليفة النفزي الدّاني، الذي كان إخباريّا.[3]

* أبو محمد عبد الله بن سهل المصمودي الكفيف المرسي (توفّي بعد 560هـ/1164م)، وكان من أهل المعرفة بإقراء علم الكلام وغيره من العلوم القديمة.[4]

* أبو مروان عبد الملك بن أحمد بن أبي يدّاس الصنهاجي الجياني، الذي كان راوية للأخبار.[5]

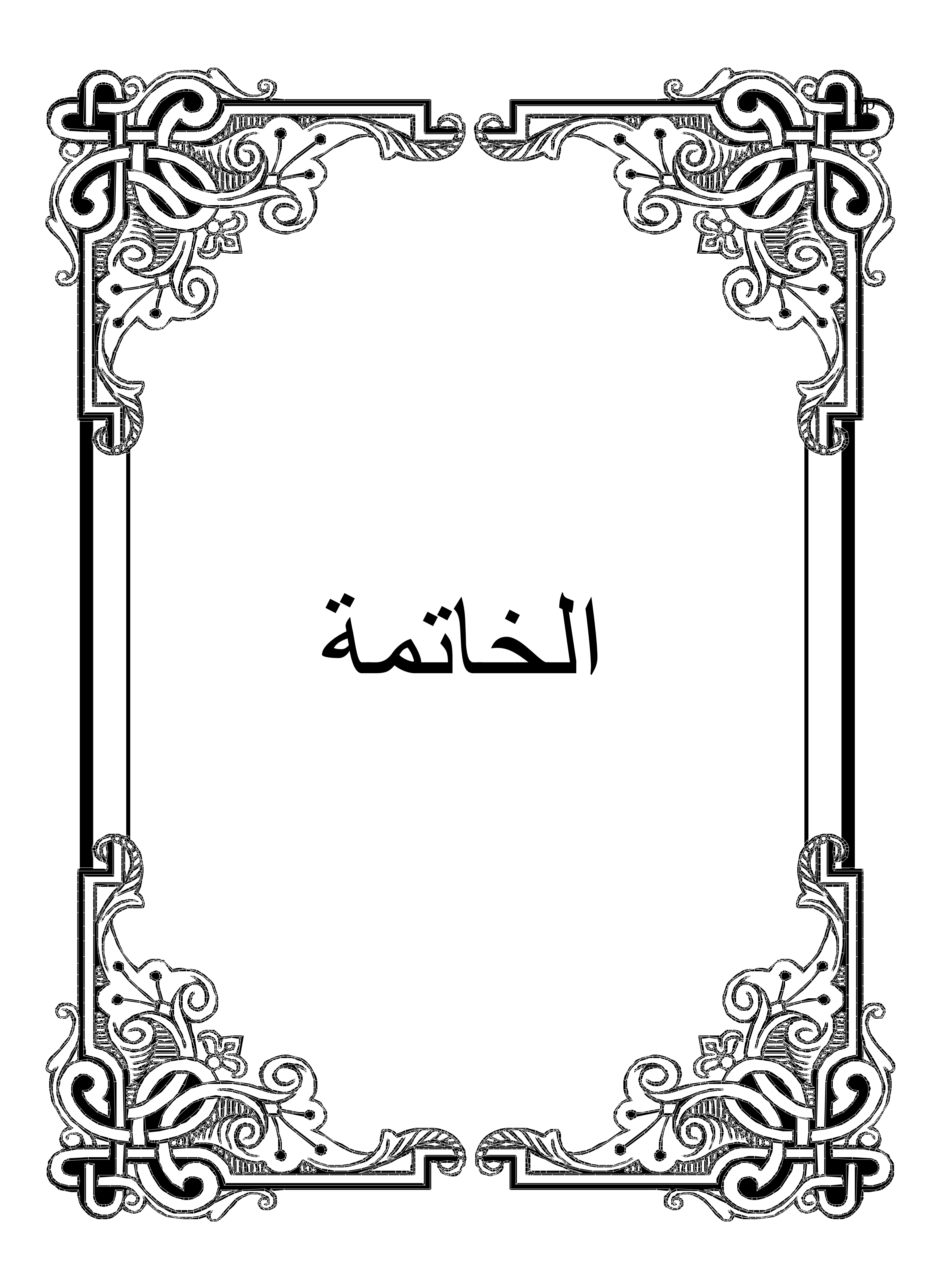
وجملة القول أنّ المشاركة العلمية البربرية خلال العهد المرابطي بالأندلس كانت حاضرة بشكل معتبر، ويؤكّد ذلك عدد المترجم لهم الذي يفوق كلّ العهود السّابقة بلغة الأرقام[6]، ويلاحظ أنّ هذه المشاركة مسّت كلّ صنوف العلم، وإن كان الغالب عليها العلوم الدينية بالدرجة الأولى وتليها العلوم اللغوية وآدابها، في حين تأتي العلوم العقلية والعلوم الأخرى في المقام الثالث بمشاركة محتشمة لقلة الاهتمام بها، ولأنّها كانت في رؤية المجتمع وكثير من العلماء - لا سيما في العهد المرابطي- علوما تؤدّي إلى الكفر والزّندقة (علوم الأوائل والفلك) وتقصي من يشتغل بها وتعرّضه للتهميش من قبل شريحة كبيرة من المجتمع، بخلاف العلوم الشرعية يتقدّمها الفقه الذي كان يكسب صاحبه الاحترام والحصول على المكاسب.

---

1 - ابن الخطيب، نفس المصدر، ج4 ص149/ ابن فرحون، نفس المصدر، ص303.
2 - ابن الأبار، التكملة، ج2 ص28-29.
3 - نفسه، ج1 ص129.
4 - ابن الزبير، نفس المصدر، ج3 ص107.
5 - السيوطي، نفس المصدر، ج2 ص108/ ابن عبد الملك المراكشي، المصدر نفسه،س5 ق1 ص9.
6 - ينظر الجدول في الصفحة الموالية.

جدول إحصائي لعدد علماء وأدباء البربر في الفترة الممتدّة من 371هـ/982م إلى 539هـ/1144م

فرع العلوم	من العهد العامري إلى زوال الخلافة الأموية (371-422هـ)	عصر ملوك الطوائف (422-484هـ)	عهد المرابطين (484-539هـ)
الفقه	22	17	34
ع.الحديث	16	10	28
ع.القرآن	10	08	18
الأدب (النثر)	05	12	09
الأدب(الشعر)	07	11	12
ع.اللغة	15	02	08
ع.العقلية	02	01	03
ع.أخرى	07	05	11
المجموع	84	66	123



الخاتمة

إنّ الحضارة الإسلامية قدّمت السّاجد على المساجد والإنسان على العمران والعالم على الجاهل، وانصهر جميع من اعتنق الإسلام شرعة ومنهاجا في بوتقة واحدة، يخدم الإسلام بنفسه وماله وعقله، مشاركا في ترقية الأمّة والنهوض بحضارتها، وفي هذا الإطار كان للبربر دور لا يستهان به في تاريخ وحضارة الأندلس، بما قدّموه دفاعا عن بيضة الإسلام، وبما أسهموا به في التاريخ الفكري للمنطقة.

إنّ الإسهام الفكري للبربر بالأندلس من العهد العامري إلى نهاية الوجود المرابطي (371-539هـ/981-1144م)، يعتبر امتدادا لمشاركتهم العلمية بالأندلس منذ استقرار الدولة الأموية وتأسيسها لأولى القواعد، التي ستبنى عليها النهضة العلمية لاحقا، لتكتمل في أبهى حللها خلال عهد الخلافة وما بعده.

إنّ المتتبّع لقائمة العلماء التي استخرجناها من كتب التراجم والطبقات، لامناص أنّه سيكتشف حقيقة مزاحمة العنصر البربري لبقية العناصر الأندلسية حينئذ، في حلقات العلم للتحصيل والأخذ بأسبابه والتدرّج في مراتبه والتشعّب في مختلف صنوفه، والشاهد على ذلك أنّه لم تخل مدينة من المدن التي استقرّ بها البربر في الأندلس إلاّ وكان بها نخبة من علماء البربر، لها وزنها على السّاحة الفكرية بالمدينة التي يسكنها، بل إنّ الكثير منهم ذاع صيتهم في سماء الأندلس وأحوازها، ومنهم من طارت شهرته حتى بلغت أرجاء بلاد المشرق.

إنّ ممّا لاشك فيه أنّ علماء البربر بالأندلس لم يكونوا بنفس الدّرجة من التميّز والتبحّر في ميادين العلم المختلفة، إلاّ أنّ الحقيقة التي لا يختلف فيها اثنان هي أنّ معظم هؤلاء كان لهم نصيب من الفقه على مذهب مالك ومدرسة المدينة، كما كان جلّهم أحفظ لكتاب تعالى، وكثير منهم على علم بأحكامه وقراءاته المعروفة، وإن ثبت عندهم القراءة برواية ورش عن نافع، التي ما تزال متداولة إلى يومنا هذا في معظم الأقطار المغاربية.

وتجدر الإشارة إلى تلك الطائفة التي تميّزت منهم فنافست غيرها, كلّ في مجال تخصّصه، فحازت درجة السّبق وأثبتت جدارتها, فاستحقت مكانتها وحظيت برضى الخاصّة والعامّة، ذلك أنّها تمكّنت من آليات صنعتها أيّما تمكّن, فكان منهم الخطيب البليغ والإمام الألمعي والشاعر المفلق والأديب الأريب والعالم المتضلّع.

إنّ الانطباع الذي يمكن أن نخرج به من بحثنا هذا, هو أنّ البربر كانوا طرفا فاعلا في المجتمع الأندلسي أثرا وتأثرا، إذ لم يعيشوا حياة عزلة بل كانوا على ارتباط وثيق بمحيطهم، تجمعهم وشائج الأخوّة التي يعزّزها الانتماء إلى الدين والوطن الواحد، ومن ثمّ أقبلوا على العلم بشغف ونهلوا من معينه الصّافي ما استطاعوا، يشدّهم التقرّب إلى مقلب القلوب، ويحدوهم الأمل إلى بلوغ المرامي.

وإنّه من الأهمّية بمكان أن يعلم أبناء الأمّة الإسلامية – دون مزايدة- رأنّ البربر لهم نصيبهم – مهما قلّ أو كثر- من المشاركة في التراث الإسلامي المتداول بين أيدينا، وكتب التراث نفسها في الفترة المذكورة ساقت بما فيه الكفاية تراجم العبّاد والزهّاد وأصحاب السّيف وأرباب القلم من أبناء البربر، الذين يشكلون جزءا لا يتجزّأ من ماضي هذه الأمّة.

ولم تتوقف المشاركة العلمية للبربر في الأندلس على عهد من العهود، بل ظلت متواصلة على مرّ العهود، كما لم تتأثر بتغيّر الدول والأحوال والسياسات، وكانت فترة المرابطين – التي وصفت بالجمود ظلما وزورا من قبل بعض الأقلام العدوّة والصديقة قديما وحديثا - أوسع هذه العهود مشاركة لأبناء البربر.

هذه هي جملة النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث، على أمل أن يكون عملي هذا قد وضع القطار على السكة من أجل . حكم أكثر موضوعية يعطي للتاريخ الإثني حقه دون إقصاء ولا تهميش.

والذي اعتقده أنّ البربر لم ينالوا بعد حقهم من الكتابة التاريخية، التي تجلي الغموض وتعرّف بدورهم وفضلهم على الحضارة الأندلسية الإسلامية، ولعلّ هذا ما سيفتح الباب والآفاق أمام بعض الباحثين ليشقوا طريقهم تجاه البحث التاريخي المتعمّق للبربر في الأندلس من مختلف الزوايا.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمرايجع

أ - القرآن الكريم:

ب – كتب الصحاح:

1- أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني (ت241هـ/855م): مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسّسة قرطبة- القاهرة، (د.ت).

2- البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت256هـ/870م): الجامع الصحيح المختصر، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير- اليمامة- بيروت، ط3، 1407هـ- 1987م.

3- الترمذي محمد بن عيسى السلمي (ت279هـ/892م): الجامع الصحيح لسنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي- بيروت، (د.ت).

ج - المصادر:

4- ابن الأبار محمد بن عبد الله القضاعي (ت658هـ/1260م): الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف- القاهرة، ط2، 1985م.

5- ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة- بيروت، 1415هـ-1995م.

6- ابن الأبار: المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري- القاهرة، دار الكتاب اللبناني- بيروت، ط1، 1410هـ- 1989م.

7- ابن الأبار: المقتضب من كتاب تحفة القادم، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري- القاهرة، دار الكتاب اللبناني- بيروت، ط3، 1410هـ- 1989م.

8- ابن الأبار: إعتاب الكتاب، تحقيق صالح الأشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط1، 1380هـ-1961م.

9- الأتابكي يوسف بن تغري بردي (ت875هـ/1470م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسّسة المصرية العامّة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر- القاهرة، د.ت.

10- ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي الكرم الجزري (ت630هـ/1233م): الكامل في التاريخ، تحقيق عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط2، 1415هـ.

11- ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر- بيروت، 1400هـ- 1980م.

12- ابن الأحمر إسماعيل (ت807هـ/1405م): بيوتات فاس الكبرا، دار المنصور للطباعة والوراقة- الرباط- 1972م.

13- الإدريسي أبو عبد الله الشريف (ت560هـ/1165م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة، 1414هـ- 1994م.

14- الأدنه وي أحمد بن محمد: طبقات المفسرين للداودي، تحقيق سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم- السعودية،ط1، 1417هـ- 1997م.

15- ابن الأزرق الأصبحي الأندلسي (ت896هـ/1491م): بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق علي سامي النشار، وزارة الإعلام- العراق،ط1، د.ت، 2ج.

16- الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد (ت370هـ/981م): تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي- بيروت،ط1، 2001م.

17- الأعشى (ت7هـ/629م)- ديوان الأعشى- دار صادر- بيروت- 1994م.

18- الأصبهاني أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد (ت356هـ/967م): الأغاني(أخبار أبي نواس)، تحقيق علي مهنا وسمير جابر، دار الفكر للطباعة والنشر- بيروت، (د.ت).

19- ابن أبي أصيبعة موفق الدين أبو العبّاس (ت668هـ/1270م): عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية- بيروت،ط1، 1419هـ- 1998م.

20- الباجي أبو الوليد سليمان بن خلف (ت474هـ/1081م): النصيحة الولدية، وصية أبي الوليد الباجي لولديه، تحقيق إبراهيم باجس عبد المجيد، دار الوطن- الرياض، ط1، 1417هـ.

21- ابن بسّام أبو الحسن علي الشنتريني (ت542هـ/1147م): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عيّاس، دار الثقافة- بيروت، 1417هـ- 1997م.

22- ابن بسّام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية- بيروت،ط1، 1419هـ- 1998م.

23- ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت578هـ/1183م): ا طلة، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية- صيدا- بيروت،ط1، 1423هـ- 2003م.

24- أبو بكر بن العربي المعافري (ت543هـ/1148م): العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، تحقيق محب الدين الخطيب ومحمد مهدي الاستانبولي، دار الجيل- بيروت،ط2، 1407هـ- 1987م.

25- أبو بكر بن العربي: أحكام القرآن، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الفكر- بيروت، (د.ت).

26- أبو بكر بن العربي، كتاب شواهد الجلة، دراسة وتحقيق محمد يعلى، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي- مدريد، 1996م.

27- البكري أبو عبيد (487هـ/1094م): المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري، الدار العربية للكتاب- بيت الحكمة- قرطاج، 1912م.

28- البكري أبو عبيد: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب- بيروت،ط3، 1403هـ.

29- الثعالبي أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت429هـ/1038م): يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1403هـ- 1983م.

30- ابن جزي الكلبي أبو القاسم الغرناطي (ت741هـ/1340م): التسهيل لعلوم التنزيل، دار الكتاب العربي- بيروت،ط4، 1403هـ- 1983م.

31- ابن جلجل داود بن حسّان (ت بعد 377هـ/ بعد 987م): طبقات الأطبّاء والحكماء، تحقيق فؤاد سيّد، مطبعة دار الكتب القومية- القاهرة، 1426هـ- 2005م، طبعة مصوّرة عن طبعة 1955م.

32- ابن الجوزي عبد الرحمن علي أبو الفرج (ت597هـ/1201م): كشف المشكل من حديث الصّحيحين، تحقيق علي حسين البواب، دار الوطن- الرياض، 1418هـ- 1997م.

33- ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي الشافعي (ت852هـ/1449م): الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل- بيروت، 1412هـ- 1992م.

34- ابن حزم الأندلسي أبو محمد علي بن أحمد (ت456هـ/1064م): طوق الحمامة في الألفة والألاف، تحقيق عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي- حلب،ط1، 1424هـ- 2004م.

35- ابن حزم الأندلسي: الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة السلام العالمية- مطبعة مصر، 1394هـ.

36- ابن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، تحقيق لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية- بيروت، 1421هـ- 2001م.

37- ابن حزم الأندلسي: رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عبّاس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ج1،ط1، 1980م وج4ط1، 1983م.

38- ابن حزم وابن سعيد والشقندي: فضائل الأندلس وأهلها، تحقيق صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد،ط1، 1968م.

39- الحسيني علي بن خليفة الشريف المساكني، فهرسة الشيخ علي بن خليفة المساكني (كان حيا سنة 1131هـ/ 1719م)، تحقيق: محمد محفوظ، دار الغرب الاسلامي – بيروت،ط1، 1992.

40- الحميدي أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الأزدي (ت488هـ/1095م): جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية- صيدا- بيروت،ط1، 1425هـ- 2004م.

41- الحميري محمد بن عبد المنعم (ت727هـ/1326م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عبّاس، مؤسسة ناصر للثقافة- بيروت، طبع على مطابع السراج،ط2، 1980م.

42- ابن حيّان القرطبي أبو مروان بن خلف (ت469هـ/1076م): المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق محمود علي مكّي، دار الكتاب العربي- بيروت،ط4، 1403هـ-1983م.

43- ابن حيّان القرطبي: المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية- صيدا- بيروت،ط1، 1426هـ- 2006م.

44- ابن خاقان الفتح بن محمد (ت529هـ/1135م): مطمح الأنفس ومسرح التأنّس في ملح أهل الأندلس، تحقيق محمد علي شوابكة، مؤسسة الرسالة- بيروت،ط1، 1983م.

45- ابن خاقان الفتح بن محمد: قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، تحقيق حسين يوسف خربوش، مكتبة المنار- اليرموك،ط1، 1409هـ- 1989م.

46- الخزرجي صفي الدين أحمد بن عبد الله (ت بعد 923هـ/ بعد 1517م)، خلاصة تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق عبد الفتاح أبو غدّة، مكتبة المطبوعات الإسلامية- دار البشائر، حلب- بيروت- ط5، 1416هـ.

47- الخشني أبوعبد الله محمد بن حارث (ت361هـ/971م): أخبار الفقهاء والمحدّثين، دراسة وتحقيق ماريا لويس أبيلا ولويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية- مدريد، 1992م.

48- الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي (ت463هـ/1072م): تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية- بيروت، (د.ت).

49- ابن الخطيب لسان الدين (ت776هـ/1374م): أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق إ.ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة، ط1، 1424هـ- 2004م.

50- ابن الخطيب لسان الدين: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية- بيروت،ط1، 1424هـ- 2004م.

51- ابن أبي الخصال محمد بن مسعود أبو عبد الله (ت540هـ/1146م): رسائل ابن أبي الخصال، تحقيق محمد رضوان الدّاية، دار الفكر- دمشق-ط1، 1408هـ- 1987م.

52- ابن خفاجة إبراهيم بن أبي الفتح (ت533هـ/1138م): ديوان ابن خفاجة، تحقيق عبد الله سنده، دار المعرفة- بيروت،ط1، 1427هـ- 2006م.

53- ابن خلدون عبد الرحمن (ت808هـ/1406م): العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق خليل شحاذة وسهيل زكار، دار الفكر- بيروت- 1421هـ- 2000م.

54- ابن خلدون عبد الرحمن: المقدّمة، تحقيق خليل شحاذة وسهيل زكار، دار الفكر- بيروت- 1421هـ- 2001م.

55- ابن خلكان أبو العبّاس (681هـ/1282م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عبّاس، دار صادر- بيروت، ج1 وج3، طبعة 2000م، ج4،ط1، 1971، ج5-ط1، 1994م، ج6،طبعة 1900م.

56- ابن خير الإشبيلي (ت575هـ/1179م): فهرسة ما رواه عن شيوخه ، تحقيق: محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية – بيروت،ط1- 1419هـ- 1998م.

57- ابن دحية الكلبي الأندلسي (ت633هـ/1236م): المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت،ط1، 1429هـ- 2008م.

58-ابن درّاج أحمد بن محمد(ت421هـ/1030م): ديوان ابن درّاج القسطلي، تحقيق محمود علي مكّي،ط2، المكتب الإسلامي- مدريد، 1961م.

59- الذهبي شمس الدين أبو عبد الله (ت748هـ/1348م): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي- بيروت، ط1، 1407هـ- 1987م.

60- الذهبي شمس الدين أبو عبد الله: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة- بيروت،ط9، 1413هـ- 1993م.

61- الذهبي شمس الدين أبو عبد الله: العبر في خبر من عبر، صلاح الدين المُنجد، مطبعة حكومة الكويت- الكويت،ط2، 1984م.

62- الذهبي شمس الدين أبو عبد الله: تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية- بيروت،ط1، (د.ت).

63- الذهبي شمس الدين أبو عبد الله: معرفة القرّاء الكبار على الطبقات والأعصار- تحقيق بشار عوّاد معروف وشعيب الأرناؤوط وصالح مهدي عبّاس، مؤسسة الرسالة- بيروت،ط1، 1404هـ.

64- الرّافعي عبد الكريم بن محمد أبو القاسم (ت623هـ/1226م): التدوين في أخبار قزوين، تحقيق عزيز الله العطاري، دار الكتب العلمية- بيروت، 1987م.

65- ابن رشيق أبو علي (ت463هـ/1071م): ديوان ابن رشيق القيرواني، تقديم وشرح صلاح الدين الهواري، دار الجيل- بيروت،ط1، 1995م.

66- رياض زادة عبد اللطيف (ت1078هـ/1667م): أسماء الكتب، تحقيق محمد التونجي، دار الفكر- دمشق،ط3، 1403هـ- 1983م.

67- ابن أبي زرع الفاسي (741هـ/1340م): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة- الرباط، 1972م.

68- الزبيدي أبو بكر محمد بن الحسن (ت379هـ/989م): طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف- القاهرة، ط2، 1984م.

69- الزبيدي محمد مرتضى الحسيني (ت1205هـ/1790م): تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، (د.ت).

70- ابن الزبير أبو جعفر أحمد بن إبراهيم (ت628هـ/708م): صلة الصلة، تحقيق عبد السلام الهرّاس والشيخ سعيد أعراب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة- المحمدية- المملكة المغربية، 1414هـ- 1994م.

71- الزركشي أبو عبد محمد بن بهادر بن عبد الله (ت794هـ/1392م): البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة- بيروت، 1391هـ.

72- الزمخشري جار الله محمود بن عمر (ت538هـ/1144م): أساس البلاغة، دار الفكر- دمشق، 1399هـ- 1979م.

73- الزهري أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت في أواسط القرن 6هـ)، كتاب الجعرافية، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، المركز الإسلامي للطباعة- الجيزة، (د.ت).

74- ابن الزيّات التادلي أبو يعقوب يوسف بن يحي (ت627هـ/1230م): التشوّف إلى رجال التصوّف، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة، ط1، 1427هـ-2007م.

75- سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيّامهم في الأندلس، تقديم حسين مؤنس في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية- مدريد، المجلد الثاني، 1954م.

76- السبكي تاج الدين بن علي بن عبد الكافي (ت771هـ/1370م): طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الجيزة، ط2، 1413هـ- 1992م.

77- ابن سعيد المغربي (ت685هـ/1286م): المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف- القاهرة، ط3، 1955م.

78- ابن سعيد المغربي: رايات المبرّزين وغايات المميّزين، تحقيق محمد رضوان الدّاية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر- دمشق،ط1، 1987م.

79- السّلفي أبو طاهر أحمد بن محمد الأصبهاني (ت576هـ/1180م): معجم السفر، تحقيق عبد الله عمر البارودي، المكتبة التجارية-مكة المكرّمة، (د.ت).

80- السّلفي أبو طاهر أحمد بن محمد الأصبهاني: أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر للسلفي، تحقيق إحسان عبّاس، دار الثقافة- بيروت، ط1، 1963م.

81- السمعاني أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت562هـ/1167م): الأنساب، تحقيق عبد الله عمر البارودي، دار الفكر- بيروت، ط1، 1998م.

82- ابن السّيّد البطليوسي أبو محمد عبد الله بن محمد (ت521هـ/1227م): الحدائق في المطالب العالية الفلسفية العويصة، تحقيق محمد رضوان الدّاية، دار الفكر- دمشق،ط1، 1408هـ- 1988م.

83- ابن سيّدة المرسي أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت458هـ/1066م): المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 2000م.

84- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ/1505م): بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر- بيروت، ط2، 1399هـ- 1979م.

85- السيوطي جلال الدين: المزهر في علوم اللغة والأدب، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1418هـ- 1998م.

86- السيوطي جلال الدين: طبقات المفسرين، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة- القاهرة، ط1، 1396هـ.

87- ابن شاكر الكتبي محمد بن أحمد (ت764هـ/1363م)، فوات الوفيات، تحقيق: علي محمد بن يعوض الله وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 2000م.

88- ابن صاحب الصلاة عبد الملك (ت بعد 594هـ/ بعد 1198م): تاريخ المنّ بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمّة وجعلهم الوارثين، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الأندلس للطباعة والنشر- بيروت، ط1، 1383هـ- 1964م.

89- صاعد الأندلسي (ت462هـ/1070م): طبقات الأمم، تحقيق حياة العيد بوعلوان، دار الطليعة- بيروت، ط1، 1985م.

90- الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك (ت764هـ/1363م): الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي- بيروت، 1420هـ- 2000م.

91- الصفدي صلاح الدين: مختصر كتاب نكت الهميان في نكت العميان، اختصره عبد الإله بن عثمان الشايع، قرأه وقدمه: عبد العزيز بن محمد السّدخان، دار الصميعي للنشر والتوزيع- الرياض، ط1، 1420هـ- 1999م.

92-الضّبّي أحمد بن يحي (ت599هـ/1203م): بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1417هـ- 1997م.

93-ابن عبد البرّ النمري يوسف بن عبد الله (463هـ/1071م): التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية- المغرب، 1387هـ.

94- ابن عبد البر النمري: جامع بيان العلم وفضله، دار الكتب العلمية- بيروت، 1398هـ.

95- ابن عبد ربّه الأندلسي أحمد بن محمد (ت328هـ/940م): العقد الفريد، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط3، 1420هـ- 1999م.

96- العباسي عبد الرحيم بن أحمد أبو الفتح (ت963هـ/1556م): معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، عالم الكتاب- بيروت، 1376هـ- 1947م.

97- عبد الله بن بلقين (ت بعد 487هـ/ بعد 1094م): كتاب التبيان، تحيق أمين توفيق الطيبي، منشورات عكاظ- الرباط، 1995م.

98- ابن عبد الملك المراكشي أبو عبد □ (ت703هـ/1303م): الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الأول، تحقيق محمد بن شريفة، دار الثقافة- بيروت، (د.ت).

99- ابن عبد الملك المراكشي أبو عبد □: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، بقية السفر الرابع، تحقيق إحسان عبّاس، دار الثقافة- بيروت، 1964م.

100- ابن عبد الملك المراكشي أبو عبد □: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الخامس، تحقيق إحسان عبّاس، دار الثقافة- بيروت، ط1، 1965م.

101- ابن عبد الملك المراكشي أبو عبد □: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر السادس، تحقيق إحسان عبّاس، دار الثقافة- بيروت، ط1، 1973م.

102- ابن عذاري المراكشي أبو العبّاس أحمد بن محمد (كان حيّا سنة 712هـ/1312م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الجزء 2 و3، تحقيق ومراجعة ج.س.كولان و إ.ليفي بروفنسال، دار الثقافة- بيروت، ط2، 1400هـ- 1980م.

103- ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4، تحقيق إحسان عبّاس، دار الثقافة- بيروت، ط2، 1400هـ/1980م.

104- العذري أحمد بن عمر المعروف بابن الدلائي (ت478هـ/1085م): نصوص عن الأندلس من كتاب " ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك "، تحقيق عبد العزيز الأهواني، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية- مدريد، 1965م.

105- العراقي زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين (ت806هـ/1404م): طرح التثريب في شرح التقريب، تحقيق عبد القادر محمد علي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 2000م.

106- ابن عساكر الدمشقي علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت571هـ/1176م): تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلّ بها من الأفاضل، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر- بيروت، 1995م.

107- ابن عساكر الدمشقي أبو القاسم: تبيين كذب المفتري فيما ينسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، دار الكتاب العربي- بيروت، ط3، 1404هـ.

108- ابن عسكر أبو عبد الله (ت636هـ/1338م) وابن خميس أبو بكر: أعلام مالقة، تقديم وتخريج وتعليق عبد الله المرابط الترغي، دار الأمان للنشر والتوزيع- الرباط بالاشتراك مع دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط1، 1420هـ- 1999م.

109- ابن عطيّة المحاربي الأندلسي أبو محمد عبد الحق (ت542هـ/1148م): فهرسة ما رواه عن شيوخه، تحقيق محمد أبو الأجفان ومحمد الزّاهي، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط2، 1983م.

110-ابن العماد الحنبلي أبو الفلاح عبد الحيّ (ت1089هـ/1679م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمد الأرناؤوط، دار ابن كثير- دمشق، ط1، 1406هـ.

111- عياض بن موسى اليحصبي أبو الفضل (ت544هـ/1149م): ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ضبط وتصحيح محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1418هـ- 1998م.

112- عياض بن موسى اليحصبي أبو الفضل: الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض، تحقيق ماهر زهير جرّار، دار الغرب الإسلامي- بيروت،ط1، 1402هـ- 1982م.

113- ابن عياض أبو عبد الله محمد بن القاضي عياض (ت575هـ/1179م): التعريف بالقاضي عياض، تحقيق محمد بن شريفة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية- الرباط، 1983م.

114- العيدروسي عبد القادر بن شيخ بن عبد الله (ت1064هـ/1654م): تاريخ النور السّافر عن أخبار القرن العاشر، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1405هـ.

115- ابن غالب الأندلسي محمد بن أيوب (من أعلام القرن6هـ/12م): قطعة من كتاب " فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس "، نشر لطفي عبد البديع، صحيفة معهد المخطوطات العربية- القاهرة، المجلّد1، ج2 ربيع الأوّل 1375هـ- نوفمبر 1955م.

116- ابن فارس أبو الحسين أحمد القزويني الرازي (ت395هـ/ 1004م)، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل- بيروت، ط2، 1420هـ-1999م.

117- ابن فرحون المالكي إبراهيم بن علي بن محمد (ت799هـ/1397م): الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق مأمون بن محي الدين الجنّان، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1417هـ- 1996م.

118- ابن الفرضي أبو الوليد بن محمد الأزدي (ت403هـ/1013م): تاريخ علماء الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1417هـ- 1997م.

119- الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب (817هـ/1415م): البلغة في تراجم أئمّة النحو واللغة، تحقيق محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي- الكويت، ط1، 1407هـ.

120- الفلاني صالح بن محمد بن نوح بن عبد الله بن عمر العمري (ت1218هـ/1803م): إيقاظ همم أولي الأبصار للاقتداء بسيّد المهاجرين والأنصار، دار المعرفة- بيروت، 1398هـ.

121- ابن القاضي أبو العبّاس أحمد بن محمد المكناسي (ت1025هـ/1616م): جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة- الرباط، 1974م.

122- ابن قدامة المقدسي أبو محمد عبد الله بن أحمد(ت620هـ/1223م): المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، دار الفكر- بيروت، ط1، 1405هـ.

123- ابن القطان الفاسي أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك (ت628هـ/1230م): بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام، تحقيق حسين آيت سعيد، دار طيبة- الرياض، 1418هـ- 1997م.

124- ابن القطان المرّاكشي أبو محمد حسن بن علي (كان حيّا منتصف القرن 7هـ): نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي- بيروت،ط1، 1990م.

125- القلقشندي أحمد بن علي بن أحمد الفزاري (ت821هـ/1418م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق عبد القادر زكار، وزارة الثقافة- دمشق،ط1، 1981م.

126- ابن الكتاني أبو عبد الله محمد بن الحسن بن الحسين المذحجي (ت نحو420هـ/ نحو 1030م): كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق إحسان عبّاس، دار الشروق- بيروت، ط2 مزيدة ومنقحة،1401هـ-1981م.

127- ابن كثير أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت774هـ/1373م): البداية والنهاية، مكتبة المعارف- بيروت، (د.ت).

128- ابن الكردبوس التوزري عبد الملك بن قاسم (ت575هـ/1179م): تاريخ الأندلس وهو قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، دراسة وتحقيق أحمد مختار العبادي، في صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية- مدريد، المجلد13، 1965-1966م.

129- ابن ماكولا أبو نصر علي بن هبة الله (ت475هـ/1082م): الإكمال في رفع عارض الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والألقاب، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1411هـ.

130- مجهول: تاريخ الأندلس، تحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1428هـ- 2007م.

131- مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكّار وعبد القادر زمامة، دار الرّشاد الحديثة- الدار البيضاء، ط1، 1399هـ- 1979م.

132- مجهول: مفاخر البربر، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق- الربط،ط1، 2005م.

133- المزّي يوسف بن عبد الرحمن أبو الحجاج ابن الزنكي (ت742هـ/ 1341م)، تهذيب الكمال في معرفة أسماء الرجال، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط1، 1400هت- 1980م.

134-المقرّي التلمساني أحمد بن محمد (ت1041هـ/1631م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عبّاس، دار صادر – بيروت،طبعة 2004م.

135-المقرّي التلمساني أحمد بن محمد: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق مصطفى السقا- إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي- القاهرة، 1942م.

136- المقدسي محمد بن أحمد بن أبي بكر المعروف بالبشاري (ت375هـ/985م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (مختارات)، تحقيق غازي طليمات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي- دمشق، 1980م.

137- المراكشي عبد الواحد بن علي التميمي (ت647هـ/1249م): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرح واعتناء صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية- صيدا- بيروت، ط1، 1424هـ- 2006م.

138- ابن منظور أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي (711هـ/1311م): لسان العرب، دار صادر- بيروت، ط3، 1414هـ- 1994م.

139- المتقي علاء الدين علي بن حسام الدين الهندي (ت975هـ/1567م): كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1419هـ- 1998م.

140- النباهي الأندلسي ابن الحسن (ت بعد 792هـ/ بعد 1390م): تاريخ قضاة الأندلس أو المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تحقيق مريم قاسم الطويل، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1415هـ- 1995م.

141- ابن ناصر شمس الدين محمد بن عبد الله الدمشقي (ت842هـ/1438م): توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة- بيروت،ط1، 1993م.

142- وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين والموحدين، محمود علي مكي: مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة، ط1، 1424هـ/2004م.

143- ابن الوردي زين الدين عمر بن مظفر (ت749هـ/1349م): تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1417هـ- 1996م.

144- الونشريسي أحمد بن يحي أبو العبّاس (ت914هـ/1508م): المعيار المعرب في فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق جماعة من الباحثين، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية- الرباط، 1981م.

145- الوادي آشي أبو جعفر (كان حيّا سنة 896هـ/ 1491م): ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي، تحقيق عبد الله العمراني، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط1، 1403هـ.

146- الوادي آشي محمد بن جابر (ت746هـ/1345م): برنامج الوادي آشي، تحقيق محمد محفوظ، دار المغرب الإسلامي- أثينا- بيروت، ط1، 1400هـ- 1980م.

147- اليافعي عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت768هـ/1367م): مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، دار الكتاب الإسلامي- القاهرة، 1413هـ- 1993م.

148- ياقوت الحموي (ت626هـ/1229م): معجم البلدان، تقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي- مؤسسة التاريخ العربي- بيروت، طبعة جديدة مصحّحة ومنقحة، (د.ت).

149- ياقوت الحموي: معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلامي- بيروت،ط1، 1993م.

د- المراجع العربيةوالمعرّبة:

150-أبو عُبَيَّة طه عبد المقصود عبد الحميد: الحضارة الإسلامية – دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1424هـ- 2004م.

151- أبو مصطفى كمال السيّد: بحوث في تاريخ وحضارة الأندلس في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة- الإسكندرية، 1993م.

152- أحمد أمين: ظهر الإسلام، دار الكتاب العربي- بيروت، ط5، 1388هـ- 1969م.

153- أشباخ يوسف: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة وتعليق محمد عبد الله عنان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة، 1359هـ- 1940م.

154- أشباخ يوسف: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة وتعليق محمد عبد عنان، مؤسسة الخانجي- القاهرة، ط2، 1958م.

155- أعراب سعيد: مع القاضي أبي بكر بن العربي، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط1، 1407هـ- 1987م.

156- بالنثيا أنخيل جنثالث: تاريخ الفكر الأندلسي، نقله عن الإسبانية حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة، 1955م.

157- بن بيّه محمد محمود عبد الله: الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين، دار الأندلس الخضراء- جدّة، دار ابن حزم- بيروت، ط1، 1421هـ- 2000م.

158- بروكلمان كارل: تاريخ الأدب العربي، تعريب عبد الحليم النجّار وغيره، دار المعارف- مصر، ط4، (د.ت).

159- البشري سعد عبد الله صالح: الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس (316- 422هـ/928- 1030م)، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي- مكة المكرّمة، 1417هـ- 1997م.

160- البشري سعد عبد الله صالح: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس (422- 488هـ/1030- 1090م)، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية- الرياض، ط1، 1414هـ- 1993م.

161- ابن عبّود امحمّد: جوانب من الواقع الأندلسي في القرن 5هـ، مطبعة النّور- تطوان، 1987م.

162- ابن عبّود امحمّد: مباحث في التاريخ الأندلسي ومصادره، منشورات عكاظ- تطوان، 1987م.

163- ابن إبراهيم عبّاس: الإعلام بمن حلّ مرّاكش وأغمات من الأعلام، المطبعة الملكية- الرباط،ط2 ، 1423هـ- 2002م.

164- ابن منصور عبد الوهاب: أعلام المغرب العربي، المطبعة الملكية- الرباط، 1399هـ- 1979م.

165- البغدادي إسماعيل باشا (ت1339هـ/1920م): إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، دار الفكر- دمشق، 1982م.

166- بل ألفرد: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي- بيروت،ط3، 1987م.

167- بلغيث محمد الأمين: دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي، دار التنوير للنشر والتوزيع- الجزائر، 1426هـ- 2006م.

168- بوزياني الدراجي: القبائل الأمازيغية، أدوارها- مواطنها- أعيانها، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة- الجزائر،ط2، 2003م.

169- بويكا ك: المصادر التاريخية العربية في الأندلس، نقله إلى العربية نايف أبو كرم، منشورات دار علاء الدين- دمشق،ط1، 1999م.

170- بيريس هنري: الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، ترجمة الطاهر أحمد مكي، دار المعارف- القاهرة، ط1، 1408هـ- 1988م.

171- جوليان شارل أندري: تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب محمد مزالي والبشير سلامة، الدار التونسية للنشر، فيفري 1983م.

172- حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله الشهير بكاتب جلبي (ت1067هـ/1657م): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الكتب العلمية- بيروت، 1413هـ-1992م.

173- حجاجي حمدان: محاضرات في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، منشورات زرياب- الجزائر، 1993م.

174- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة، 1968م.

175- حقي محمد: البربر في الأندلس من الفتح إلى سقوط الخلافة الأموية (92هـ-711م/422هـ- 1031م)، شركة النشر والتوزيع المدارس- الدار البيضاء، ط1، 1422هـ- 2001م.

176- حميدان زهير: أعلام الحضارة العربية الإسلامية في العلوم الإسلامية والتطبيقية، منشورات وزارة الثقافة- دمشق، 1996م.

177- دندش عصمت عبد اللطيف: أضواء جديدة على المرابطين، دار الغرب الإسلامي- بيروت،ط1، 1991م.

178- ديورانت ول: ملخص قصّة الحضارة، إعداد سهيل محمد ديب، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط1، 1423هـ- 2002م.

179- الركابي جودت: في الأدب الأندلسي، دار المعارف- القاهرة، 1970م.

180- لاندو روم، الإسلام والعرب، ترجمة منير البعلبكي، دار العلم للملايين- بيروت،ط1، 1962م.

181- الزركلي خير الدين: الأعلام، دار العلم للملاين- بيروت، ط15، مايو 2002م.

182- زكريا هاشم زكريا: فضل الحضارة الإسلامية العربية على العالم، راجعه وقدّم له وأشرف على إخراجه محمد أحمد محمد المهدي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر- القاهرة، (د.ت).

183- زمباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، أخرجه زكي محمد حسن وآخرون، دار الرائد العربي- بيروت،1400هـ- 1980م.

184- سالم السيد عبد العزيز: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر- بيروت، 1981م.

185- سالم السيد عبد العزيز: تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر- بيروت، ط1، 1969م.

186-السامرّائي خليل إبراهيم وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار المدار الإسلامي- بيروت، ط1، 2004م.

187- سحر السيد عبد العزيز سالم، تاريخ بطليوس الإسلامية وغرب الأندلس في العصر الإسلامي، التاريخ السياسي، مؤسسة شباب الجامعة- الاسكندرية، 1989م.

188- سركيس يوسف بن إليان بن موسى (ت1351هـ/ 1932م) ، معجم المطبوعات العربية والمعرّبة، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي- القاهرة، 1346هـ- 1928م.

189- السلاوي شهاب الدين أبو العبّاس أحمد الناصري (ت1315هـ/1897م)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب- الدار البيضاء، 1418هـ- 1997م.

190-شبارو عصام محمد: الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود (91- 897هـ/710- 1492م)، دار النهضة العربية- بيروت، ط1، 1423هـ- 2002م.

191- الشكعة مصطفى: الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، دار العلم للملايين- بيروت، ط4، 1979م.

192- شلبي سعد إسماعيل: البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر عصر ملوك الطوائف، دار نهضة مصر للطبع والنشر- القاهرة، (د.ت).

193- صفوت أحمد زكي: جمهرة خطب العرب، المكتبة العلمية- بيروت، (د.ت).

194- طقوش محمد سهيل: تاريخ المسلمين في الأندلس، دار النفائس- بيروت، ط1، 1426هـ- 2005م.

195-طوقان قدري حافظ: تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، دار الشروق- بيروت، (د.ت).

196- العبادي أحمد مختار، في التاريخ العبّاسي والأندلسي، دار النهضة العربية- بيروت، (د.ت).

197- عباس إحسان: تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، دار الثقافة- بيروت، ط6، 1981م.

198- عباس إحسان: تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة- بيروت، ط6، 1981م.

199- عتيق عبد العزيز: الأدب العربي في الأندلس، دار الآفاق العربية- القاهرة، (د.ت).

200- عنان محمد عبد الله: دولة الإسلام في الأندلس- الخلافة الأموية والدولة العامرية، العصر الأوّل، القسم الثاني،ط4 مزيدة ومنقحة، مكتبة الخانجي- القاهرة، 1389هـ- 1969م.

201- عنان محمد عبد الله: دولة الإسلام في الأندلس- دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، مكتبة الخانجي- القاهرة، ط2 مزيدة ومنقحة، 1389هـ- 1969م.

202- الفيومي محمد إبراهيم: تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الجيل- بيروت، ط1، 1417هـ- 1997م.

203- فنديك ادورد: اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، صححه محمد علي البيلاوي، دار صادر- بيروت، 1896م.

204- قاسم الطويل مريم: مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر، مكتبة الوحدة العربية- الدار البيضاء، دار الكتب العلمية- بيروت، 1994م.

205- القنّوجي صدّيق حسن خان أبو الطيب (ت1307هـ/1890م): أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق عبد الجبّار زكّار، دار الكتب العلمية- بيروت، 1978م.

206- الكتاني محمد بن جعفر بن إدريس أبو عبد الله (ت1345هـ/1927م): الرسالة المستطرفة لبيان كتب السنة المشرّفة، تحقيق محمد المنتصر محمد الزمزمي الكتاني، دار البشائر الإسلامية- بيروت، ط4، 1406هـ- 1986م.

207-الكتاني محمد عبد الحيّ بن عبد الكبير (ت1382هـ/1962م): فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تحقيق إحسان عبّاس، دار العربي الإسلامي- بيروت، ط2، 1402هـ- 1982م.

208- كحالة عمر رضا: معجم المؤلفين، مكتبة المثنى- بيروت، دار إحياء التراث العربي- بيروت، (د.ت).

209- كولان.ج.س: الأندلس، لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية، إبراهيم خورشيد وآخرون، دار الكتاب اللبناني- بيروت، دار الكتاب المصري- القاهرة، ط1، 1980م.

210- ليفي بروفنسال: تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية، ترجمه إلى العربية علي عبد الرؤوف البمبى وآخرون، Espasa Calpe, S.A, Madrid, 1967.

211- ليفي بروفنسال: الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة السيد عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي، مؤسسة شباب الجامعة- الإسكندرية، 1990م.

212- محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف (ت1360هـ/1941م): شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، خرّج حواشيه وعلق عليه عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية- بيروت، (د.ت).

213- مطلق ألبير حبيب: الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف، المكتبة العصرية- صيدا- بيروت، 1967م.

214- مكي الطاهر أحمد: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، دار المعارف- القاهرة، ط3، 1407هـ- 1987م.

215- المنوني محمد وآخرون، التاريخ الأندلسي من خلال النصوص، شركة النشر والتوزيع المدارس- الدار البيضاء، ط1، 1412هـ- 1991م.

216- نكري القاضي عبد النبي بن عبد الرسول: دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، تحقيق عرب عباراته الفارسية- حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1421هـ- 2000م.

217- نصر سعدون عباس: دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين، دار النهضة العربية للطباعة والنشر- بيروت، ط1، 1405هـ- 1985م.

218- نعنعي عبد المجيد: الإسلام في طليطلة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر- بيروت، (د.ت).

219- هيكل أحمد: الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف- القاهرة، ط12، 1997م.

220- الورقي سعيد: في الأدب الأندلسي، الدار المصرية- الاسكندرية، (د.ت).

هـ - الأطروحات والرسائل الجامعية:

221- بلغيث محمد الأمين: الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين، جامعة الجزائر، 1423- 1424هـ/2002- 2003م.

222- بوباية عبد القادر: البربر وموقفهم من فتنة القرن 5هـ/11م (300-422هـ/912- 1031م)، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ- جامعة وهران، 2002م.

و - المجلات والدوريات العربية:

223- الأهواني عبد العزيز: على هامش " ديوان ابن قزمان "، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية- مدريد، المجلد 17، 1972-1973م.

224- العطار سليمان: نشأة الموشحات الأندلسية، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية- مدريد، المجلد 17، 1972-1973م.

225- مؤنس حسين: الجغرافية والجغرافيون في الأندلس من البداية إلى الحجاري، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية- مدريد، المجلد 7و8، 1959-1960م.

ز - المراجع الأجنبية:

226- Aguado Bleye Pedro, Manual de Historia de Espana, vol I, Madrid, 1963.

227- Bennassar Bartolomé: Histoire des Espagnoles, VI-XVII Siècle, Armand Colin, Paris, Tome 1,1985.

228- Clot André, L'Espagne Musulmane XIII- XV Siècle, Librairie Académique Perrin, France, 1999.

229- De Cortàzar José Angel Garcia, la Epoca Medieval, Historia De Espana Dirigida par Miguel Artola, Alianza Editorial, Primera Edicion: Madrid,1998.

230- G.Chegne Anwar, Historia de Espana, Segunda Edicion, Edicionnes Catedra, S.A, Madrid, 1980.

231- Lévi- Provençal, Réflexion Sur L'Empire Almoravide au Début du XII Siècle, Cinquantenaire de la Faculté des lettres d'Alger, (1881- 1931), Alger, 1932.

ح - المجلات والدوريات الجنبية:

232- Arie Rachel, Aperçus Sur Les Royaumes Berbères D' Al-Andalus Au Ve/XIe Siecle, En Revista del Instituto Egipcio de Estudios Islamicos, Volumen XXIII, Madrid,1985-1986.

233- Benaboud M'hammad, L'Historiographie D'Al-Andalus Durant La Période Des Etats-Taifas, In Revus de L'Occident Musulman et de la Mediterranée, Numero 40, 1985, pp123-141.

234- Millas Vallicrosa José Maria, Los Geoponos Hispano-araes, In Revista del instituto Egipcio de estudios Islamicos, En Madrid, Volumen IV, Madrid, 1956.



الفهرس

فهرس المحتويات